الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمــيّ

جامعة محمّد خيضر بسكـــــرة

كليّة الآداب واللغـــــــــات

قسم الآداب واللّغة العربيّة

التّفكير اللّسانيّ عند عبد السّلام المسدّي

مذكّــرة مقدّمـــة لنيــل شهادة الماجستيــر في الآداب واللّغــة العربيّــة

تخصص اللّسانيـــات واللّغـــة العربيّـــة

إعداد الطالب:

عبد الرحيم البار

إشراف الدكتور:

الأمين ملّاوي

السنة الجامعية: 1436/1435هـ،2015/2014م.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

((وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَنًا نَّصِيرًا)).

سورة الإسراء، الآية: 80.

مقدّمــة

وُسِم الرّكب الحضاريّ اللّغويّ الحديث بحركة تطوّريّة رفدت جلّ مناحي اللّغة بدءا من النّظريّات والمناهج انتهاء إلى تأسيس المدارس اللّسانيّة؛ التي خاضت في ميادين اللّغات وفق ما تمليه رؤيتها المعرفيّة الخاصة، وراحت تبحث عن "كلّ شيء يتصل باللّسانيّات في القديم والحديث"[1]؛ فعزّز ذلك من ظهور التّيارات الفكريّة اللّسانيّة المتخصّصة؛ فكان ذلك بمثابة الثّورة الفكريّة في عالم اللّغويّات الغربيّة؛ فنتج عن ذلك التّنافس والتّسابق في دراسة اللّغات كلٌّ وفق قناعاته الخاصة. ولحق هذا الرّكب التّصادم والتّجاذب المنهجيّ لينتهي الوضع اللّغوي الأوروبيّ في الفترة الحديثة إلى تأسيس المدارس اللّسانيّة.

والمهمّ في هذا كلّه أنّ السّاحة اللّغويّة العربيّة لم تكن في منأى عن هذا الحراك الجديد الذي غيّر التوجّه الفكريّ العلميّ في حقل اللّسانيات وعلوم اللّغة. وبالطّبع استجابة اللّغة العربيّة كباقي اللّغات إلى هذا النّداء العلميّ المثير؛ فاعتُبِرَ ذلك بمثابة انتفاضة حقيقيّة في الدّراسات اللّسانيّات العربيّة الحديثة. فانقسم المشهد اللّغوي العربيّ إلى مؤيّد ومعارض وأصبحت السّاحة اللّغويّة العربيّة معتركا خصبا للمناهج والأفكار وأخذ التّفكير اللّسانيّ العربيّ الحديث منحا صعبا أسهم في التّنميط للحركة الفكريّة اللّسانية العربيّة الحديثة ببثّ صور الاختلاف والائتلاف في ميادين اللّغة العربيّة المختلفة بحسب ما تمليه التّوجهات النظريّة والمنهجيّة لكلّ توجّه لسانيّ. وفي ظلّ الرّغبة الملحّة على معرفة المنجز اللّساني الغربي والاطلاع على مناهجه وأساليبه في البحث والتّحليل والاستفادة منه في دراسة العربيّة وإعادة تراثنا؛ ظهر مجموعة من العلماء العرب الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية تعريف الدّارس العربي بذلك العلم المستحدث المعروف باللّسانيات بدءا بتقديمه تقديما تعليميّا ثمّ إلى تمثّله نظريّة وإجراء ومن بين هؤلاء الأستاذ عبد السّلام المسدّي الذي أثرى البحث اللّغوي العربي بكتابات كثيرة تعدّ معبرا لكثير من الأفكار اللّسانية واقترابا من جهوده في استحضار فكره اللّساني وإبراز إسهاماته في نقل المعارف

1-نعمان بوقرة، المدارس اللّسانيّة المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003م، ص3.

اللّسانية الغربيّة وتوظيفها في دراسة العربيّة كان هذا مجال البحث وعنوانه: التفكير اللّساني عند عبد السّلام المسدّي؛ لينطلق من جملة تساؤلات هي بمثابة إشكالات معرفيّة ومنهجية يتمثّل أهمها فيما يلي: هل استطاع المسدّي أن يتمثّل اللّسانيات الغربيّة تمثّلا صحيحا يتجاوز به مجرّد النقل لغرض التعليم والتعريف؟ أم أنّ معرفته بذلك المنجز الغربي لم تتجاوز المقدّمات المعهودة في الدّرس اللّساني؟. وهل استطاع إثراء الدّرس اللّساني العربي بأساليب جديدة تتمثّل في إعادة وصف اللّغة وصفا يبعث فيها تجدّد الحضور الخطابي والفكري أم أنّ دراسة المسدّي لم تتعدّ إسقاط مفاهيم غربيّة على نصّ عربي؟. وما هي الأسس المعرفيّة والمنهجيّة التي انطلق منها المسدّي في دراسته اللّسانيّة؟. وهل أغنته اللّسانيات في فهم التّراث العربيّ أم كان ذلك العلم جناية على فهم معهود التراث من اللّغة؟. وهل استطاع أن يحوّل المنتج الغربي إلى بضاعة عربيّة من حيث المصطلح والمفهوم التّداولي له أم أنّ الاغتراب الفكري ظلّ يلاحقه؟. إذن هي جملة من الأسئلة حاول البحث الإجابة عنها. وقد مثّلت خطّته التي قسّمت إلى ثلاثة فصول بعد مقدّمة وخاتمتها محصول القول فيما ذكر.

فعقد الفصل الأول بعنوان: تلقّي اللّسانيات في الكتابات العربيّة وجاء فيه دراسة الفكر اللّساني الغربي مقوماته وخصائصه. وبعدها مظاهر الفكر اللّساني الغربي في اللّسانيات العربية. ثم الفكر اللساني العربي بين التّجديد والتّقليد.

أمّا الفصل الثاني فعنوانه: الأسس المعرفيّة والمنهجيّة للفكر اللّساني عند عبد السّلام المسدّي وفيه درست تمثّل اللّسانيات عنده وأهميتها واللّسانيات بين اللّغة والفكر مع قراءة وصفية تحليليّة لكتابه التفكير اللّساني في الحضارة العربية.

وبعده كان الفصل الثالث بعنوان: المصطلح اللّساني عند المسدّي وأخذت فيه مفهوم المصطلح وخصائصه ومجالاته وختمته بقراءة وصفيّة تحليليّة لكتابه قاموس اللّسانيات.

ويفرض الموضوع توظيف المنهج الوصفي المناسب لعرض الآراء وتقرير الأفكار مع تحليلها وعرضها مع حاجة إلى حضور التاريخي لتتبع تلك القضايا.

وقد اعتمدت في البحث على مجموعة من المراجع في مقدّمتها كتب المسدّي ولاسيما التي يظهر فيها تفكيره اللّساني على مثل: اللّسانيات وأسسها المعرفية ومباحث تأسيسية في اللّسانيات إلى جانب مراجع أخرى.

ولكن الحديث عن المسدّي وفكره هو من الموضوعات التي لا يسهل تناولها ومردّ ذلك تشعبها وكثرتها وطبيعة منهجها ومصطلحاتها وهي ذاتها ما يمثّل صعوبات البحث.

ولا يدّعي البحث أنّه أصاب الحقيقة في معرفة فكر المسدّي اللّساني وإنّما هو الاقتراب بما يمثّل محاولة تحتاج إلى تقويم وإثراء وتعديل وهرما نجده في ملاحظات أعضاء اللّجنة المانقشة الموقّرين وفي الأخير أتقدّم بالشكر الجميل لأستاذي الدكتور الأمين ملّاوي على كلّ ما قدّمه من نصائح وتوجيهات.

الفصل الأوّل: تلقّي اللّسانيّات في الكتابات اللّسانيّة العربيّة.

1-توطئة

2-الفكر اللّسانيّ الغربيّ مقوّماته وخصائصه.

3-مظاهر الفكر اللّسانيّ الغربيّ في اللّسانيّات العربيّة.

4-الفكر اللّسانيّ العربيّ بين التّجديد والتّقليد.

1-توطئة: من أسمى ما أفرزته الحضارة الإنسانيّة الفكر اللّساني باعتبار هذا الأخير ملازما للوجود البشري منذ القدم. فهو ظاهرة اجتماعيّة مرادفة للتجمهر العرقي الحضاري القديم والحديث؛ على نحو الحضارة الإغريقية واليونانية وغيرها من الحضارات التي ذكرها التاريخ على اختلاف انتماءاتها العقائدية والعرقية، فالفكر مرابط للوجود وبه يجد الإنسان ضالته عبر التساؤل المعقود بفكّ الإبهام وإيجاد الحلول المقبولة ذهنيا؛ لشرح الألغاز التي تفرضها أواصل الطبيعة ومعطيات الحياة المادية. ومن حاصل الانتباه الفكري القديم المعبّر على خلجان النّفس وإرهاصات الذات التنوع اللّغوي الذي نشهده في عصرنا هذا ومردّه بحسب الباحثين هو الاختلاف في تفسير الموجودات، أو الإجابة عن التساؤلات التي يكون مصدرها الاختلاف البيئي والتنوّع الجغرافي. وكلّ ذلك يطرح معادلات مختلفة تفرز لنا قواعد فكريّة متباينة شكلا ومضمونا ترجع لها الأصول المرجعية الفكريّة على اختلاف أنماطها التعبيريّة.

ولا ضير من أنّ التفكير اللّساني هو حاصل ما أسلفناه كجزء من التفكير الإنساني ككلّ، فاللّغة هي المحرّك الأساس للتآلف البشري؛ لأنّها الرابط التواصلي والوعاء الفكري الذي يجسّد حلقة التّواصل المعيشي بين الشعوب، ويمنحها الوصال في الحفاظ على مكتسباتها في ظل التّسابق الفكري والتنافس الحضاري بين الأمم. فكلّ سعى ويسعى لسيادة مقدراته والمحافظة على موروثاته. وبما أنّ موضوع بحثنا هو 'التفكير اللّساني عند عبد السّلام المسدّي'. فحليّ بنا في هذا المدخل أن نعرّج قليلا على معاني التفكير اللّساني، وخاصة ما أفرزته الحضارة الغربيّة الحديثة؛ لأنّها في حقيقة الأمر تشكّل المصدر الرئيس للتشبع الفكري اللّساني العالمي، فلم تكن اللّغة العربيّة في منأى عن هذا الاجتياح الخطير من حيث المناهج ومن حيث التنظير، بل راحت تُسْتتب تدريّجيّا في أحضان ذلك الرّكب اللّساني العالمي المتعدّد.

ولا شكّ أنّ هذا الإجراء المسارع أفضى إلينا قوالب معرفيّة مختلفة شكلّت لنا الحيّز الفكريّ العربيّ الخاص، ومن هذا ننتقل إلى الحديث عن الفكر اللّساني العربي؛ ومدى تأثره بما توحيه الحضارة الفكريّة اللّسانيّة الغربيّة، ليستقر بحثنا إلى دراسة التفكير اللّساني عند عبد السّلام المسدّي كنموذج مواز على سبيل التمثيل والتوضيح.

بعد الكشف عن طبيعة الموضوع والإدلاء بالصيغة العمليّة للبحث نقف هنا عند الحدود المعرفية للتفكير اللّساني للوقوف على الخصائص والمجالات والمنابع. فاللّسانيّات هي أدق العلوم اللّغوية وأعلاها شأنا باعتبارها الأداة الحقيقية في دراسة المعارف والمكتسبات اللّغوية وفق مناهج علمية تمتاز بالدقة والانضباط الفكري الذي تنتمي إليه. فاللّسانيات (Linguistique) من "أحدث العلوم الإنسانية وأكثرها تقدّما في الغرب، ومن ثم كانت لها أهمية خاصة في نظريّة المعرفة وفي العلوم التي تبحث في السلوك الإنساني عموما وقد توصل العلماء في أوروبا وأمريكا إلى الكثير من الآراء والنّظريّات وأجروا الكثير من التجارب والدراسات الميدانيّة، ورغم ذلك كلّه فما زال علم اللّغة بكرا ومازال العلماء يخطّون في شعابه أولى خطواتهم يبحثون ويناقشون قضايا كثيرة ويدرسونها بطرق مختلفة ومناهج متباينة"[1]. فهي رهينة البحث العلمي الذي يختلف باختلاف الأفكار والنظريات والفرضيات، ولا شكّ أنّ هذا مبعثه اختلاف الرؤى الفكريّة للباحثين والمختصين ولذلك يصطلح على علم اللّغة الحديث 'اللّسانيات' بأنّه علم فتيّ لأنّ معترك التفكير فيه محتدم، ولا يزال لم يفصل في كثير من مسائله اللّغويّة ضمن عالم التفكير اللّساني الحديث والمعاصر.

1-عاطف مدكور، علم اللّغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، 1987م، ص6.

وفي السّياق نفسه يقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي معرّجا على علم اللّسانيّات: "العلوم الإنسانيّة تسعى جاهدة إلى إدراك مرتبة الموضوعية بموجب تسلّط التّيار العلماني على الإنسان الحديث، ولمّا كان للّسانيّات فضل السّبق في هذا الصّراع، فهي الدّراسة العلميّة الموضوعية للّغة، وبهذا غدت جسرا أمام بقية العلوم الإنسانيّة من تاريخ وأدب وعلم اجتماع"[1]. فاللّسانيات: "تتخذ اللّغة مادة لها وموضوعها. ولا يتميّز الإنسان بشيء تميّزه بالكلام، وقد حدّه الحكماء منذ القدم بأنّه الحيوان النّاطق، وهذه الخصوصية المطلقة هي التي أضفت على اللّسانيّات من جهة أخرى صبغة الجاذبية والإشعاع في نفس الوقت فاللّغة عنصر قار في العلم والمعرفة سواء ما كان منها علما دقيقا أو معرفة نسبيّة أو تفكيرا مجرّدا، فباللّغة نتحدّث عن الأشياء، وباللّغة نتحدّث عن اللّغة، بل إنّنا باللّغة نفكّر، فكان طبيعيا أن –تكون– اللّسانيّات مولّدا لشتّى المعارف فهي كلّما التجأت إلى حقل من المعارف اقتحمته فغزت أسسه حتى يصبح ذلك العلم نفسه ساعيا إليها"[2].

فالتفكير اللّساني يمرّ بمراحل عدّة تمثّلت من فترة إلى أخرى باختلاف المناهج المعرفيّة التي يسعى كلّ منها إلى تفسير خصائص اللّغة ومعطياتها بحسب فرضياته الخاصة وهذه الميزة الأساسيّة لعلوم الإنسان؛ لأنّ الفكر متغيّر ومتنوّع. فكلّ ذلك يرفع من مستوى التفكير اللّغوي ويزيد من قدرته في مواكبة حركات العلوم المتطوّرة.

فبات لعلم اللّغة الحديث 'اللّسانيات' القدرة الفكريّة المهمّة التي جعلته: "مركز الاستقطاب بلا منازع، فكلّ تلك العلوم أصبحت تلتجئ –سواء في مناهج بحثها وفرضيّاتها أو في تقدير حصيلتها المعرفيّة والعلميّة– إلى اللّسانيّات وإلى ما تقرّه من

1–عبد السّلام المسدّي، التفكير اللّساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب تونس، ط2، 1986م، ص9.

2–المرجع نفسه، ص10.

'معلومات' وطرائق البحث والاستخلاص"[1] وغيرها من الإجراءات.

ولابد من أن نوضّح هنا مقولة 'اللّغة وعاء الفكر'، أو ما يصطلح عليه بالتعريف الآتي: "اللّغة مجموعة أصوات للتعبير عن الفكر"[2]. الواضح من هذه العبارة أنّها توحي بمدلول واحد مفاده أنّ الكلمة مصدرها الفكرة، أو بمدلول آخر أنّ الكلام مصدره العقل (الفكر) فالإنسان على اختلاف بيئته ونشأته يلجأ للسان كوسيلة تعبيرية أدائية تؤدي دورا وظيفيّا غايته المنشودة تحقيق المراد الذهني من أفكار تراود الإنسان كتفسير الظواهر المادية الطبيعية التي تحيط به، ويُضاف إلى ذلك أنّه المعبّر عن هواجس النّفس البشريّة من تخمينات مرتبطة بالجانب الميتافيزيقي الذي تفرضه الذّات المبدعة الباحثة عن أواصل الارتباط بينها وبين ما يحيط بها، ولذلك يصح أن يطلق على اللّسان هذه التسمية: "اللّغة تلعب الدور الحاسم في تشكيل الفكر، بل إنّها هي الفكر في حدّ ذاته"[3]. وهنا تمّ تصنيف اللّغة بحسب انتمائها المعرفي، أو بحسب دورها الوظيفي ومردّ ذلك اختلاف القراءات الفكريّة الصادرة عن باحثي اللّغة. ولنا أن نوضح ما قلناه:

1-الاتجاه الواقعي: يؤمن هذا الاتجاه بأنّ اللّغة تشكّل كلّيات فكريّة تعبيريّة تعود في أصلها إلى حوادث سابقة مرتبطة بالواقع المعيشي الذي بدوره يسهم في تكوّن الواقع المعرفي، ونعبّر عنه بصيغة أخرى إنّ" للكليات وجودا واقعيا مسبقا، وقد ظهر هذا الاتجاه عند أفلاطون في نظريته عن المثل"[4]. والمستنتج من هذا الوصف الخاص أنّ

1-المرجع السابق، ص9.

2-أنيس فريحة، نظريّات في اللّغة، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط2، 1981م، ص8.

3-محي الدين محسب، اللّغة والفكر والعالم دراسة في النسبيّة اللّغوية بين الفرضية والتحقق، مكتبة لبنان ناشرون ط1، 1997م، ص41.

4-عبد الوهاب جعفر، الفلسفة واللّغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر، ط2، 2004م، ص16.

الكليّات اللّغوية المشكّلة من أفكار هي بحسب هذا الاتجاه مدلولات واقعية ملموسة في أساور البيئة وما يمليه الواقع المعيشي في حياة الإنسان.

2-الاتجاه التصوّري: يلحّ أصحاب هذا الرأي على أنّ المعرفة المدلوليّة اللّغوية هي وليدة الذات؛ أي أن الكلّيّات اللّغويّة مصدرها النّفس ولن تكون لها ارتباطات بالبيئة الخارجية، فهؤلاء نفوا دور المحيط في تكوين الفكرة وعزموا على الاعتقاد بأنّ وجود "الكلّيّات في النّفس قبل أي معرفة، ومن أنصار هذا الاتجاه 'آبيلارد' -الذي ظهر- في العصور الوسطى..وديكارت في القرن السابع عشر"[1].

3-الاتجاه الاسمي/التجريبي: وهو أوضح من الاتجاهات الأخرى وأعمقها تفسيرا للفكر اللّغوي وهذا الاتجاه يرى بأنّ الكليّات تظهر "مشيرة إلى مدلولات وهذه المدلولات في الحقيقة ليست سوى تجريديات يشار إليها بكلمات، فالكليّات أسماء تشير إلى تجريديات غير واقعية لأنّ المعرفة تتكون ابتداء من الجزئي. وهذا هو اتجاه الفلاسفة التجريبيين من أمثال 'لوك' و'باركلي' و'جون ستيوارت مل'"[2].

فالتّفكير اللّسانيّ شهد محطّات تفاعليّة على مرّ السّنين ولاشكّ من أنّ الفكر اللّسانيّ الغربيّ الحالي؛ هو نتاج عن ذلك المخاض الفلسفيّ الإبداعيّ الذي راح يفسّر ظواهر اللّغة كلّ بحسب قراءته ونظرته لما تدركه ملكته الذهنيّة وقدراته التفسيريّة.

وحين نعرّف الفكر اللّساني المعاصر؛ فإنّنا نجد أنفسنا أمام مقدّرات الحضارة اللّغوية الغربيّة؛ باعتبارها القوّة الضّاربة في أحضان الدّراسات اللّغوية الحديثة بغضّ النّظر على خصوصيّات الغير ومكتسب حضارتهم الخاص، فقد واكب الفكر اللّغوي الأوروبي

1-المرجع السابق، ص16.

2-المرجع نفسه، ص16.

الحديث حراك العلوم الأخرى، ولحق بركب الثّورة العامّة التي طالت جميع الميادين والتي لم يستثن مفجّريها كافة المجالات.

فأفضى ذلك نمطا تفسيريا علميّا راح أصحابه يلقون الضّوء على التّراث اللّغوي الغربيّ باحثين في الأفكار. فأصحابها توخّوا الحيطة والحذر في نقل المعارف بما يتجاوب وحضارتهم الناشئة، فكان لذلك أن يظهر 'المنهج التاريخي' بوسائله المتنوعة ليتعمق في تاريخ اللّغات وأصولها ويستحضر واقعها الأثري القديم ومثال ذلك انكبابهم على اللّغة 'السنسكريتية' التي مثّلت فجر الأبحاث اللّغويّة الأوروبيّة الحديثة. ليليه فيما بعد 'المنهج المقارن'، وهو لاشّك وسيلة مهمّة في الدّراسات اللّغويّة رآه الباحثون الغربيون الأجدر في استخلاص النتائج عبر المقارنة بين ما يضفيه الاستحضار التاريخي في حقول اللّغات المختلفة، وازداد الفكر اللّغوي الأوروبي رواجا في عهد 'فرديناند دوسوسير' صاحب 'المنهج البنيوي' الذي راج رواجا هائلا في الدّراسات اللّسانيّة وخاصة في تبنّيه المنعطف الفكري وفق ميزاته الجديدة والتي من أهمها نذكر:

1-إضفاء الطابع التّجريدي على الدّراسات اللّغويّة.

2-التميز بين الدّراسات التزامنية والتعاقبيّة.

3-اعتبار علم اللّسانيات مورد العلوم اللّغويّة المجرّدة.

فاتفق المختصّون بأنّ هذا العالم الفّذ أنار الفكر اللّساني الغربيّ بأطروحاته الجيّدة وباتت دراساته على الرّغم من قصر حياته تشكّل قاعدة البحث العلمي اللّغوي الحديث فهو قدّم التعريف الكامل والصائب لعلم اللّسانيات في ظلّ التنافس التجريدي والموضوعي بين كافة العلوم فقد دعا: "إلى دراسة اللّغة في ذاتها"[1]، دراسة موضوعيّة علميّة.

1-شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللّسانيّة المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، 2004م، ص9.

لتتوالى حينها المدارس اللّسانيّة كمدرسة لندن وحلقة براغ وغيرها من المجامع البحثيّة الأوروبية، وهذا كلّه أسهم في بروز الطلائع الفكريّة اللّسانيّة المعاصرة ليتواصل الفكر اللّساني الأوروبي تحت راية أعمال أخرى ومنه برز الفكر التوليدي في حاضنة أمريكا ببروز 'ناعوم تشومسكي' الذي أمست أعماله تمثّل قمة الفكر اللّساني الغربي المعاصر فهو كما يصفه البعض: "يتعمّق البحث في منشأ قواعد اللّغة ويحاول تفسير ظاهرة تأليف الطفل تركيبات لغوية جديدة لم يسبق له تعلّمها،..وهذه الظاهرة شاهد على وجود قدرة فطرية في العقل الإنساني على إنشائها تتسق مع تركيب الواقع الذي نعيش فيه وبذلك نكون أمام نظريّة جديدة في ربط اللّغة بالواقع وتفسير اللّغة في إطار فلسفيّ"[1].

وبعد هذا التفريغ المهم والمعمم نأتي الآن للوقوف على ماهية التفكير ورواده الأوائل وأهمّ النّظريات البارزة في التّفكير اللّغوي:

أولا: التفكير لغة من فكّر يفكّر فكرا لمصدر التفكير؛ ومقاسه عمليّة ذهنيّة في غالبها تستهدف البحث عن إجابات مناسبة لما يعترض الذات.

وفي تعريف آخر: "قائمة من الأنشطة العقليّة تتضمّن كلاّ أو بعضا مما يلي: أحلام اليقظة، الرغبات، الصور الخياليّة استيعاب الأفكار استعراض الأفكار اكتساب أفكار جديدة واستنباط نظريات واتخاذ القرارات"[2].

أما إذا أضفنا كلمة 'اللّساني' إلى التفكير فإنّ التعريف يصبح: التفكير المختص بمجال اللّغة أو العمليات الذهنية المستهدفة في البحث في علوم اللّسان المختلفة وهذا ما تجسد في الفكر اللّساني الحديث.

1- محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللّغة، دار النّهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، 1985م، ص9.

2-جوديث جرين، التفكير واللّغة، ترجمة وتقديم، عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص17.

يعتبر الفكر اللّغوي الأوروبيّ منطلق البحث اللّغوي المعاصر؛ باعتباره نقطة تحوّل مهمّة في عالم اللّغويات الحديثة. فقد واكب هذا الجانب من العلوم النّهضة العلميّة في أوروبا محاكيا في ذلك التّطور الحاصل في علوم الطبيعة والصّناعة وغيرها من العلوم. فكان لزاما على أصحاب هذا الاتجاه أن يروّجوا له بأفكارهم وأعمالهم، وخلصوا إلى إعداد النظريّات وصياغة القواعد باختلاف الأطروحات. فاعتبر ذلك مقدّمة تمهيديّة للنّهضة العلميّة في عالم اللّغة عامّة وحقل اللّسانيّات خاصة، وبالأخصّ عند ظهور العالم اللّغوي الكبير دوسوسير (Ferdinand de Saussure 1857–1913) الذّي يطلق عليه أبا اللّسانيّات الحديثة فقد قدّم نظرة عامّة موسّعة حول الجّانب التّاريخي والوصفي والبنيّوي للّغة؛ متأثرا في ذلك بالوصف العلمّي الدّقيق الذّي تتميّز به العلوم الأخرى. لتتضح معالم فكره بوضوح في: (كتابه محاضرات في اللّسانيّات العامة– Cour) (DeLinguistique Générale الذّي يوصف بأنّه بنواة التحوّل الجديد في عالم اللّغات فقد ألّفه تلاميذه 'شارل بالي Charles Bally' و 'آلبير سيشيهاي Albert Sechehaye' بعد وفاته مع الاستّعانة بما دونه تلاميذه في المحاضرات التي كان يلقيها عليهم. وعدّ هذا العمل ركيّزة الطرح اللّغوي المعاصر الذي تتبنّاه جميع المدارس اللّسانيّة والاتجاهات اللّغويّة الحديثة والمعاصرة. وظهر إلى الوجود توجها علميّا حديثا في السّاحة اللّغويّة العالميّة هدفه دراسة اللّغة دراسة علميّة، ونتاج ذلك بروز المدارس اللّسانيّة التي أفضت إلى مفاهيم جديدة في ميدان اللّغة بصفة عامة وفي حقل اللّسانيّات على وجه الخصوص. فمناهج هذه المدارس تقف عند حدود أفكار أصحابها الذّين ينظرون إلى دراسة اللّغة كل حسب فرضيّته الفكريّة الخاصة. وسنأتي هنا إلى قراءة هذه الأطروحات المَنْهَجيّة واستنطاق قواعدها.

2-الفكر اللّساني الغربيّ مقوّماته وخصائصه: لكلّ فكر منطلقات ولكل بواعث تبعات ولكل نتائج خصائص وميزات وهذه سنن كل تغيّر حاصل داخل معترك العلوم المختلفة. وعلى مرّ الزمن حافظت شتى المعارف على مكتسباتها العلميّة والفكريّة على غرار علوم اللّغة، فاللّغات مثلها مثل باقي العلوم الأخرى تندفع من منطلقات فكرية متعلقة بحياة الإنسان النّفسية والاجتماعيّة وبما يحيط بها من عوارض البيئة. فقد ألهم الإنسان العقل الذي مكّنه من تفسير غالب الظواهر التي تعترض حياة الإنسان. ولا ضير أنّ من بين هذه الظّواهر اللّغة كحادثة إنسانية ترتبط بحياة الفرد والجماعة ارتباطا إلزاميا؛ فعجّل ذلك من ظهور الأبحاث اللّغويّة على اختلاف درجاتها وصفاتها وعلى مختلف المراحل الزّمنيّة التي تساير حياة الإنسان. حيث تكوّنت فيما بعد تيّارات فكريّة لغويّة أفضت مناهج بحث تجلّت من خلالها منابع اللّغة خاصة ما ظهر في الأبحاث اللّغويّة الأوروبيّة من أعمال وإنجازات امتد أثرها إلى شتى أنحاء العالم بدءا بالدّراسات اللّغويّة التّاريخيّة وظهور المَنْهَج التّاريخي. وأتبعه المَنْهَج المقارن والدّراسات المقارنة في المراحل الأولى للنّهضة العلميّة الشّاملة داخل القارة الأوروبيّة. لتليها لاحقا الدّراسات الوصفيّة والمَنْهَج الوصفي الذي تعالت مسامعه في مطلع القرن التاسع عشر. ثمّ برزت الدّراسات البنيويّة التي تزامنت مع ظهور العالم الفذ فرديناند دوسوسير (Ferdinand de Saussure 1913-1857) الذي أثرى عالم اللّغات بنظراته الجديدة.

فهو بلا شك صاحب أطروحة دراسة اللّغة دراسة علميّة متأثرا في ذلك بما أفضته علوم الطبيعة والرياضيات؛ فتأثر بالطابع الرياضي والعلمي الغالب على العلوم الأخرى.

ومن خلال ما تطرقنا إليه فإنّنا لا محالة نستنتج مجموعة من المقوّمات تجلّت في المبادئ التي قامت عليها الاتجاهات اللّسانيّة وبيّنت الخصائص العلميّة التي رافقت جميع الأعمال اللّغويّة بدءا بالدّراسات التّاريخيّة والمقارنة والوصفيّة والبنيويّة تزامنا مع

ظهور المدارس اللّسانيّة كالتوزيعية والوظيفية والتّوليديّة وغيرها. وعليه لا يسعنا هنا إلا حصر أهمّ هذه الخصائص والميزات التي توج بها الفكر اللّساني الغربي.

لقد اتسم الفكر اللّساني الغربي بعدّة سمات اختلفت باختلاف المراحل الزّمنيّة، وتنوعت بنوع الأعمال اللّغويّة، فالمَنْهَج التّاريخي والدّراسات التّاريخيّة توقفت على ما يلي:

-اللّسانيّات التّاريخيّة تطرح نموذجا دراسيّا جديدا في الدّراسات اللّغويّة يظهر عليه طابع التأثر بنظرية داروين (أصل الأنواع)، وبما أنّ المَنْهَج التّاريخي متأثر بهذه النّظريّة فقاعدته الدّراسيّة الأولى دراسة تطوّر اللّغات عن طريق تحديد "جمع عينّات لغوية من الأسرة الواحدة، ويسجل التطوّرات المتتالية للكلمة الواحدة عبر مختلف العصور"[1].

-الدّراسات التّاريخيّة لم تميّز بين الدّراسات اللّغويّة التّاريخيّة والدّراسات الآنية: "كان هناك خلط منهجيّ في البحث اللّغوي بيّن دراسة اللّغة دراسة تاريخيّة ودراسة آنيّة"[2].

-تأثّر المَنْهَج التّاريخي بالنظريات الفيزيائية الميكانيكية التي تعتقد بأنّ كل الحوادث والظواهر الكونية تحكمها روابط فيزيائية، وهذا ما نلحظه في قانون تطوّر الأصوات الذي جاء به 'جون غريم'؛ فأصحاب الدّراسات التّاريخيّة باتوا يؤمنون بتطوّر اللّغات والظواهر اللّغويّة وهذا ما فسّره 'أوغست بوت' (Augustpott) 'فاللّغة في نظره دائمة التغيّر والتحوّل'. ومن مميّزات اللّسانيّات التّاريخيّة اعتمادها على مناهج معيّنة وهي:

1-أحمد مومن، اللّسانيّات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط4، ص64.

2-محمّد محمّد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيّات، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص14.

أ-المَنْهَج المقارن (The comparative Méthode): يعتبر أسمى منهج في الدّراسات التّاريخيّة وهو المحرّك الأساس في الدّراسات اللّغوية آنذاك؛ فهو يعتمد على دراسة صلات القرابة بين اللّغات من خلال استخلاص عيّنات لغويّة قديمة ومقارنتها بالوحدات اللّغويّة المستهدفة في الدّراسة ثمّ استقراء النتائج.

ب-منهج إعادة التركيب الداخلي (Internal Reconstruction): يهدف إلى التمييز بين مكونات اللّغة الأصلية والمكوّنات اللّغويّة الحديثة عن طريق إعادة البناء الداخلي.

ج-المَنْهَج الفيلولوجي (The philologique Méthode): وظيفته دراسة النّصوص عبر إجراء مقارنة بين المقاطع المختارة من النصوص المكتوبة.

الحاصل أنّ الدّراسات التّاريخيّة وسمت بعدّة خصائص أهمّها التأثر بالنظريّات العلميّة كنظرية 'داروين' ونظرية 'التغيّر الفيزيائي'، كما أنّها عمدت إلى استخدام مناهج معيّنة في الدّراسات اللّغويّة بدءا بالمَنْهَج المقارن ومنهج التركيب الداخلي والمَنْهَج الفيلولوجي. وبعد وقوفنا على المَنْهَج التّاريخي نأتي إلى المَنْهَج البنيوي:

جاءت البنيويّة كتوجه علمي جديد يتخذ نمطا تحليليّا خاصا في دراسة اللّغة وهي نتاج لأعمال دوسوسير ومن أهم خصائصها:

-تركيزها على مفهوم البنية والنّظام في دراسة اللّغة، وتهتم بالجانب التركيبي للّغة.

-تصف نظام اللّغة بأنّه تجريدي تحكمه قواعد بنية النظام بعيدا على الطابع التّاريخي.

-تتخذ من مفهوم البنية وخصائصها المختلفة الهدف الأساس في دراسة اللّغات.

-تدرس مكونات اللّغة البنيويّة بعيدا عن جميع السياقات النفسيّة والاجتماعيّة.

-يهتم الاتجاه البنيوي بدراسات العلاقات التركيبيّة المختلفة المكوّنة لنظام اللّغة وبالأخص العلاقات الاستبداليّة والعلاقات الائتلافية وهي اتجاهان أساسيان:

أ-اتجاه أوروبيّ يهتم بدراسة العلاقات الاستبداليّة في اللّغة: وهي العلاقات التي تقع "بين الوحدات اللّغويّة التي يمكن أن تحلّ محلّ بعضها البعض في سياق واحد وبعبارة أخرى فإنّها تعكس علاقات موجودة بين علامة في جملة ما وعلامة أخرى غير موجودة في الجملة أصلا. بل موجودة في أذهاننا طبعا"[1].

ب-اتجاه أمريكيّ يهتم بدراسة العلاقات الائتلافية للّغة: يتوفر هذا النّوع من العلاقات بين المكوّنات الصوتيّة كدلالة صوت اللّفظة الواحدة على دلالة أصوات الجملة، وفي هذا الصدد يرى دوسوسير بأنّ الكلمات تكتسب علاقات قائمة على صفة اللّغة الخطيّة بدافع الترابط فيما بينها. وهذا يمنع من إمكانية لفظ عنصرين اثنين في وقت واحد.

وعلى غرار البنيويّة ظهرت اللّسانيّات الوصفيّة على يد 'فرانز بوعز ' (Franz boas 1858-1942). ولاشكّ من أنّ هذا الاتجاه يمثّل رؤية جديدة تهدف لبلورة دراسة علميّة تعتمد على مبدأ الوصف كركيزة تحليليّة لشتى الدّراسات اللّغويّة؛ فالمَنْهَج الوصفي "يعنى بدراسة الاستعمال اللّغوي في زمان بعينه ومكان بعينه"[2]، يقف عند الخصائص التالية:

-يقولون بمبدأ النسبيّة في وصف وتحديد الظواهر اللّغويّة ولا توجد مسلّمة مطلقة لأيّة لغة كانت؛ فالمثالية اللّغويّة في نظرهم ضرب من الخيال يرفضه العقل.

-تأثرت المدرسة الوصفيّة بالجانب السلوكي خاصة بنظريّة واطسون (Watson) في علم النّفس وتجلّى ذلك مع العالم اللّغوي الكبير 'ليونارد بلومفيلد' (Bloomfield 1887-1949)؛ باعتباره رائدا للمنهج الوصفي الذي اعتمد طريقة خاصة في دراسة اللّغة سميت 'المَنْهَج الآلي'(Mechanistic).

1-أحمد مومن، اللّسانيّات النشأة والتطور، ص131.

2-محمّد حسين آل ياسين، الدّراسات اللّغويّة عند العرب، مكتبة الحياة، بيروت، ط،1981، ج1، ص375/374.

-يعتقد الوصفيون بعدم وجود نظريّة لغويّة ثابتة فالنّظريّة "الصّحيحة عند الوصفيين تكمن في عدم وجود نظريّة للّغة"[1] دائمة الاعتبار.

-تقوم الدّراسة اللّسانيّة الوصفيّة بتحليل وتفسير الخصائص الماديّة لكلّ لغة كما هي مستعملة في الواقع ضمن إطار زمنيّ ومكانيّ محدّد.

بعد وقوفنا على أهمّ مميزات وخصائص المناهج الغربيّة التي اعتبرت منبعا قويا ومحرّكا فعليّا للعمل اللّغوي الحديث والذي تجلّى في المدارس اللّسانيّة الكبرى والتي نتوقف عندها هنا بذكر أهم الخصائص والمميزات التي رافقت أعمالها وقواعدها:

نبتدئ بمدرسة براغ (Prague) اللّسانيّة وأهم ما يميّزها:

-تتبنّى هذه المدرسة الفكر اللّساني الذي جاء به دوسوسير خاصة ما يتعلّق في التمييز بين الدّراسات التّزامنيّة والدّراسات التّعاقبيّة.

-تهتم بدراسة النصوص الشعريةّ وهذا ما قدمه جاكبسون في كتابه 'أسئلة في الشعرية'.

-اهتموا أصحابها بدراسة الجانب الوظيفي (Fonction) للّغة وظهر عندهم مفهوم اللّغة في المجتمع ومفهوم اللّغة داخل التركيب ومفهوم اللّغة الجمالية.

-اللّغة في نظرهم "نظام من وسائل التعبير تخدم غرض التواصل المتبادل"[2]، وتولي اهتماما بالغا بالجانب الصوتي للّغة. وظهرت عندهم مصطلحات مهمّة مثل مصطلح: الفونولوجيا (Phonologie).

1-جفري سامسون، مدارس اللّسانيّات التّسابق والتّطوّر، ترجمة محمّد زياد كبة، جامعة الملك سعود1997م، ص77.

2-خليفة بوجادي، اللّسانيّات النّظريّة دروس وتطبيقات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2012م، ص71.

-ترى مدرسة براغ أنّ "اللّغة نظام من الوظائف وكلّ وظيفة نظام من العلامات"[1].

-ابتكر أصحابه اقاعدة عرفت باسم 'منظور الجملة الوظيفي' (FonctionnelSentence Perspective) الذي جاء به 'ماثيزيوس' (Vilem Mathesius 1882-1945) وتطوّر فيما بعد ليصبح منهجا "استعملته مدرسة براغ لتحليل الجمل حسب مضمونها الإخباري"[2]، وبتعبير آخر هو دراسة كيفية استعمال المعلومات في الجملة انطلاقا من المحتوى المعنوي (الدلالي النسبي) لموضوع الخبر.

وننتقل إلى المدرسة التوزيعية (Distributionnalisme De Linguistique) التي أفضت معالم جديدة في اللّغويات بأفكارها وانجازاتها العملية خاصة في حقل الصوتيات ويمكننا بسط أهم المميزات العلميّة والعمليّة لدى التوزيعيين فيما يلي:

-تنظر إلى اللّغة نظرة خاصة بحسب وجهة منوالها العلمي على اعتبار أنّ موضوع الدّرس اللّساني هو "اللّغة مقابلة بالحديث"[3] وهذا منطلق التوزيعين.

-تحديد النّصوص والمقاطع اللّغويّة كأحداث معيّنة لها إطار مكاني وزماني محدّد.

-تتبع منهجا معينا في تحليل المقاطع الصوتيّة ولها السبق في التأسيس لمصطلح 'المؤلف' (Constituant) بحيث أنّ التوزيعيين يحلّلون المقطع الصوتي من اللّفظ إلى المورفيم ثمّ المؤلف كمرحلة أخيرة في التحليل.

1-Philip Davis, modern theories of language, new jersey, printice-hall, inc, 1973, P219.

2-David crystal, the Cambridge Encyclopedia of language, CUP, 1987,P408.

3-كاترين فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللّسانيّات المعاصرة، تعريب المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص38.

-تقوم الدّراسة الصوتيّة وفق مخطّط مرتب قوامه "يكتب المسموع كتابة صوتية يراعى فيها التنغيم والنبر والمقطع والهدف هو البحث على الفوارق الصوتيّة المترابطة لتكوين الوحدات الصوتيّة الوظائفية الدنيا (الفونيم) وإدراجها في نظام صوتي يعكس ويمثل حقيقة اللّغة"[1].

-لاشكّ أيضا من أنّ أعمال التوزيعيين لم تخل من الأثر النّظري لعلم النّفس السّلوكي وخاصة ما وجد عند 'هاريس'.

-وتهدف هذه المدرسة إلى استعمال "الطريقة الشّكليّة للوصول إلى المكوّنات المباشرة والمكوّنات النهائية"[2]. فهذا الاتجاه له أطروحاته الخاصة لدراسة اللّغة دراسة علميّة.

وبعد المدرسة التوزيعية نجيء إلى مدرسة كوبنهاجن اللّغويّة التي تأسّست عام 1931م على يد 'لويس هيلمسلف' (1899م-1965م) الدّانمركي واللّغوي 'فيجو بروندال' (1887م-1942م). ونأتي هنا لتلخيص أهم خصائص هذه المدرسة:

-يظهر على المدرسة تأثّرها بأعمال دوسوسير وببعض النظريّات الفلسفيّة كنظريّة 'أرسطو' في فلسفة المنطق.

-اعتمادها مبدأ التقابل في الدّراسات التحليلية خاصة في الجانب الصرفي والدلالي.

-تنظر إلى اللّسان على أنّه شكل له وصفه الخاص.

-تلحّ على تدقيق دراسة المضمون لأنّه يمثّل الحقيقة في تسهيل فهم عملية التواصل اللّغوي عبر منافذ تحليليّة مباشرة تبحث في مضامين الكلام وإرهاصات المعنى.

1-السّعيد شنّوقة، مدخل إلى المدارس اللّسانيّة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2008م، ص103.

2-أحمد محمّد قدور، مبادئ اللّسانيّات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008م، ص306.

-أصحاب هذا الاتجاه اللّساني يولون "اهتمامهم الصريح باستعمال إجراءات المنطق الرّمزي في تفسير المادة اللّغويّة"[1].

-تبنّت نظريّة الغلوسيماتيك التي تهدف إلى استعمال منهج إجرائي لتحقيق دراسة لسانيّة وفق نظام مرتّب ومنسجم.

-من مميّزات هذه المدّرسة أنّها استفادت من كتب المفكّر اللّغوي 'لويس هيلمسلف' الثلاثة وهذه الكتب هي:

-كتاب 'مبادئ النحو العام' تاريخ الصدور 1928م.

-كتاب 'محاولة في نظريّة المورفيمات' تاريخ الصدور 1936م.

-كتاب 'مقدّمة في نظريّة النحو' تاريخ الصدور 1943م.

-تهدف مدرسة كوبنهاجن إلى دراسة اللّغة دراسة علميّة ترمي من خلالها إلى "إقامة لسانيّات علميّة مبنيّة على أسس رياضيّة ومنطقيّة وكليّة (Universal) تعنى بوصف الظواهر اللّغويّة وتحليلها وتفسيرها بطريقة موضوعيّة"[2].

وبعد الحديث على مدرسة كوبنهاجن نأتي هنا على ذكر المدرسة الوظيفيّة (Fonctionnalisme) وهي الأخرى قطب لسانيّ بارز حقّق كثيرا من الإنجازات العلميّة أسهمت في إثراء حقل اللّسانيّات. ونلخّص أهمّ خصائصها في النقاط التاليّة:

1-ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللّساني، ترجمة سعيد عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2000م، ص317.

2- أحمد مومن، اللّسانيّات النشأة والتطور، ص159.

-انطلاقها إلى دراسة الجانب الوظيفي للّغة باعتباره قناة تواصل وتفاهم بين الأفراد لتحقيق أواصل البيئة الاجتماعيّة.

-تقف عند دراسة المعنى فهو قوام الدّراسة ووسيلة تحليليّة هامة "تتخذ المعنى قياسا هاما في تحليلها للنصوص اللّغويّة"[1].

-ظهر عندها مفهوم 'الاقتصاد اللّغوي' الذي اعتمد كوسيلة ناجعة في الدّراسات التحليليّة التي تبنّتها المدرسة الوظيفيّة. وبما أنّ المدرسة الوظيفيّة تؤمن بأنّ الوظيفة الرئيسيّة للّغة هي التّواصل، فقد فعّلت عنصر (الاقتصاد اللّغوي) في كامل أعمالها وبات من أهمّ القواعد التي اعتمدت عليها في التّحليل اللّغوي. والاقتصاد اللّغوي نوضّح مفهومه الإجرائي بأنّه: "يقع بين متضادين في النّشاط اللّغوي: الميل إلى الرّاحة وإلى بذل أقل جهد ممكن، والحاجة إلى التّواصل وإعطاء الحدّ الأقصى من الأخبار والمعلومات"[2].

-يعتمد هذا الاتجاه اللّساني على مبادئ التّحليل اللّغوي التي جاء بها (أندري مارتيني) وهذا الأخير ينطلق في تحليله من التعريف الذي صاغه للجملة: "أنّها كل عبارة ترتبط جميع وحداتها بمسند وحيد أو بمسندات مترابطة"[3].

-يؤمن أنصار الوظيفيّة بأنّ اللّغات قائمة على الدّور الوظيفي التواصلي، وهو برأيهم الوظيفة الأساسية؛ حيث يقول مارتيني "تفهم اللّغة الإنسانيّة من وجهة النّظر الوظائفيّة"[4]

1-خوله طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيّات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م، ص86.

2-إميل بديع يعقوب وآخرون، قاموس المصطلحات اللّغويّة والأدبية، دار العلم للملايين، ط1، 1987م، ص7.

3-ينظر، الطيب دبه، مبادئ اللّسانيّات، دار القصبة، الجزائر، 2001م،ص188.

4-أندريه مارتينه، وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة نادر سراج، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت ط1، 2009م ص145.

وتقوم بنقل الأخبار بشكل "معلومات عن العالم الخارجي وكثير ما نعرفه من معلومات بلغنا عن طريق اللّغة"[1].

-تعتمد المدرسة الوظيفيّة في تحليلها للّغة على نظريّة النتاج الوظيفي التي جاء بها مارتيني "النتاج الوظيفي للتقابل الصوتي من أهمّ المفاهيم الأساسية التي اعتمد عليها مارتيني لتفسير التغييرات الصوتيّة كما يعتبر مفهوم التّقطيع المزدوج من المبادئ الأساسيّة التي بنى عليها آراءه"[2].

-الفونيم يتحدّد معناه الصوتي من خلال وظيفته "في إحداث تغيير في المعنى سلبا أو إيجابا"[3]؛ أي في الأبعاد المعنويّة.

ونقف هنا عند خصائص مدرسة لندن باعتبارها توجها لسانيّا مكملا للوظيفية في عالم اللّغويات الحديثة بزعامة 'هنري سويت' (Henry Sweet 1912-1845)، و'دانيال جونز' (Daniel Jones 1967-1881)، و'جون فيرث' - (Jones firth 1960 1890)الذي أضحت إنجازاته العلميّة منطلق كلّ المهتمين بالدّراسات الوظيفية خاصة بالوظيفة الصوتيّة:

-يصفون اللّغة على أنّها نشاط معنويّ في حيّز اجتماعيّ خاص ويتحفظون على ما جاء به دوسوسير من أفكار على نحو نظام الثنائيات، ويتضح هذا في قول 'فيرث' "دراستنا هي دراسة اجتماعية في جوهرها، فسوف أكفّ عن احترام ثنائية الجسم والعقل

1-عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، ج2 ط2، 1988م، ص216.

2-أحمد عبد العزيز دراج، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسات العلوم اللّغويّة، مكتبة الرشد، 2000م، ص91.

3-سمير شريف استيتية، اللّسانيّات المجال والوظيفة والمَنْهَج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2008م، ص70.

والتفكير والكلام"[1]. ويرى أصحاب هذا الاتجاه بأنّ المعنى وظيفة تتحدّد في السياق اللّغوي، وانصبت اهتماماتهم حول دراسة الأصوات الوظيفية والدلالة الصوتيّة متأثرين في ذلك بنظرية فيرث يقول 'سامسون جفري': "وقد صبت نظريات فيرث جل اهتمامها على الصوتيات الوظيفية وعلم الدلالة بشكل أساسي"[2].

-التواصل اللّغوي في نظرهم وسيلة اتصال المجتمع، ولذا فهم يلحّون على البعد الاجتماعي للّغة "إنّ التواصل مع الآخرين يمكن أن يأخذ شكل إثبات أو سؤال أو طلب أو أمر دون أن يتوقف ليكون تواصلا"[3]، ونلحظ أن التواصل اللّغوي محطة لسانية رافقت البحث اللّغوي الحديث، وأخذ اهتماما بالغا في أعمال اللّغويين على مختلف مراحله الزّمنيّة "اهتم اللّغويون المحدثون بالتواصل اللّغوي وغير اللّغوي اهتماما واسعا إلى درجة أنّ بعض اللّسانيين البارزين مثل دوسوسير أراد أن يخضع ما هو لسانيّ إلى ما هو غير لساني إجمالا"[4].

وأخيرا نأتي على المدرسة التّوليديّة التي ذاع صوتها شرقا وغربا، وكانت بمثابة المحرّك الأساس للسانيّات العصرية نظرا لما طرحته من أعمال لغوية كبرى أسهمت في تأجيج الدّراسات اللّغويّة وسارعت إلى مبادرة الاهتمام بكل ما يمليه منظرها ناعوم تشومسكي 'Naom Chomsky' (المولود سنة 1928م) وأتباعه منذ أواخر الخمسينيات

1-John firth, Synopsis of linguistic theory, studies in linguistic analysis, philo Society Special volume, Oxford, 1957, p2

2-جفري سامسون، مدارس اللّسانيّات التسابق والتطور، ترجمة محمّد زياد ، جامعة الملك سعود، 1997م، ص238.

3-فرديناند دي سوسور، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجدي النصر، دار نعمان للثقافة د-ت، بيروت، ص22.

4-عبد الجليل مرتاض، اللّغة والتواصل، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، د-ت، الجزائر، ص16.

وكباقي المدارس فإنّها تتّسم بخصائص وميزات نلخصها فيما يلي:

-تنظر للّغة على أنها ملكة لغويّة موروثة يمكن تطويرها من خلال قواعد معيّنة.

-النّحو في نظرهم آلة منتجة تحتاج إلى استعمال خاص ليمكّنها من تطوير إنتاجها.

-تشترك اللّغات في نظرهم في اكتساب صيغ لغويّة قاعديّة تمثّل لبّ اللّغة "استنتج تشومسكي أن للّغات خواصا عالميّة، وهي أنّها تحتوي جميعا على جمل نموذجيّة تتفرّع عنها جمل أخرى يشترط فيها السّلامة النحويّة"[1].

-اللّغة في نظرهم ظاهرة إبداعيّة من نتاج العقل البشري، وهي تمثّل "عدد من العمليات الخلاقة العضويّة غير الآلية تتم في الذهن، ويظهر أثرها على السطح الخارجي في الأصوات والكلمات والجمل، وبها يتم التفاهم بين المتكلم والسامع"[2].

-تقوم الدّراسة التّوليديّة التحويليّة على فكرة "الإنتاجيّة في اللّغة التي بمقتضاها يستطيع المتكلم أنّ يؤلف ويفهم جملا جديدة غير متناهية لم يسبق له أن سمعها من قبل"[3].

-دعا تشومسكي إلى إعادة النّظر في قواعد النّحو الكلاسيكي، ورأى أنّ الأعمال القديمة تعيق تطوّر النّظريّة اللّسانيّة الحديثة وهذا نص قوله: "إن عدم استمرار التطوّر في النّظريّة اللّسانيّة كان قد أضرّ بها وأنّ الفحص الدقيق للنّظريّة اللّسانيّة الكلاسيكيّة ونظرية العمليات العقلية المرافقة لها قد يثبت لنا في المستقبل أنّه ذو قيمة كبيرة"[4].

1-خليفة بوجادي، اللّسانيّات النّظريّة دروس وتطبيقات، ص97.

2-خليل أحمد عمايرة، دراسات وآراء في ضوء علم اللّغة المعاصر، عالم المعرفة ، ط1، 1987م، ص56/55.

3-محمّد محمّد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيّات، ص83.

4-Chomsky naom, Cartesian linguistics, New York, Harper and row, 1966, p73.

وتجلّت أفكار ورؤى تشومسكي في قواعده الجدية المسمّاة 'القواعد التّوليديّة التحويلية' (Transformationnel Générative Grammaire). وتتسم قواعد النّحو التوليدي التحويلي بالطابع الرياضي الذي كان يؤمن به تشومسكي ورأى أنّه نافع للدّراسات اللّغويّة "يؤكد تشومسكي ضرورة تحديد الهويّة اللّغويّة للمعرفة اللّغويّة وأنّ الارتباط بالعلوم الرياضية حالة خاصة بنظريّة توضيحية في العقل بهدف تكوين مبادئ محدّدة داخل نظام لغوي مؤسسي"[1].

-ملكة اللّغة عندهم عضو من أعضاء الجسم له وظيفة بيولوجيّة كباقي الأعضاء "يمكن اعتبار ملكة اللّغة بشكل معقول بمثابة 'عضو اللّغة' بالمعنى الذي يتحدّث عنه العلماء عن الجهاز البصري أو جهاز المناعة أو جهاز الدوران بوصفها أعضاء من الجسم"[2].

-ظهر في أعمال تشومسكي مفاهيم لغويّة جديدة منها مفهوم البنية العميقة والسطحيّة ومصطلح التحويل والتوليد، وصنّف المركّبات اللّغويّة إلى ما يلي:

1-مركّب إنتاجي: "ينشئ كلّ جمل اللّغة؛ أي سلاسل المورفيمات المقبولة وهو 'ضمن' علم التراكيب (La Syntaxe)".[3]

2-مركّب فونولوجي: خاص بتحديد الصّورة الصوتيّة لكل (فونيم).

3-مركّب دلالي: يصف ويحدّد معاني الجمل.

1-تشومسكي ناعوم، اللّغة والمسؤولية، ترجمة حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2، 2005م، ص46.

2-تشومسكي ناعوم، أفاق جديدة في دراسة اللّغة والطفل، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، د-ت، ص35.

3-مصطفى حركات، اللّسانيّات العامة وقضايا العربيّة، دار الآفاق، د-ت، ص83.

-يقوم النّحو التوليدي التحويلي بتقسيم وتصنيف النماذج النّحويّة إلى نماذج محدّدة ومنظمة "نموذج بسيط خاص بنظرية التواصل ونموذج بنية المركبات القائم على تحليل المكوّنات المباشرة ونموذج التّحويل"[1].

-خلص تشومسكي إلى مفهوم خاص بالنّظريّة اللّسانيّة أراد به رفع كل الشوائب والأفكار التي يراها غير ملائمة وتحديد صفة لغة المتكلم والنمط اللّغوي وتجلى هذا في قوله :"إن النّظريّة اللّسانيّة تعنى في المقام الأول بمتكلم مستمع مثالي في مجتمع لغوي متجانس تماما حيث يعرف هذا الشخص لغة ذلك المجتمع معرفة جيدة ويكون غير مصاب بهذه الحالات النحويّة غير الملائمة مثل قصور الذاكرة والاضطراب العقلي وعدم الانتباه..والأخطاء العفوية..وذلك عند تطبيق معرفته اللّغويّة في كل أداء فعلي"[2].

-كما يلحظ على تشومسكي تأثّره بالفلسفة العقليّة التي تسند كل أنواع المعرفة إلى نشاط العقل الإنساني وهذا على نحو ما يراه أفلاطون وديكارت وغيرهم. فالتّوليديّة التحويليّة حقيقة غلب عليها الطابع الرياضي، كما يلحظ عنها التأثر بعلم النّفس والبيولوجيا، وظهرا تدريجيا بتطور الدّراسات اللّغويّة في هذه المرحلة.

-قسم الدّراسات التّوليديّة التحويلية إلى ثلاث مراحل: ابتدأت المرحلة الأولى في كتابه 'البنى التركيبيّة' (Syntactic Structures) عام 1957م. والمرحلة الثانية تجلّت في كتابه 'مظاهر النّظريّة التركيبيّة' (Aspects of the theory syntax) الصادر عام 1965م ثم المرحلة الثالثة انطلقت من كتابه 'دراسات الدلالة في القواعد التّوليديّة' (Studies on Semantics in générative Grammars) بتاريخ 1972م.

1-جرهاد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ط1، 2003م ص479.

2-Chomsky naom, Aspects of the theory syntax, mouton, 1965, p3.

ولاشك أنّ عموم نظريّات النّحو التوليدي وقواعده قد أفضت طابعا علميّا أسهم في إفادة الدّراسات اللّسانيّة الحديثة خاصة الدّراسات النحويّ. فالقواعد التّوليديّة التحويليّة في التغيّرات والتطورات الأخيرة ترتبط بالدّلالة والرياضيات والبيولوجيا وعلم النفس فأهّلها ذلك إلى احتلال مرتبة علميّة رائدة في اللّسانيّات المعصرة.

لقد اخترت التعريج على مناهج المدارس اللّسانيّة المَنْهَج تلوى الأخر من أجل حصر خصائص المدارس اللّسانيّة بدقة كاملة. وبعد الاطلاع على أهم السّمات التي رافقت الدّراسات اللّغويّة الحديثة والقديمة؛ تمكنا من استنتاج أهم النّقاط التي قام عليها البحث اللّغوي عبر المراحل الزّمنيّة المختلفة لهذه الأعمال بواعث فكرية انطلقت منها وتأسّست عليها ومبادئ إجرائية استعملتها في أعمالها اللّغويّة.

3-مظاهر الفكر اللّساني الغربي في اللّسانيّات العربيّة: من المؤكّد أنّ اللّسانيّات الغربيّة علا صداها كل الساحات اللّغويّة العالمية وخاصة بعد ظهور الدّراسات الوصفيّة والبنيويّة بزعامة فرديناند دوسوسير الذي أقرّ طابع العلميّة على كل الدّراسات اللّغويّة واتسع نطاق الفكر اللّساني الغربي ليصل صداه الوطن العربي الكبير مشرقا ومغربا مستندا في ذلك إلى تأثر المتطلّعين والمولعين بالدّراسات الغربيّة. حيث ظهرت دراسات وأعمال شملت كافة الإنجازات اللّغويّة الأوروبية خاصة، والغربيّة بصفة عامة. فتمّ طرق باب المناهج على نحو المَنْهَج التّاريخي والوصفي والبنيوي، وظهرت عينّات دراسيّة تتناول أعمال دوسوسير وأفكاره. وانتقلت إلى الاهتمام بالدّراسات الصوتيّة الغربيّة. واهتمت بنظريّات اللّغة وتحليلها كنظريّة فيرث ونظريّة مارتيني، والنّحو التوليدي التحويلي وأمست الساحة اللّغويّة العربيّة محطة تبادل فكري ومنهجي يستمد قواه من فحوى الممارسات اللّغويّة الغربيّة؛ فظهر الأتباع والأشياع ورافقتها أعمال لسانيّة لا تكاد تحيد عن النّمط الغربيّ في التأليف والتصنيف. وباتت تضاهي النظرات اللّغويّة العربيّة الأصيلة كالنّظريّة الخليليّة في علم الأصوات أو النّظريّة الجرجانية في علوم البلاغة؛ فلم

يمض القرن التاسع عشر ويأتي القرن العشرين حتى اتضحت معالم الفكر اللّساني الغربيّ بكافة اتجاهاته في أرجاء المعمورة العربيّة وظهر رواد المناهج والنّظريّات الفكريّة اللّغويّة الغربيّة من بني العرب، وراحوا ينظمون على نحو ما تمليه تلك المناهج، ولا يكادون يفترون عنها في صغير أعمالهم وأسّسوا لمفاهيم جدية اعتلت المنصّة اللّغويّة العربيّة كمصطلح البنيويّة العربيّة والتّداوليّة والوظيفية العربيّة، وتسارع الكثير من مثقفي العرب إلى إتباع ما تمليه لسانيّات الغرب.

في هذا الباب نقوم بسرد مجموعة من التّجارب لمجموعة من اللّغويين المحدثين والمعاصرين على سبيل التمثيل والحصر ونخص هنا:

-الأستاذ إبراهيم أنيس والأستاذ محمود سعران والأستاذ تمّام حسّان والأستاذ كمال بشر والأستاذ عبد الرّحمان أيوب والأستاذ أحمد متوكّل.

-واعتمدت هنا أهم الآراء والأفكار التي جاء بها هؤلاء ناهيك عن طرقهم المنهجيّة التي قامت عليها أعمالهم المختلفة.

وسأقوم بذكر كلّ باحث انطلاقا بالترتيب الذي قدّمته في بادئ الأمر.

أ-إبراهيم أنيس وأعماله اللّغويّة: لقد كان لهذا اللّغوي البارز أعمال مهمّة مثّلت رؤاه وأفكاره لتتضح وتتجسد في كتبه المختلفة محاولا تطبيق عدة مناهج غربية كالوصفيّة والتّاريخيّة والبنيويّة وغيرها مستأنسا في ذلك لنماذج من اللّغة العربيّة مقتنعا بأن هناك سندا توافقا بين ما تمليه المناهج الغربيّة، ونظيرتها اللّسانيّات العربيّة ويمكننا هنا استبيان ما استطعنا استلهامه من أعماله المتنوعة:

-إنّ الدّارس لكتب الأستاذ إبراهيم أنيس خاصة كتاباه: 'الأصوات اللّغويّة' و'دلالة الألفاظ' يلحظ ملاحظة هامة وهي أنّ الأستاذ إبراهيم يسعى إلى مقارنة مباشرة بين آراء

وأفكار اللّغويين القدامى في دراستهم للأصوات وتصنيفها وبين ما تقدمه الدّراسات الوصفيّة والتّاريخيّة في اللّسانيّات الغربيّة وهذا ما يتطلّع إليه في عموم دراساته اللّغوية ونستخلص من أفكاره المستلهمة من رؤاه ما يلي:

1-درس الأصوات العربيّة دراسة وصفية مستحضرا في ذلك قواعد المَنْهَج الوصفي.

2-قيامه بتصنيف الأصوات العربيّة ضمن قاعدة النّظريّة الفونولوجية الحديثة.

3-دراسةمستويات اللّهجات والبحث في تطوراتها ومقارنتها بعلم القراءات القرآنية ثمّ القيام بوصفها وصفا دقيقا يحقق المعرفة الخاصة بتطور الألفاظ العربيّة.

4-اعتماده في كتابه "دلالة الألفاظ على تطبيق مفاهيم النّظريات الدّلالية الحديثة المستوحاة من مفاهيم بلومفيلد البنيويّة ومقارنتها بما يستدل عليه من كلام العرب"[1].

5- يؤمن بجدارة الأبحاث اللّسانيّة الغربيّة في تنمية اللسانيات الغربيّة.

ب-محمود سعران وأعماله اللّغويّة: لاشكّ في أنّ الأستاذ 'محمود' سار على منوال الأستاذ إبراهيم أنيس. فقد اهتم بدراسة المناهج الغربيّة وتأثّر بها ودعا إلى توظيفها بما يناسب اللّغة العربيّة من إجراءات وتطبيقات ولقد تجلّت هذه البادرة في كتابه المميز الذي صدر سنة 1962م بعنوان 'علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي'؛ فقد كان متأثرا تأثّرا بالغا بالدّراسات البنيويّة، وهذا ما ميز محتوى كتبه ولقد كان صريحا بقوله: "وأنا لم ألتزم في جملة ما عرضت مذهبا بعينه في كل أصوله وفروعه من هذا الدّرس اللّغوي المتعدّدة

1-ينظر، إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، 1984م، ط5، ص43/42.

بل ركنت إلى التعريف بالأصول العامة التي ارتضيتها والتي قلّ أنّ يختلف فيها أهل هذا العلم مع بيان مصادرها ومذاهب أصحابها في معظم الأحوال مع الإشارة في الوقت نفسه إلى الآراء المخالفة الصادرة عن مذاهب أخرى، حتى يكون القارئ على بينة من المذاهب اللّغويّة المختلفة وعلى دراية بالفلسفات التي قامت عليه"[1].وتتمحور رؤيته في:

1-روّج محمود سعران لفكرة البنيويّة العربيّة وقد وظّف مصطلح البنيويّة في العديد من كتاباته وقدّم لذلك مقابلا في العربيّة.

2-أراد استخلاص نموذج موحد في الدّراسات البنيويّة العربيّة، يجمع بين التحليل الشّكلي الذي ظهر عند التوزيعيين وبين نظرية فيرث التي تجمع بين الصوت والدلالة.

3-أرسى المَنْهَج الوصفي على عموم أعماله، ورآه مناسبا للدّراسات اللّغويّة العربيّة.

ج-تمّام حسّان وأعماله اللّغويّة: هذا اللّغوي من أبرز اللّغويين العرب الذين أثْرَوا الساحة اللّغويّة العربيّة بأهم الأعمال والمجهودات، ولم يخف تأثره الظاهر بمعطيات اللّسانيّات الغربيّة من مناهج ونظريات. فقد كان منكبا على الدّراسات الوصفيّة، وتبنّى المَنْهَج الوصفي في دراساته اللّغويّة ونجد كتابه الموسوم بـ: 'اللّغة بين المعيارية والوصفيّة' الذي صدر عام 1958م نقطة انطلاق توجهه التحليلي، وكان قد قبل هذا الكتاب عملا آخر عنونه بـ: 'مناهج البحث في اللّغة'، وصدر عام 1955م، ففي هذا الكتاب اعتمد أسلوبا خاصا في شرح المَنْهَج الوصفي يجمع بين نماذج لغوية فصحى وأخرى عامية وأخرى نماذج لغوية أجنبية بحجة أن هذه الطريقة أوفى في بسط إجراءات المَنْهَج الوصفي في اللّغة العربيّة، وأقربها للشرح والتحليل الوصفي العميق. ونعرض هنا أهمّ الذي أظهره الأستاذ (تمّام حسّان) في هذا التوجه المعرفي والمَنْهَجي والنظري كما يلي:

1-محمود السعران، علم اللّغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، ص317.

1–دراسة النّحو العربي من كل جوانبه ومعطياته دراسة وصفية تتخلّلها رؤى نقدية. ويجب الإقرار هنا بأنّ الأستاذ (تمّام حسّان) خصّ النّحو العربي القسط الأوفر في آرائه الوصفيّة التحليليّة.

2–استنتج نقاط تقاطع منهجيّة بين التراث العربي وما ترصده المناهج الغربيّة ومثّل لذلك باعتبار أنّ (نظريّة فيرث السياقيّة) تتلاقى في اهتمامها بالسّياق اللّغوي مع ما ورد في (نظريّة النّظم) عبد القادر الجرجاني. واعتبر هذا عاملا محفّزا لإضفاء الصفة المَنْهَجية الغربيّة على الدرس اللّغوي العربي والسعي قدما إلى تطوير نظام اللّغة العربيّة اعتمادا على الطرق المَنْهَجية العصريّة.

3–دعوته في كتابه الأول المسمّى 'مناهج البحث في اللّغة' إلى دراسة المكوّنات اللّسانيّة وفق التحليل البنيوي، واهتم بمصطلحات الفونيم الصوتي ووظيفة الكلمة؛ وأدرج مخطّطا دراسيا يقوم على التحليل العلمي حيث تضبطه أدوات قواعد الوصف كاستعماله للتوزيع والقيم الخلافية والوظيفة والبنية وانتقاءه كل ما يناسب قواعد اللّغة العربيّة من إجراءات النّظريّة الوصفيّة والبنيويّة ويقول تمّام حسان معلقا على كتابه (مناهج البحث في اللّغة: "فقد جاء ذلك الكتاب في حينه ليقدم للقارئ العربي ما اصطنعه الغربيون من منهج وصفي وليعرض هذا المَنْهَج عرضا مفصلا آخذا أمثلته ووسائل إيضاحه من الفصحى حينا، ومن العاميّات حينا ومن لغات أجنبيّة حينا ثالث فلم يكن بحثا خالص للفصحى بقدر ما كان عرضا للمنهج الوصفي"[1].

4–أما في دراسة المستوى النّحوي، فقد استعمل نمطا منهجيا تحليليا يعتمد أساسا على التوجه الوظيفي فهو: حسب ما يراه تمّام حسّان يقوم بتصنيف وترتيب

1–تمّام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، 1994م، ص7.

العناصر المكوّنة للبنية على أساس (الشّكل والوظيفة)؛ وذلك عن طريق استقراء نتائج التحليل البنيوي لقواعد النّحو العربي.

5-إذا تأملنا كتاب 'اللّغة العربيّة معناها ومبناها' للأستاذ 'تمّام حسّان' الذي صدر عام 1973م نتأكد من أنّ صاحبه سعى جاهدا لدراسة وصفية واضحة المعالم للّغة العربيّة بناءا على ما تتضمنه قواعد البنيويّة ويكمن هدفه في هذه الدّراسة فيما يلي:

أ-دراسة اللّغة العربيّة دراسة (وصفيّة شاملة) تقف عند حدود اللّغة العربيّة، وفق ما تمليه 'نظرية فيرث السياقية' التي تميز بين (المعنى المعجمي) و(المعنى المقامي).

ب-إعادة قراءة التراث (النّحوي العربي) قراءة جديدة علميّة وفق نظريّة علميّة تعمل على صياغة (منهجية حديثة) تراعي البعد العلمي العالمي الجديد.

6-ويمكن القول إنّ الأستاذ (تمّام حسّان) أراد من أعماله أهدافا منظّمة ومحدّدة وهي:

-"استخلاص المَنْهَج الوصفي للنّظريّة اللّغويّة العربيّة القديمة وإعادة قراءة التراث القديم بمنوال جديد يواكب به الحضارة اللّسانيّة المتطوّرة"[1].

-اعتماد نظريّة فيرث السياقيّة في دراسة دّلالة الكلمات العربيّة.

-دراسة أصوات اللّغة العربيّة وفق نظريّة الفونولوجيا المستلهمة من مدرسة 'براغ'.

ت-كمال بشر وأعماله اللّغويّة: لقد كان هذا الأخير متأثرا بالدّراسات الغربيّة وسعى كغيره للخوض في المناهج الغربيّة وتجلّت اهتماماته في كتابه الشهير 'دراسات في علم اللّغة' المنجز عام 1969م، حيث اهتم بالتأصيل للنظريّة اللّسانيّة الحديثة من التراث

1-ينظر، المرجع السّابق، ص7.

اللّغوي العربي جازما وواصفا بأنّ ما أتى به ابن جني والسكاكي يتطابق مع ما أتى به 'فيرث' في نظريّته السياقيّة ونحصر أهم النّقاط التي تم التوصّل إليها في ما يلي:

1-قام بدراسة وصفيّة تحليلية لأعمال بن الجني والسكاكي واستنتج أنّ كلاّ منهما وُفِقَ لإدراك العلاقات النسقية بين مستويات اللّغة المختلفة.

2-دعا إلى دراسة اللّغة العربيّة وفق مناهج متعددة وليس بالضرورة التقيد بمنهج واحد.

هـ-عبد الرّحمان أيوب وأعماله اللّغويّة: لقد كان لهذا اللّغوي توجه دراسي واضح في اتباع المناهج الغربيّة خاصة منها الوصفي، فقد قدّم دراسة وصفية نقدية خصّ بها النّحو العربي في كتابه الصادر 1957م بعنوان: 'دراسات نقدية في النحو العربي' أراد من خلالها التوطيد للنظريات اللّسانيّة الحديثة وتكمن أهدافه فيما يلي:

1-رأى بأنّ المَنْهَج الوصفي ملائم للنّحو العربيّ؛ لأنّ هذا الأخير في نظره يقوم على الاستنباطات العقلية القياسية في حين أنّ اللّسانيّات الوصفيّة تختار الأمثل والأنسب.

2-كان منصبا على دراسة كتاب 'مناهج اللّسانيّات البنيويّة' لمؤلفه 'زليج هاريس'، وتأثّر بما يراه هاريس الذي يدعو إلى الدّراسة الوصفيّة التي تقوم على مبدأ التحليل الشّكلي.

3-"في نظره أنّ العرب تأثّروا بـ'فلسفة المنطق'، واحتج بذلك في تقسيمهم الثنائي للجملة على أساس المسند والمسند إليه، ورأى أن هذا كان متجليا في تعريف أرسطو للجملة"[1].

يمكن الجزم بأنّ المدارس اللّسانيّة كلها كان لها أثر واسع في الكتابات العربيّة إلا أنّ اللّسانيّات البنيويّة كانت أشد وطئا وتأثيرا في الدّراسات اللّغويّة العربيّة الحديثة؛ ودليل

1_ينظر، عبد الرّحمان أيوب، دراسات نقديّة في النّحو العربيّ، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت د-ت، ص9.

ذلك تلك الأعمال التي أوردناها وربّما لا يخلو بلد من البلاد العربيّة إلا وراح مثقفوه اللّغويون يدرسون هذا المَنْهَج ويمثّلون له واستنطاق قواعده ومقاربتها بمكنونات التراث اللّغوي العربي محاولين في ذلك رفع الغموض عن تراث اللّغة العربيّة والاحتجاج على قدرتها في التلقي والاستفادة من كل ما تقدمه الحضارة الإنسانية في عالم اللّغويات وعلى هذه الشاكلة كانت الوصفيّة فتعالى صوتها مثل البنيويّة؛ فاقتنع الكثير من رواد اللّغة المشاهير بالأخذ بإجراءاتها والعمل بها. ورأوا ذلك مناسبا للدّراسات اللّغويّة العربيّة. وعلى غرار البنيويّة والوصفيّة لم تخل الدّراسات اللّغويّة العربيّة من إرهاصات علميّة أخرى فقد تقدمت التّوليديّة والتحولية واللّسانيّات التّداوليّة والوظيفية إلى ساحة اللّسانيّات العربيّة بشرف ونال منها العرب قسطا هاما من الدّراسات والتطبيقات ونوضح هذا بنماذج:

-اللّسانيّات التّداوليّة والوظيفية: نجد (أحمد المتوّكل)؛ وهو باحث لغوي مغربي يمثّل هذا الفرع اللّساني المعاصر؛ فراح يدرسه مادة ومنهجا متبعا في ذلك خطوات هذا المولد اللّساني المعاصر بكل دقة وترتيب؛ محاولا جاهدا أن يصب خصائص هذا الاتجاه المعرفي الجديد على التراث اللّساني العربي النفيس. فهبّ يؤسس للوظيفية والتّداوليّة العربيّة وفق المنوال الغربي، مستشهدا في ذلك بأمثلة عربيّة تتناسب والرؤى الغربيّة الحديثةّ ونتزود هنا بقوله: "وفي مجال التنظير اللّساني يستهدف اللّساني وضع نموذج للمعرفة اللّغويّة -بها- يسعى المنظّرون إلى إقامة نموذج لقدرة مستعملي اللّغة الطبيعية على التواصل بواسطة اللّغة -فهو- نموذج يمثل للملكات اللّغويّة وغير اللّغويّة المساهمة في عملية التواصل إنتاجا وفهما"[1]، ويمكننا أن نفصل وجهته من خلال استحضار أعماله وفق ما يلي:

1-أحمد المتوكّل، التّركيبات الوظيفيّة قضايا ومقاربات، مكتبة دار الإيمان، الرباط، ط1، 2005م، ص49.

قبل الحديث والتطرّق إلى أعمال أحمد المتوكّل نقف هنا عند إرهاصات اللّسانيّات التّداوليّة خصائصها ومفاهيمها:

مصطلح التّداوليّة: يقابله في العربيّة علم الخطاب، أو التخاطب وهو اسم مشتق من مادة 'خ.ط.ب' ولفظ 'خطب' في معجم لسان العرب تعني "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن"[1]. وورد معنى الخطاب عند الزمخشري في تفسيره للفظة 'فصل الخطاب' الواردة في {القرآن الكريم}، بقوله: هو "القصد الذي ليس فيه اختصار مخل، ولا إشباع ممل"[2]. أما التّداوليّة كعلم لساني غربي؛ فإنّه علم يدرس كيفية استعمال اللّغة داخل حيز التواصل اللّغوي؛ ولا ربما التعريف واضح عند روادها على أمثال موريس الذي ينسب له أقدم تعريف للتداولية بحيث يعتبرها جزء من السمياء تعالج العلاقات بين الإشارات ومستعمليها، وقد ذهب كل من'آن ماري ديبر' وفراس وازريكاناتي' و' فرانسيس جاك' إلى اعتبار التّداوليّة علما يقف عند ضوابط استعمال اللّغة في حيز تواصلي اجتماعي، وجذور هذا العلم تعود إلى فلاسفة اللّغة إلى كل من 'بيرس' و'كارناب' و'موريس' الذين أرادوا البعث باللّسانيّات الحديثة في قالب جديد هدفه إنشاء عملية تواصل نموذجية. والتّداوليّة تمثل "حلقة وصل هامة بين حقول معرفيّة عديدة منها الفلسفة التحليلية..وعلم النفس المعرفي..وعلوم اللّغة"[3].

1-ابن منظور، لسان العرب، مراجعة يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، ج2، 1988م، ص856.

2-الزمخشري، الكشّاف عن حقائق التنزيل، تحقيق محمد عامر، دار المصحف، القاهرة، د-ت، ج56، ص125.

3-مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008م، ص25.

ت-أحمد المتوكّل وتأثّره بالمنحى اللّساني التّداولي: لقد نقل أحمد المتوكّل النموذج التحليليّ لوظائف اللّغة التّداوليّة دون أي 'حذف'، أو 'تحوير'، أو 'تضمين'، وهذا دليل قطعي على تأثره البالغ بمباحث (اللّسانيّات التّداوليّة والوظيفيّة)، فقد اكتفى بترجمة العناصر التحليلية إلى ما يقابلها عربيا وفق استعمال أمثلة من اللّغة العربيّة كنماذج للتحليل وتجلّت أعماله مباشرة في كتبه التالية: (اللّسانيّات الوظيفيّة، قضايا اللّغة العربيّة في اللّسانيّات الوظيفيّة، والتركيبات الوظيفيّة قضايا ومقاربات)، ونقدّم هنا الصوّر التعريفيّة للمفاهيم التّداوليّة كما قدّمه أحمد المتوكّل.

-تصنيفه للوظائف التّداوليّة:

أ-الوظائف الدّاخلية:

1-البؤرة: هي المكوّن الذي تشير دلالته إلى المعنى الهام في الجملة المستعملة وبصيغة أخرى "هي العلاقة التداوليّة التي يحملها المكوّن الحامل للمعلومة"[1]، نأخذ مثلا جملة 'دخل الأستاذ مسرعا يلقي الدرس':

فالبؤرة هنا تتحدد بحسب حركة المقابل من المشاهد والمستمع؛ أي إن كان التلاميذ أهمهم أمر دخول الأستاذ؛ فالبؤرة تحدد في الجملة كما يلي: 'دخل **الأستاذ** مسرعا يلقي الدرس'، وإن كان التلاميذ أهمهم سرعة دخول الأستاذ، فتصبح البؤرة معيّنة في لفظ مسرعا أي 'دخل الأستاذ **مسرعا** يلقي الدرس'، وإن كان إلقاء الدرس هو أهم من دخول الأستاذ وسرعة دخوله، فتكون البؤرة في كلمة الدرس أي 'دخل الأستاذ مسرعا يلقي **الدرس**'؛ بمعنى أن البؤرة أو هي 'المفيد' من الكلام، والمهم يقاس بالبؤرة 'المقابلة' لدى الملاحظ/ مُستمِعٍ أو قَارِئ.

1-أحمد المتوكّل، اللّسانيّات الوظيفيّة مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، 2010م، ص33.

والبؤرة تتفرّع إلى نوعين نوع يسمّى بالبؤرة الجديد، وهو ما لا يتضمّنه ذهن السّامع أو المشاهد من فكرة سابقة عما يتلقاه في عملية التخاطب، ونوع يسمّى بؤرة مقابلة، وهذا النّوع يكون معناه غير مفاجئ لدى المتلقي باعتبار أسبقية الوجود.

2-المحور: وهو العنصر الدّال على المقصود به من عملية الكلام أيّ 'المحدث والمخبر عنه' نمثل لذلك بالجمل الآتية ضمن عملية حواريّة:

يقول: 'فريد': 'يا خالد أجاء أحمد' يرد 'خالد' بقوله: 'لا أدري يا فريد أظنّه لم يأت بعد' تضمّن هذا الحوار ثلاثة أسماء: فريد -خالد- أحمد؛ فالعبارة الأولى استهدفت شخص 'أحمد'؛ وهي بصيغة السؤال والعبارة الثانية استهدفت شخص 'أحمد'؛ وإن دلّ عنها مضمون العبارة فقط. وهي بصيغة الإجابة والنّتيجة هنا أنّ المحور الذي نشأت عليه العملية الكلامية هو كلمة 'أحمد'.

ب-الوظائف الخارجيّة:

1-المبتدأ: في النّحو العربي المبتدأ هو الذي يبتدئ به الكلام، ويستثنى من ذلك الفعل والحرف وظرفا الزّمان والمكان لأنّهما شبه جملة. أمّا في التّداوليات فالمبتدأ هو "المكوّن الذي يدلّ على مجال الخطاب"[1] وظيفته ترتيب المكوّنات داخل الجملة مهما كان موقعه وهو الرابط بين تراكيبها مثل قولنا:

-'جاء عمرُ المدرسةَ'، و'عمرُ جاء المدرسةَ'، و'المدرسةَ جاء عمرُ' نلاحظ أن كلمة 'عمر' في العبارة الأولى فاعل وفي العبارة الثانية مبتدأ وفي العبارة الثالثة فاعل تقدّمه مفعوله،ففي المفهوم التداولي المبتدأ ما وقع معناه في ذهن السامع مُستدركًا قبل غيره

1-علي آيت أوشان، اللّسانيّات والبيداغوجيا نموذج النّحو الوظيفي الأسس المعرفيّة والديداكتيكيّة، مطبعة النجاح الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص63.

لأنّه هو المقصود في نصّ الكلام مهما كان موقعه؛ لأنّ مجاله خارج تركيب الجملة بحيث يقتصر دوره في وظيفة معنويّة هدفها الربط التركيبي؛ فأحمد المتوكّل يرى ما تراه التّداوليّة من أنّ المبتدأ لا يمثّل وظيفة داخليّة.

2-الذيل: في تعريفه هو "المكوّن الذي يسند له دور التعديل أو التوضيح أو التصحيح لمعلومة ما في جملة من الجمل".[1]

3-المنادى: أضاف 'أحمد المتوكّل' في إنجازاته مسمى جديد في الدّراسات التّداوليّة يسميه المكوّن المنادى باعتبار أن اللّغة العربيّة لها خصوصيتها في التّحليل التّداولي. والمنادى هنا هو "المكوّن الدّال على الكائن المنادى في مقام معيّن"[2].

لقد كان الهدف من دراستنا هذه استنباط أثر الفكر اللّساني الغربيّ في التّراث العربيّ مدركا كل الإدراك أنّ اللّسانيّات العربيّة قد استجابت للحضارة اللّسانيّة العربيّة في كافة مجالاتها، فظهر كما أسلفنا مناهج عدّة كان أهمها المَنْهَج الوصفي والبنيوي، ثمّ تلاه النحو التوليدي والتّحويلي واللّسانيّات الوظيفيّة والتّداوليّة. ولا يمكن حصر كافة مظاهر اللّسانيّات الغربيّة في عمل موجز، بل لابد أنّ يخصّص لذلك أبحاث موسّعة.

4-الفكر اللّساني العربي بين التّجديد والتّقليد: شهدت اللّغات حركة تطوّرية هامة في مختلف ميادينها؛ بدءا من النّظريّات والمناهج انتهاء إلى تأسيس المدارس اللّسانيّة. فعزّز ذلك من ظهور التيارات الفكريّة اللّسانيّة المتخصّصة في دراسة علوم اللّسان مادة

1-ينظر، صلاح الدين ملاوي، محاضرات في اللّسانيات الوظيفيّة، جامعة محمّد خيضر بسكرة الجزائر، العام الدراسي: 2012/2011م، ص43.

2-خليفة بوجادي، في اللّسانيّات التداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدّرس العربيّ القديم، بيت الحكمة للنّشر والتوزيع ط2، 2012م، ص98.

ومنهجا. ولم تكن السّاحة اللّغويّة العربيّة بمنأى عن ذاك الحراك الخطير؛ الذي غيّر التوجّه الفكريّ العلميّ في حقل اللّسانيّات خاصة وعلوم اللّغة عامة. وبالطبع استجابة اللّغة العربيّة إلى هذا النّداء العلمي المثير؛ واعتبر ذلك بمثابة ثورة حقيقية في حقلا للّسانيّات العربيّة. فانقسم المشهد اللّغوي العربي بين مؤيّد ومعارض، ومستبشر ومستنفر. فهيّج ذلك السّاحة اللّغويّة العربيّة وجعلها معتركا خصبا للمناهج والأفكار وأخذ التّفكير اللّساني العربيّ المعاصر منحى خطرا ساهم في تأجيج الحركة الفكريّة في ميادين اللّغة العربيّة بحسب التوّجهات النّظريّة والمَنْهَجيّة.وبعد هذه الحركة الفكريّة الفعّالة في عالم اللّغويات الغربيّة التي تجلّت في مناهج ونظريّات لسانيّة رافقت القرنين التاسع عشر والقرن العشرين، واتساع هذه النزعة العلميّة من منشئها غير مستثنية في شيوعها في البلاد العربيّة، فقد لقيت هذه النّهضة ذات الأصول الأوروبيّة الواردة إلى عالمنا استجابة هائلة؛ فظهرت على إثرها الأعمال والانجازات التي لا تكاد تترك شيئا ممّا وجد في الفكر اللّساني الغربي إلا وخاضت فيه مستندة إلى فكرة مفادها أن التّراث اللّغوي العربي بحاجة ماسة إلى مناهج جديدة تساعده على التطور ومسايرة الرّكب اللّغوي العالمي المسارع في التقدّم العصري والنّهوض العلمي، فكان لزاما لهذه النّقلة النّوعية في عالمنا اللّغوي أن تلقى ترحيبا واسعا كما كان عليها أن تتقبّل معارضة وانتقادا واسعا. بل قد تعالت أصوات تدعو إلى الكفّ عن هذا التوغل الخطير للمناهج الغربيّة معتبرين ذلك خرقا للخصوصيّة العربيّة ومساسا بكيانها الوجودي، ولا شك أن هذا الفراق طفا على واجهة الدّراسات اللّغويّة العربيّة؛ حيث نجم عن ذلك حركات لغويّة متعدّدة؛ فظهرت تيارات لغوية أدبية تنادي بالقوميّة وأخرى تنادي بإحياء التراث؛ وتمجيده وفريق آخر تهافت إلى مناهج الغرب مادة وشكلا. فباتت اللّغة العربيّة بين محكّين: فريق يلزمها التجديد للتراث والتمسّك بكنوز اللّغة ودعا إلى قولبة التراث وبعثه في منوال علمي حديث وفريق آخر تغنى باستعمال النّظريّات الغربيّة، دون تمحيص ولا تخصيص. إذن فهذا صراع لا محالة بين اتجاه التجديد واتجاه التقليد. ولا يخفى علينا أنّ هناك اتجاه دعا إلى التدبر

والتأني، فهؤلاء آمنوا بفكرة المزاوجة أيّ بالغوص في التراث واسترداد المناسب مع المحافظة على الثوابت والقيم واستخلاص المفيد من بعثات الغرب الفكريّة والمَنْهَجية وهذا قريب إلى الصواب لأنّ "الأصالة تعني النمو والتطور والاستمرار والتكيف بعيدة عن كل جمود وركود"[1].و'الحداثة' نمط عصري وافد قد يحمل في طيّاته بوادر 'الإفادة النافعة'. وبما أنّنا اخترنا الحديث عن الفكر اللّسانيّ العربيّ بين التجديد والتقليد سنقدّم هنا آراء ورؤى لعدد من المفكرين واللّغويين وننقل تعليقات حول قضايا اللّغة العربيّة في ظلّ واقع تسوده مطايا التقدّم والازدهار. وهذا سيبيّن حقيقة التجديد والتقليد في اللّغة.مصطلح التجديد في اللّغة العربيّة مشتق من الفعل 'تجدد' وهو بمعنى البعث والإحياء والإعادة، ويقال "جدّد الشيء 'أي' صيّره جديدا"[2]،و'أعاده على شاكلته الأولى التي وجد عليها' في صورته البدائيّة التي انطلق منها ولذلك سُمي كل شيء لم تأت عليه الأيام (متغيّرات الزّمن) جديدا، ولفظ الجديد تعني البعث.

ومن هنا نخلص إلى أنّ التّجديد في معناه اللّغوي يقيم في الذهن صورة تتلاقى فيها ثلاثة معانٍ مترادفة على الرّكب المرتب وفق الآتي:

-أولها: أنّ الشيء المجدد له أثر سابق بمعنى أنّ النّاس يدركونه إمّا عن طريق المشاهدة السابقة أو الأخبار اللّاحقة.

-ثانيها: أنّ الشيء المجدّد اختفت صورته الحقيقيّة التي كان عليها، فهو يرمي إلى العودة والبعث والإحياء.

1-سالم علوي، وقائع لغوية وأنظار نحويّة، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000م، ص13.

2-إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط2، ج1، باب الجيم، د-ت، ص147.

-ثالثها: بعد الإحياء والتجديد يتمّ تأهيله للاستعمال على أنه نمط حضاري حديث يتصل بصورته القديمة ويحافظ على صورته الحديثة.

التقليد: يحمل صورا تفسيريّة عدّة وأصحابه لا يتبنونه بمفهومه الحقيقي؛ كونهم ينظرون إلى أعمالهم بأنّها تنمو من سندال التجاوب مع الغير ومحاكاة العلوم والمستجدات المعرفية لا من وَهْم التبعية وخلاصته:

-أولا: تأثّر المتتبع أو الدّارس بما يجده في غيره واعتقاده وجه الكمال فيما تأثر به.

-ثانيا: الرّغبة في الاستفادة من خلال محاورة الحضارات الفكريّة الغربيّة المختلفة.

-ثالثا: إهمال التراث والموروث والذوبان في الغير فكرا ومنهجا وعلما، وهؤلاء لم يلقوا تجاوبا كبيرا في عالم اللّغة والفكر وإرهاصاتهم العمليّة ضعيفة.

بعد الوقوف على مفاهيم التّجديد والتّقليد ننتقل هنا إلى الاطلاع على إرهاصات جدليّة التّراث والحداثة وفق نماذج وصور توضيحيّة:

نبتدئ بقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي في كتابه الأسلوبيّة والأسلوب: "الحداثة والمعاصرة تؤمان يتجاذبان الفكر العلمانيّ الحديث حتى لكأنّ عصر البدائل عصرنا، لأنّ المنحى التطوّري قد عدمته حضارة السالفين، وإنّما تفاوت ما بين تسارع الحركة الماضية وتسارع المفارقات الحركيّة -في يومنا هذا-. ولئن تمثّل الفكر الغربي هذين التوأمين منذ أحقاب حتى صهرا في بوتقة تاريخيّة؛ فإنّ المنظور العربي لا يزال يتصارع وإياهما. لذلك كانت القضية أشدّ ملابسة بالعرب في تحسّسهم سبل المناهج المستحدثة وأبعد تعلّقا بمشاغل اتصالهم بغيرهم أو انفصالهم عنه"[1]، ونذكر قولا مهمّا

1-عبد السّلام المسدّي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1982م، ص17.

للأستاذ عماد الدين خليل: "هناك مساحة واسعة من القلق والغموض بصدد الموقف من ثنائيّة الأصالة والمعاصرة أو التراث والحداثة التي تبدو في أكثر صيغها جدّة. فيما اصطلح عليه بتيار الحداثة وتأتي في هذا السياق معضلة التعامل مع المعطى الغربي بشكل عام..وتأخذ هذه الإشكالية صيغا شتى من بينها على سبيل المثال ذلك الاعتقاد الخاطئ السائد لدى العديد من الأدباء..بأنّ احترام التراث يوجب رفض الحداثة والتنكر لها. أو أنّ قبول بعض حلقات الحداثة يعني بالضرورة التنكّر للتراث، ولقد ثار جدل كثير حول هذه المسألة التي بنيت على فرض خاطئ، فإنّ أحد القطبين لا ينفي الآخر بالكلّيّة، بل يمكن أن يجد فرصته للتحقّق جنبا إلى جنب"[1].

ونستمر هنا في تقديم الإيضاحات قبل الانتقال إلى الاستشهاد، فالحداثة "حركة دائمة باتجاه المستقبل، تنبثق عن ماض مضيء لذلك يكون الكلام على ما بعد الحداثة مرفوضا، فالحداثة ليست لحظة زمنية محدّدة، إنّها الجدّة التي لا تعرف البلى، وهي إبداع لا تخلّق فيه قديم من حيث الزمن محدث متجدّد من حيث الجوهر والمعنى. فالحداثة لا تعبر على مرحلة آنيّة، وإنّما هي حركة تأسيس واستباق قوامها التساؤل والكشف، إنّها معادلة إبداعية بين الثابت والمتغير أي بين الزمني والوقتي، فهي تسعى دائما إلى صقل الموروث لتفرز الجوهري منه، فترفعه إلى الزماني بعد أن تزيح كلّ ما هو وقتي لأنّه متغير ومرحلي"[2].

وبحسب القارئين لأوضاع اللّغة العربيّة فإنّ بوادر الافتراق والتلاقي في الفكر اللّساني

1-عماد الدين خليل، الثنائيات توافق أم تضاد، مجلّة الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت عدد 25، السنة 1421هـ، المجلّد السابع، ص8.

2-مها خير بك ناصر، الأدب العربي بين الأصالة والمعاصرة، مقال منشور بمجلة التراث العربي، دمشق عدد 96 25 كانون الأول: 2004م.

العربي الحديث كانت من بواكير الحركات اللّغويّة في الوطن العربي. اعتبر كل من 'رافع رفاعة الطهطاوي' و'فارس الشدياق' و'جورجي زيدان' من الرواد الأوائل الذي درسوا المناهج الغربيّة واعتنقوا مبادئها، وظهر في كتبهم ما يدل على توجههم الفكري الجديد فقد كان الطهطاوي متوغلا في دراسة اللّغات الغربيّة، وخصّ قسما كبيرا فيها للّغة الفرنسية، وحذا حذوه 'جورجي زيدان' في كتابه 'الفلسفة اللّغويّة والألفاظ العربيّة' فهؤلاء حاولوا أن ينقلوا آراء اللّغويين الأوروبيين في نظرتهم لطبيعة اللّغة ووظيفتها وطرق تحليلها، وبحثوا على وجه التقليد كيفية الاستفادة من محتويات المناهج والنّظريات الغربيّة ويمكن رصد موقف أنصار المناهج الغربيّة في ما يلي:

1-نظرهم للحضارة العربيّة اللّسانيّة بأنّها تفتقر إلى مقوّمات التفوّق، ويجب إعادة النّظر في شاكلتها ونظمها القديمة.

2-رأوا أنّ إنجازات اللّغويين القدامى اقتصرت على دراسة نظام اللّغة لذاتها فقط بمعنى أنّ اللّغة العربيّة منغلقة في أبحاثها حول نفسها ولغة معزولة حسب رأيهم.

3-انتبهوا إلى خصائص وميزات نظريّة ومنهجية في اللّسانيّات الغربيّة اعتبروها لازمة في دراسات اللّغة العربيّة.

والحقيقة أنّ التقليد له أوجه متعدّدة ومختلفة لا يمكن وضعها أو حصرها في كَنَفٍ واحد فنقدم على سبيل الشرح والتوضيح عموم التوّجهات التقليدية التالية:

أ-اتجاه هدفه الرغبة في إثراء الدّراسات اللّغويّة العربيّة بأفكار ورؤى في ظنهم مفيدة كأعمال 'أحمد متوكل' الذي اعتنق اللّسانيّات التّداوليّة والوظيفية وراح يؤسس لعلم التّداوليّة العربيّة والوظيفية العربيّة، ونجد أيضا 'طه عبد الرّحمان' فيلسوف اللّغة العربيّة الذي أراد أن يمنح للّغة وجها وصفيا علميا دقيقا مفاده أنّ كل اللّغات تدرس انطلاقا من بواعثها الفكريّة الأصيلة مع متابعتها بما تقتضيه الحضارة اللّسانيّة العالمية.

ب–اتجاه تقليدي أبعد كلّيا وصَال الارتباط بين التراث القديم، والواقع اللّغوي الحديث وتمثل هذا الاتجاه في رفضه لمعطيات اللّغة العربيّة القديمة، ولم يبق منها إلا المادة اللّغويّة للدراسة، فقد راح أنصاره يُلِمُّون بالمناهج الغربيّة تنظيرا وتطبيقا، وأغلب هؤلاء كانوا من المستغربين الذين عاشوا في أحضان الحضارة الغربيّة، فكونوا نوادي فكرية بالمهجر همّهم فيها تناول مفاهيم حضارة الأمة الغربيّة وأمسوا يعزفون على مقاماتها منهم: نادي الرابطة القلمية وهو تجمع أدبي عربي تكون وأسس في المهجر مهتم بالمذاهب الغربيّة مادة ومنهجا دون أي تمحيص أو تخصيص فكان منهم شعراء وأدباء ومفكري لغة على نحو: إليا أبي ماضي وخليل جبران وهلمّ جرّا والنتيجة أن التقليد بحسب المتتبعين والمتخصصين باتت تفرضه عوامل أخرى كالتوجه السياسي والتبعية الاقتصادية والفكريّة ولا ربّما صدقت مقولة 'ابن خلدون' (المغلوب مولع بإتباع الغالب)وأضحى التقليد مفهوما تُحْمَل مفاهيمه على كل توجه نحو غير العرب. وإن كان هذا الاعتبار برأي المتخصّصين مبالغ فيه؛ وبات كل من سلك المَنْهَج الوصفي أو البنيوي أو غيره من المناهج يتهم في ولائه وفكره وهذا حكم مطلق لا يصح؛ فالنماذج مختلفة ومتعدّدة تتعلق بأبحاث لغويّة تثبت جدارة هذه الطرق الحديثة في الدّراسات اللّغويّة العربيّة الحديثة والمعاصرة والتجارب في هذا المنوال كثيرة فذكرنا آنفا تجربة 'تمّام حسّان' وتجربة 'كمال بشر' و'محمود السعران' و'أحمد المتوكل' والقافلة طويلة؛ فقد لاحظنا على سبيل البيان أن تمّام حسّان "اهتم بالمَنْهَج الوصفي، وسعى جاهدا لتوظيفه في شرح قواعد اللّغة العربيّة"[1]، وكان مراده من ذلك استبيان أهميّة معيار الوصف في تدريس وإيصال قواعد اللّغة النّحويّة في أنجع السبل وأيسرها ورآه مناسبا للنّحو العربيّ باعتبار أن النّحاة في وضعهم لقواعد النّحو كانوا يتبنّون طرقا محدودة على نحو القياس

1–ينظر، تمّام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص7.

والمنطق. وهذا لا يناسب التّوجّه النّحوي في الدّرس اللّغوي الحديث، و قد أفضى تمّام حسّان تجربته بوضوح في عمله المسمّى 'اللّغة العربيّة معناها ومبناها'.

لا يقف أصحاب التّجديد كمتفرّج لما يحصل في السّاحة اللّغويّة العربيّة في ظل غزو ورواج اللّسانيّات الغربيّة في الفكر اللّساني العربي، فقد جمّعوا قواهم الفكريّة والعلميّة واستعدوا لخوض غمار معركة اشتدّ شررها في ضوء التنافس والانقسام، بل راحوا يتبنون موقف الاستطلاع على منهاج الغير وتتبع توجهاتهم الفكريّة، واستنطاق أفكارهم المَنْهَجية عسى ذلك بحسب رأيهم أن يوضح النتائج في حالة إذا ما طبقوها على مكنونات اللّغة. فهم يؤمنون بالقدرة الوجودية للّغة العربيّة واتساع كنوزها المعرفية، ولهذا نجد أنّ التجديديين يتبنّون موقفا واضحا من دراسة المناهج اللّسانيّة الغربيّة هو كما يلي:

أولا: اللّغة العربيّة قادرة على التّواصل مع كل المناهج الأجنبية، وتلقي كل مستجدات الحضارة اللّسانيّة العالمية الحديثة والمعاصرة وذلك وفق حيز الخصوصية الذاتية.

ثانيا: كل اللّغات تأثّر وتتأثر؛ فمعاجم اللّغة العربيّة القديمة كلسان العرب مثلا وغيره اشتمل على ألفاظ فارسيّة. وهذا ما يسمّيه علماء اللّغة بالدّخيل. واللّغة العربيّة هي الأخرى قامت على إثرها لغات حيّة أخرى فمثلا اللّغة الفارسية والتركية تكاد المفردات العربيّة تشكّل النّصف من مفرداتها المستعملة؛ فهذا ينفي ضمنيا تهمة انغلاق اللّغة العربيّة حول نفسها.

ثالثا: اللّغة العربيّة لغة ثريّة من حيث المصطلحات والمفردات وهذا ما يلغي فكرة شحّ المصطلحات ومن ميزات اللّغة العربيّة التي تتفرد بها عن غيرها هي سمة (الاشتقاق) وهي طريقة كفيلة بتطوير الثّروة المصطلحيّة للّغة العربيّة.

وعلى صعيد التّجديد هناك أعمال لغويّة ثرية في هذا الجانب تشكّلت عبر محطات زمنية مختلفة، وقد لا يسعنا المجال لذكرها وحصرها إلا أنّنا ننقل هنا تجربة 'عبد الرّحمان الحاج صالح 'اللّغوي الجزائري الكبير فقد اعتبر رمزا مهمّا من رموز التّجديد في

المغرب العربي إلى جانب عبد السّلام المسدّي التّونسي، والفاسي الفهري المغربي. فقد أفضى الأستاذ 'الحاج صالح' فكرته التّجديدية في عالم البرمجة اللّغويّة؛ فيعدّ صاحب مشروع النّظريّة اللّسانيّة الخليليّة الحديثة المستوحاة من الفكر اللّغوي عند 'خليل بن أحمد الفراهيدي'. فقد سعى إلى طرح رؤية لغويّة علميّة مقنّنة تهدف إلى مراجعة تجديديّة عامة لنظام اللّغة العربيّة، بحيث تستند هذه المراجعة إلى سندان التراث اللّغوي العربي أي فحص التراث اللّغوي واكتشافه، والخلوص إلى ما يؤهّل اللّغة العربيّة للاستعمال الذي يمنحها ثوبا عصريا قادرا على مواكبة أي تطوّر حاصل في عالم اللّغة المعاصر؛ ونقف هنا على أهم روافد التجديد التي دعا إليها 'عبد الرحمان الحاج صالح' وغيره الذين رسموا الطريقة المثلى في 'تجديد اللّغة العربيّة' من وصال التراث وإنجازات علوم العصر:

أ-التأسيس للمعجميّة العربيّة الحديثة: ويكون ذلك وفق منوال عربي يراعى الطرق العصرية في التأليف، وهذا نمط أساسي للتجديد اللّغوي ويتوقف على الإجراءات التالية:

1-البحث في التراث المعجمي القديم وإجراء فحص لجميع المفردات اللّغويّة العربيّة.

2-الاستعانة بالمعاجم العربيّة التراثية مادة ومنهجا كمعجم 'العين للفراهيدي' مثلا لاستخلاص فوائد لغويّة جمّةً يعتمد عنها في الوقت الراهن.

3-دعم المشاريع القاموسيّة فهي السّند الحقيقي للبعث اللّغوي العربي المعاصر على نحو مشروع الذخيرة العربيّة ويجب أن يتوافق البناء المعجمي مع "الاستعمال الحقيقي للّغة"[1].

1-عبد الرّحمان الحاج صالح، أنواع المعاجم الحديثة ومنهج وضعها، مجلّة اللّغة العربيّة دمشق، سوريا المجلد78، الجزء3، ص673.

ب-تعليميّة اللّغة العربيّة: باعتبار أنّ اللّسانيّات التعليميّة نمط عصريّ مفيد يبعث باللّغة العربيّة إلى واقع لغوي تعليمي مجسّد يقف عند الحدود الآتية:

1-البحث في التّراث النّحوي العربي بمنهج علمي عصري وانتقاء (المناسب) من اللّغة وفق ما تمليه (الضرورة العصرية).

2-إنشاء قواعد نحويّة تعليميّة ترمي إلى "تمكين المتعلّم من إدراك الظواهر اللّغويّة المطردة الوجود الناتجة عن تركيب الجملة العربيّة، والوعي بضوابطها"[1]،وهذايدعم جوهر اللّغة العربيّة استنادا إلى تراثها العريق والنّفيس.

3-إقامة الدورات التعليميّة والعلميّة والملتقيات التي تناقش فيها أهم المستجدات في النّحو التّعليمي واللّسانيّات التعليميّة.

ج-برامج اللّغة الحديثة (اللّسانيّات الحاسوبية): دعا رواد التجديد إلى الاهتمام بالآلة العصرية؛ باعتبار ذلك من وسائل تحديث اللّغة العربيّة وتطويرها؛ فالحاسب الآلي في هذا العصر هو "الأداة الأكثر فعالية للاتصال من أجل تيسير العلوم وسهولة الأداء"[2]. للأستاذ عبد الرّحمان الحاج صالح واللّسانيّات الحاسوبية: هو توظيف الحاسوب عن طريق برمجة خاصة خدمة للّغة الطبيعية.

فالتجديديون يريدون بعث اللّغة العربيّة من جديد انطلاقا من تراثها العريق والبحث فيه لانتقاء المناسب والملائم الذي تكون له القدرة على التجاوب مع واقع لغويّ عالمي متداخل في جميع المجالات.

1-علي أبو المكارم، تعليم النّحو العربي، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م، ص21.

2-عمر مكداشي، البرمجة باللّغة العربيّة، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1987م، ص5.

ولا ربّما نجد نصوصا وأقوالا في هذا الصدد تناسب ما ذهبنا إليه فها هو عبد العزيز حمودة يقول: "وأنا أرفض رفضا قاطعا أن أظل علامة ثقافية هائمة تسبح حيث يتقاذفها التيار ويطلب منها أن تستقل في نهاية المطاف فوق شاطئ دوسوسير وستراوش وياكبسون وبارت ودريدا، بل حتى هوسيرل وهايدجر، شطآن العقل العربي شطآن الجاحظ وقدامة بن جعفر وابن طباطبا العلوي وعبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني قريبة أقرب مما يتصور الكثيرون من العقل والقلب!"[1]، فهو يرفض كل الاتهامات الموجهة للتراث العربي ويدعو إلى عدم الانكباب وراء البعثات اللّغوية الغربية. وهذا ما لمحناه من عباراته في نصه المقدّم. إلا أنّه وقف مستدركا لبعض الأمور الحاصلة في عموم الدراسات اللّغوية العربية وهذا ما نستوحيه من كلامه: "نحن فعلا بحاجة إلى حداثة حقيقية تهزّ الجمود وتدمر التخلف وتحقق الاستنارة، لكنّها يجب أن تكون حداثتنا نحن، وليس نسخة شائهة من الحداثة الغربية"[2]. وفي السياق نفسه نقدّم وصفا آخر لمكنوز التراث وجدارته حيث تقول أمينة طيبي: "إنّ المبحر في تراثنا اللّغوي ليقف على بعض الأمور التي يذهل أمامها باحث تزاحمت عليه كلّ أنواع الآلات في حين لم يتوفر لديهم إلا حسّ مرهف وذكاء وقّاد وقدرة هائلة على التذوق"[3].

ونقدّم قول عبد السّلام المسدّي كردّ صريح على الأفكار والمناهج التي توحي بالتأثر العميق لأنصار التّقليد والذين شنوا هجوما واسعا على مناهج اللّغة العربية: "إنّ أهل الغرب لو انتبهوا إلى نظريّة العرب في اللّغويّات العامة عند نقلهم لعلومهم فجر

1-عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة نحو نظريّة نقدية عربيّة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 272، ص14.

2-عبد العزيز حمودة، المرايا المحدّبة، من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد232، ص9.

3-أمينة طيبي، الدراسة فوق التشكيلية عند الفلاسفة المسلمين، مقال منشور في مجلة التراث العربي، دمشق العدّد25،98 حزيران 2005.

النّهضة؛ لكانت اللّسانيات المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم، بل لعلّها تكون قد أدركت ما قد لا تدركه إلاّ بعد أمدّ"[1].

ومن المؤّكد أنّ العرب أسهموا إسهاما كبيرا في عالم اللّغة وكانت لهم براعة الاكتشاف في عدّة جوانب علميّة معرفيّة مختلفة وتأيدا لهذا يبين عبد المجيد دياب قائلا: "وقد سبق العلماء العرب إلى كثير من النظريّات العلميّة التي تنسب في الوقت الحاضر إلى علماء النهضة الأوروبيّة دون الإشارة إلى هؤلاء الذين تكلّموا في التطوّر قبل داروين، وفي الجاذبية قبل نيوتن، وفي انكسار الضوء قبل ديكارت، وأعمال ابن الهيثم وابن مسكويه وابن النّفيس والرازي وغيرهم كثير تشهد بالفضل –والأسبقية المعرفية– "[2].ونبقى دائما مع الآراء المعقّبة على تفشّي الفكر اللّساني الغربي منهجا ومادة في اللّسانيّات العربيّة يقول الأستاذ يوسف زيدان رادا على إنكار مقدرات التراث: "لا يستطيع أي جاحد أن ينكر إسهامات العرب المسلمين في تاريخ العلم الإنساني، فهي إسهامات متعدّدة النواحي متنوعة الأشكال لا تزال آثارها باقية"[3].

والحقيقة أنّ المجال لا يسعنا أن نحيط بكل ما يجول ويدول في باب التقليد والتجديد. وربما قد اكتفينا بوصف محدود للاستظهار والتفسير، وهذا الموضوع يستحق التعمّق في أبحاث مخصّصة معمّقة.

ويمكننا القول: إنّ التجديد والتقليد نمطان حضاريان يواكبان جميع التطوّرات الإنسانية

1–عبد السّلام المسدّي، التفكير اللّساني في الحضارة العربية، ص23.

2–عبد المجيد دياب، تحقيق التراث منهجه وتطوره، دار المعارف القاهرة، ط2، 1993م، ص13.

3–ينظر، يوسف زيدان، أزمة التفكير العلمي العربي، مقال منشور بالموقع الإلكتروني للتراث والمخطوطات http:www.ziedan.com/research/kuite.asp.

قديما وحديثا فلا يمكن أن تكون اللّغة في منأى من هذا الحراك الحضاري القديم. والنتيجة أنّ أنصار التجديد والتقليد سعى كل منهما إلى إبداء رأيه، وتصوره كيف تكون اللّغة وكيف تستعمل؟.

إلاّ أنّنا نلفت أنظار اتجاه الأصالة بأنّ الضرورة تلزم: "دارسي اللّغة التنقيب عن هذا التراث واستخراج ما حواه من مكنوز لغوي. سواء أكان ذلك التنقيب في كتب اللّغة المتخصصة أم غير المتخصّصة منها، حتّى يتم الكشف عن علاقة اللّغة العربيّة بالعلوم الأخرى ومدى تأثيرها فيها وتأثرها بها، ولاسيّما أنّ اللّغة ظاهرة إنسانيّة كبقية الظواهر خاضعة لمبدأ التأثير والتأثر الذي يتضح جليّا عند مطالعة أمّهات الكتب"[1].

كما أنّنا نبيّن لأصحاب الحداثة والتقليد أنّ كلّ: "معطيات علم اللّغة كما طوّره دوسوسير لم تكن فتحا جديدا، وكان يجب ألاّ تكون كذلك بالنسبة للمثقف العربي، لو أنّه في حماسة للتحديث وانبهاره بمنجزات العقل الغربي لم يتجاهل تراثه العربي، وقد أثبتنا حتى الآن أنّ القول بأنّ اللّغة نظام أو نسق علامات تربطها شبكة العلاقات من –التعاقبية– والاستبدالية، أمر عرفه العربي وقتله بحثا وجدلا لما يقرب من خمسة قرون على الأقلّ وأنّنا فيما ناقشناه من نظريّة اللّغة العربيّة حتى الآن كنّا نستطيع تطوير المفاهيم التراثية– لو أردنا–مستخدمين مصطلحات عربيّة أصيلة"[2].

وننهي هذه الوقفة الفكرية المتعلّقة بتجاذب اتجاه المعاصرة والأصالة أو صراع

1–مازن الوعر، التّفكير اللّغوي عند الجغرافيين والرّحالة العرب في ضوء اللّسانيّات الجغرافيّة المعاصرة، مجلّة التراث العربي، عدد104، 06 كانون الأول: 2006م.

2–عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة نحو نظريّة نقدية عربية، ص257.

التقليد والتجديد بذكر أقوال لا ربّما تكون بمثابة الركيزة الوسطية التي تلقي الضوء على الطريقين معا، وتشكّل بذلك الحلّ الأنجم لفك الغموض وطرح المناسب في واقع تترجّاه الأحداث العلميّة من أن يكون ذو فعلية ملائمة لما يتوافق مع التطور السريع داخل حظيرة العلوم المتشابكة والمتنافسة.

يقول الأستاذ محمّد بركات حمدي أبو علي في كتابه 'كيف نقرأ تراثنا البلاغي': "ونحن إذ نعيد قراءة تراثنا..نؤمن بأنّ أوّل التجديد قتل القديم بحثا وأنّ عكوفنا على التراث قراءة وتمحيصا كفيل بأن يحصّن أبناءنا ضدّ تيار التغريب الذي يتربّص بنا، والمشروع لا يقف عند حدود هذه الدراسات إنّما هي صيحة ونداء للقادرين من الباحثين أن يدرسوا تراثنا بألوانه وفنونه من خلال طرائق الدّرس الحديث تربويّا ونفسيّا واجتماعيّا وحضاريّا وأدبيّا ولغويّا وألسنيّا، وما شاكل ذلك من نظريّة المعرفة التي تعين على تجليته وإعلانه بطريقة مقنعة وأسلوب واضح هذه شهادة في كيفيّة قراءة التراث؛ فيأخذ منه النافع ويترك التفسير للعالم لا للجاهل بعد أن يطمأن صاحبه إلى قوته ومصداقيته وهذا لا بد لقراءة تراثنا..وأخذ الحكم من أصحاب الاختصاص"[1].

ونزيد من وضوح الكلام بشرحه. فصاحب النّص وضع منهجيّة محدّدة وفق ما تقتضيه الضرورة المعرفية والثوابت الأصولية بحيث يقف الدارس المتخصّص في عموم الدّراسات المختلفة بما فيها اللّغويّة على الشّاكلة التاليّة:

1-الاطلاع على مكنوز التّراث وفق مبدأ القراءة الانتقائية التي تراعي قاعدة المناسبة والملائمة ويكون ذلك أيضا وفق التدقيق الاختياري الذي بموجبه يتم الحفاظ على الطابع الأول للموروث المعرفيّ.

1-محمّد بركات حميدي أبو علي، كيف نقرأ تراثنا البلاغي، دار وائل، عمّان، الأردن ، ط1، 1999م، ص7.

2–الاعتماد على جميع المناهج المعرفيّة الحديثة التي لا تستثني دراسة المادة المحدّدة من واقعها النفسي والاجتماعي وانتمائها الحضاري.

3–دعوة أصحاب الاختصاص للإشراف على هذه الأعمال تقيّدا بمبدأ المسؤولية والقدرة المعلوماتية التي تحيل بدورها إلى نتائج تتوافق مع الفرضيّات العلميّة التي يقدّمها المختصون ضمن المجال.

وبهذه الطريقة تكون قضايا التجديد والتقليد العالقة قد وجد لها المخرج المناسب بما يخدم وقائع اللّغة العربيّة ضمن حيزها الحضاري والعصري.

ونستشهد هنا بهذا القول الملائم لما أوردناه: "الأصالة والعصرية قد تخلصتا..من طابع التنافر الذي تصنعه ثنائية الماضي والحاضر، واكتسبتا بالنتيجة طابع التفاعل الجدلي –فبات التقليد والتجديد– وجهان لمسألة واحدة، هي مسألة التمكين ومقتضياتها في مستقبل تقدّمي متقدّم"[1].

ولهذا يقسّم الباحثون في حقول التراث اللّغوي التّراث إلى ثلاثة أقسام:

أ–التّراث الفاعل: وهو الذي يمثّل الوجهة العلميّة المعرفيّة في حقول اللّغة المختلفة والتي تتميّز بالجديّة والقدرة على مواكبة كافة النّهضات المعرفية الحاصلة في جميع المراحل التي تمرّ بها الحضارة اللّغويّة.

ب–التّراث الخامل: وهو التّراث ذو الفعّاليّة المحدودة والذي توقف على المسايرة والإنتاجية في مراحل متقدّمة من الاستعمال اللّغوي وبالتّالي فهو يحتاج إلى البعث والإحياء للنهوض به وفق مقتضيات العصرنة.

1–سهيل الحبيب، وصل التراث بالمعاصرة، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 1998م، ص132.

ج–التّراث القاتل (المعدوم): وهو نوع يستحيل التنقيب فيه والبثّ منه على اعتبار أنّ منتسبي اللّغة لا يملكون المؤهلات الذاتيّة (المعرفيّة) لإعادة بعثه وإحيائه من جديد.

والحقيقة تقتضي عوامل أساسيّة للبث والإحياء وصبغ الموروث بطابع الحداثة ويكون ذلك انطلاقا من:

1–"الفهم العميق للتراث والمعرفة الواعية بمكوناته.

2–القدرة على استشراف المستقبل ومتابعة احتمالاته وإمكاناته اللانهائية وتحدّياته"[1].

ولعلّنا نجد كتاب 'سليمان جبران' الصادر عن مجمع اللّغة العربيّة 'حيفا' عام 2009مبعنوان: (التجديد والتقليد في اللّغة العربيّة المعاصرة) من أروع الكتب وأعلاها شأنا التي تناولت هذا الإشكال السائد. لأنّ السّاحة اللّغويّة العربيّة انقسمت إلى فريقين: فريق إصلاحي بفكر أجنبي مصدره البنيويّة السويسرية أو التّوليديّة الأمريكية على سبيل المثال، وفريق إصلاحي بفكر عربي محافظ ينبع من محاور اللّغة الأساسية كالنحويّة من مدرسة سيبويه، والصوتيّة من مدرسة الفراهيدي، والبلاغية من مدرسة الجرجاني. فسليمان جبران قدم شرحا مهمّا أراد به أن يقف على الاتجاهين الاثنين بالتوازي المعتدل الذي يمثّل حسب رأيه تشخيصا للواقع اللّغوي العربي وبيان طرق الاستفادة من الفريقين. ويتمثّل رأيه من خلال كتابه 'التجديد والتقليد' وهو وفق ما يلي:

أ–صرح في كتابه بعبارة مهمّة واصفا بها اللّغة العربيّة، وموجهة إلى الطرفيين مفادها أنّ 'اللّغة العربيّة ليست عاجزة وليست معجزة' فالشطر الأول من العبارة /ليست عاجزة/

1–عبد القادر برجي، القضايا اللّسانيّة في كتاب الامتتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، مذكّرة ماجستير جامعة ورقلة، الجزائر، الموسم الجامعي: 2009/2008م، ص20.

رسالة واضحة إلى دعاة التّقليد والشطر الثاني من العبارة /ليست معجزة/ رسالة ثانية توضيحية إلى دعاة التجديد.

ب–وطرح أيضا فكرة مفادها كيف نستفيد من التجديد والتقليد في ظل الصراع القائم؟. وحاول فيها تبيان كيفية التصحيح وكيفية الإفادة.

كما نجد قولا مشابها لرأي جبران وهو قول كمال بشر في كتابه: (التفكير اللّغوي بين القديم والجديد) عارضا موقفه حول تجاذب التجديد والتقليد معرّجا على حقيقة هذه النازلة الفكريّة والمَنْهَجية بقوله: "القديم والحديث لا يعني بحال انفصال حلقّات الزمن بعضها عن بعض إذ إن هذه الحلقات متداخلة ومتشابكة إلى حدّ يصعب على الإنسان أن ينتزع حلقة معيّنة منها ويفردها وحده بالنّظر والتأمل دون إطلالة من نوع ما على السّابقات واللاحقات من أخواتها وإذا جاز لنا هذا الفصل أحياننا. فإنّما هو على ضرب من المجاز يتمثل في إرادة التركيز على حلقة دون أخرى لاكتشاف ما مسّها من ألوان جديدة لجدّة الحياة نفسها وقد يكون الفصل –وهو قيل– لوقوع أحداث حياتية بارزة أو وجود ظواهر إنسانيّة في الفكر والسلوك امتازت بها فترة دون أخرى، وأمكن وسمها أو تحديد أبعادها نسبيا وفقا لخصوصياتها"[1].

وفي الأخير: إنّ التجديد والتقليد عنصران متلازمان في كل المراحل الزّمنيّة وفي جميع المعارف العلميّة؛ والفصل بينهما من نوازع المستحيل، بل لا يصح بتاتا فقد لزمت هذه المبادئ كل أنواع العلوم الإنسانية والطبيعية وحتى علوم التقنية الحضارية؛ فعلى سبيل المثال نجد معارف الطب تتجدد بحسب الظروف الصحية، وقد يأتي اكتشاف علمي ليثبت نجاعة دواء قديم، وقد يأتي اكتشاف آخر ليقلل من فاعلية دواء جديد، وقد

1–كمال بشر، التفكير اللّغوي بين القديم والحديث، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص5.

تتضارب النّظريات الطبية حول دواء معين. والحاصل من هذا أنّ التجديد والتقليد من المفاهيم العقلية التي يفرزها الفكر الإنساني تحت تأثير عوامل مختلفة كظروف البيئة الطبيعية أو الحاضنة الاجتماعيّة أو الانتماءات الدينيّة أو الأحوال النفسيّة والشخصيّة أو الظروف السياسيّة والاقتصاديّة وخلاصة ما قدّمناه أنّه يجب –بل يفترض– على اللّغويين العرب من أهل التخصّص والمجال توحيد إخلاص جهودهم وتكثيف أبحاثهم وتدقيق أفكارهم، والسعي مليًّا لإرساء منهج ومرجع يحافظ على (خصوصيّة اللّسان العربي) ويراعي نقاط التقدّم الحضاري العالميّ التي تقوم عليها العلوم اللّغويّة الحديثة.

الفصل الثّاني: الأسس المنهجيّة والمعرفيّة للفكر اللّساني عند المسدّي.

1-تمثّل اللّسانيّات في فكر المسدّي.

أ-أهميّة اللّسانيّات في إثراء المعرفة اللّغويّة العربيّة.

ب-اللّسانيّات بين اللّغة والفكر عند المسدّي.

ج-مجالات البحث اللّساني عند المسدّي.

2-قراءة وصفيّة تحليليّة لكتابه 'التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة'.

1-تمثّل اللّسانيات في فكر المسدّي: اتسمت أعمال عبد السّلام المسدّي بثراء لغويّ هام؛ فلم يكن باحثا مقتصرا على جانب واحد. أو دارسا متعلقا بمجال معين. فدراساته جابت كل مناحي اللّغة منهجا وعلما، فلم يحصر انجازاته في جهة معرفيّة محدّدة؛ وإنّما كان منصبا على القراءة والتحليل لأهم المناهج الإجرائيّة والمعارف النّظريّة مدركا جلّ الإدراك بأهمية ذلك في معرفة الغير، والوقوف على الحقائق واستخلاص الإسهامات فذاك حسب المسدّي الطريق المثلى لبسط الموروث اللّساني العربي والمجد اللّغوي العربي العريق بسطا لا تقلقه البواعث الخارجيّة، ولا المستجدات الحضاريّة التي تفرضها الحياة العالميّة. فالمسدّي لا محالة أدرك خطر هذا المنعرج اللّغوي الكبير. وتساءل عن واقع اللّغة العربيّة في ظلّ التحدّيات الأجنبية، وراح يسعى إلى قولبة المكتسبات والقدرات الحضاريّة لصالح اللّغة العربيّة وفق منوال علمي يكسي التّراث لباس الحضارة بعيدا كلّ البعد عن الشوائب والانحرافات. فأبحاثه كما أسلفنا موهوبة بالإبداع المعرفي؛ فقد تناول قضايا اللّغة وفق مبدأ علميّ دقيق وتصوّرٍ منهجيّ عميق له من الخصائص كامل التحليل والشرح والوصف:

أ-أهميّة اللّسانيّات في إثراء المعرفة اللّغويّة: تتجلّى أهميّة اللّسانيّات عند المسدّي من خلال ما استلهمه من نظريّات ومناهج رآها تتناسب والواقع اللّغوي العربي الحديث، وهذا ما عبّر عنه في الكثير من مواقفه حول هذا العلم. نجد من أقواله مثلا: "ومن المعلوم أنّ اللّسانيّات قد أصبحت مركز الاستقطاب بلا منازع، فكلّ تلك العلوم أصبحت تلتجئ في مناهج بحثها وفي تقدير حصيلتها العلميّة إلى اللّسانيّات وإلى ما تنتجه من تقديرات علميّة وطرائق في الاستخلاص"[1]. باعتبار أنّها العلم الذي يدرس حقائق ومناهج

1-عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، دار الكتاب الجديد المتحدّة، ط1، 2010م، ص10.

الظواهر اللّسانيّة وبيان عناصرها ووظائفها وعلاقاتها الإفراديّة والتركيبيّة"[1]؛ فهذا التعريف الوصفي دليل أهمية ودور اللّسانيّات كعلم قائم بذاته في إثراء المعرفة اللّغوية.

لاشكّ من أنّ المسدّي ينطلق في دراسته اللّسانيّة معتمدا على قواعد واضحة تعبّر على وازعه الفكريّ ومبدئه المنهجيّ الذي ينبع من إيمانه الكبير بمقدّرات اللّسانيّات كعلم عصري يمكن الاستفادة منه وتطويعه بما يناسب اللّغة العربيّة. ويتسنّى لنا هنا التّعبير عن ذلك وفق ما يلي:

-يستند إلى دراسة التّراث اللّساني العربي القديم واستنطاق المكنونات اللّغويّة.

-مطالعة المنجز اللّساني الغربي والتغلغل العميق في خصائصه.

-يعتمد المسدّي في دراساته اللّسانيّة غالبا على المنهج الوصفي، وهذا النّوع من المناهج تلجأ إليه العديد من الأبحاث اللّسانيّة المعاصرة.

-لم يستثن المسدّي بعض دراساته من المنهج التاريخي؛ فهو يعتبره الوسيلة المهمّة في استحضار المواد المعرفيّة المستهدفة من الدّراسة.

-ويظهر على المسدّي اعتماده المنهج البنيوي في دراسات عديدة فهو يرى أنّ اللّسانيّات البنيويّة ذات التحرّك الآنيّ قد مكنتنا من النّظر بعمق في تراثنا اللّغوي العربي.

-يرى "أن البنيويّة رائدة الدراسات اللّسانيّة وهي في نظره الأقرب إلى الرؤية العلميّة والموضوعيّة في الدّراسات اللّغوية الحديثة"[2].

-تقوم الدّراسة اللّسانيّة عند عبد السّلام المسدّي على الخطوات معينة وهي:

1-ينظر، عبد السّلام المسدّي، قضية البنيويّة دراسة ونماذج، وزارة الثقافة، تونس، ط1، 1991م، ص22.

2-عبد القادر عبد جليل، اللّسانيّات الحديثة، دار الصفاء، الأردن، ط1، 2002م، ص107.

1-التّحديد والتأسيس للقواعد الأوليّة للانطلاق في البحث والإجراء.

2-دراسة الظاهرة اللّغوية عبر كشف خصائص البناء العضوي اللّغوي.

3-اعتماد قاعدة المدلولات في بناء الضّبط الاصطلاحي اللّساني.

-يلحظ على أعمال المسدّي تفريقها بين معاني اللّغة والكلام على نحو ما جاءت به اللّسانيّات المعاصرة. فاللّغة عنده هي مكسب إنسانيّ اجتماعيّ يقوم على مقدّرات صوتيّة وتركيبيّة تختلف من بيئة لغويّة إلى أخرى، أمّا الكلام فهو القدرة المجسّدة للمكتسبات اللّغويّة. وبعبارة أخرى هو الممارسة الفعليّة المحقّقة للتواصل اللّغوي.

-يقوم المسدّي في دراسته اللّسانيّة على اعتماد الأبعاد الثلاثيّة الآتيّة:

1-البعد الأوّل: قراءة التراث عبر استعراض وجهة نظر علماء اللّغة العربيّة للظاهرة اللّغوية، وقد قام المسدّي بحصر هذه الآراء المستخلصة فيما يسمّى بقضية المواضعة.

2-البعد الثّاني: قراءة مادة الفكر اللّغوي عبر الملاحظة العلميّة، وراح هنا يدرس كلّ ما يتعلّق بنشأة اللّغة واستطلاع الفكر اللّغوي العربي في دراسة قضايا اللّغة المختلفة.

3-البعد الثّالث: التطلّع إلى ما جاءت به اللّسانيّات الغربيّة في جميع معطياتها العلميّة المعرفيّة والمنهجيّة وخاصة في شقّها النظري أي اللّسانيّات العامة.

-يدعو المسدّي إلى دراسة نشأة اللّغة وتتبع مراحل تطوّرها، ورأى في ذلك أساس المعرفة اللّغوية الدقيقة والأقرب إلى تحقيق الرؤية العلميّة.

-أبحاثه لا تخرج عن دائرة أبحاث 'اللّسانيات النظريّة العامة'، ونستقرئ ذلك في عبارته التي وصف بها اللّسانيّات النّظريّة بأنّها 'الإطار الذي يستوعب كلّ قضايا اللّسان'.

-يستنطق النّصوص اللّغوية ويستشهد بالمقاطع النّصيّة في تقدّيم رأي صاحبها قبل انتقاء الشاهد. وقد يُجري أيضا مقارنة بين نصّ وآخر كأن يقارن مثلا بين موقف أبي علي الجبائي وفخر الدّين الرّازي في 'تعريف المواضعة'.

-لم تخل أبحاث المسدّي اللّسانيّة من الإرهاصات الفلسفيّة ويبرز ذلك في مواضع استشهاديّة عدّة كتأثّره بمبدأ الآنيّة المستمدّ من جدول التّنظير الفلسفي؛ فمن عباراته الدّالة على ذلك حديثه عن فكرة الاعتباط والتلازم فبرأيه إذا كانت اللّغة "لا تقدر أن تتنصّل عن الزّمن بوصفه فكرة مجرّدة ذات شحنة برجسونيّة، وبوصفه أيضا صورة فيزيائيّة ذات تقدير أنشتايني، بل بوصفه مع هذا وذاك معيارا لوجود المادة في تركبها وتفكّكها طبقا للمنظور الماركسي الكاسر لمنهاج الجدل الهيجلي"[1].

-ومن المعارف التي يتسم بها الفكر اللّساني عند المسدّي تجسيمه لهوية الحدث اللّساني على خاصية حدث الجهاز الفيزيائي؛ فقد جعل الكلام مركزًا في حيّز صغير من حوله حيّز أكبر منه يمثّل الجهاز التواصلي. وهذا المركز تصدر منه أشّعة تمثّل حسب رأي المسدّي الباثّ والمتقبّل والصوت والترامز والمواضعة والتركيب والتفكيك؛ والناتج من هذا كلّه تتداخل عناصر تكوين عملية التواصل، وتتحرّك على مسيرة خطّ الزمن والإنجاز في صورة تفاعليّة خاضعة لمبدأ المدّ والجزر وهنا نلحظ تيمّنه بقانون التفاعل الفيزيائي.

وفي الأخير نلحظ على المسدّي توسّعه العام في عالم المعارف اللّغويّة العربيّة والغربيّة وطرقه أبواب المناهج المختلفة واعتمادها وفق ما يتماشى مع رؤيته اللّسانيّة، فهو ذو نظرة شموليّة موسّعة بإحاطات علميّة تحمل في أحضانها أثر الفلسفة والعلوم التجريبيّة التي يستند إليها في أيّة دراسة لغويّة حديثة فساعده ذلك على قراءة أفكار الغير

1-ينظر، عبد السلام المسدّي، التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص201.

والتغلغل في عطائهم، واستحضار الماضي العربيّ بأسلوب حضاري بما يحفظ للعربيّة وصال التقدّم في ظلّ عالم متقلّب المعارف.

ب-اللّسانيات بين اللّغة والفكر عند المسدّي: من الواضح أنّ علم اللّسانيات بكافة مجالاته وفروعه أضحى من أهمّ المواضيع المتداولة في العصر الحديث؛ فقد شكّل هاجسا فكريّا صبغ جلّ المناحي الدّراسيّة اللّغويّة بطابع تصوّري منهجيّ مرده اختلاف القراءات والرؤى الفكريّة التي أضحت تفسّر هذا الطالع العلميّ الجديد والذي اجتاح الدرس اللّغوي العربيّ الحديث بقوّة. وعلى غرار الكثير من الباحثين الذين كانت لهم مواقف وتفسيرات لهذه المعضلة المعرفيّة كان للأستاذ عبد السّلام المسدّي آراء وأبحاث في هذا المجال المستجد في عالم اللّغة العربيّة. فقد كان مطّلعا على خبايا الفكر اللّساني الغربي من خلال التوغّل في مناهجه ومدارسه والوقوف عند مبادئه محاكيا في ذلك الملكة اللّغويّة العربيّة التّراثيّة للقياس والاستخلاص. وكان في قراءاته يجمع بين ما تقدّمه اللّسانيّات كعلم إنسانيّ لغوي حديث وبين ما تحمله من أفكار ومبادئ ورؤى فلسفيّة. ولعلّ الهدف من هذا كلّه حماية أصالة التّراث اللّغوي العربيّ من واردات الفكر الذي قد يمسّ من مبادئه والسّعي قدما إلى كيفية الاستفادة من اللّسانيات كعلم لغوي حديث رائج في ظلّ التنافس العلمي الكبير. ولنا هنا أن نبيّن وفق ما نخلص إليه من دراسات المسدّي. نجده في كتابه 'مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات' يعرّج بدقة حول قضايا اللّغة والفكر وفق المسمّيات الآتية:

اللّغة والمعرفة العلميّة، اللّسانيات وفلسفة المعرفة، والمعرفة اللّغويّة والتّراث الإنساني واللّسانيّات والتراث العربيّ. ونأتي هنا بشرح هذه القضايا المحوريّة في كتابه والتي من خلالها نستطيع استنباط واقع اللّسانيات بين اللّغة والفكر:

1-اللّغة والمعرفة العلميّة: يقول المسدّي في هذا الصّدد: "ربّما كان النّاس يعرفون منذ زمن بعيد أنّ كلّ شيء يفكّرون فيه فتفكيرهم فيه يمرّ من اللّغة، وربّما كانوا يعرفون أنّ ما يحسّون به وما يستشعرون هو أيضا يتجلّى لهم من خلال اللّغة"[1]. يربط المسدّي بين اللّغة والفكر ورآهما ظاهرة إنسانيّة ملازمة للوجود البشري منذ القدم، فالإنسان يعبّر عمّا يدور بذهنه بلسانه باعتبار هذا الأخير المحرّك الفعلي في كشف خبايا الأفكار وعرضها. ولم يبعد المسدّي فرضيّة ما إذا كان الإنسان يدرك قيمة اللّغة المعبّرة في تحقيق غاياته الذاتيّة، وربط ذلك بعنصري الحسّ والشّعور لأنّهما مبدآن أساسيّان في حصول الإدراك وهذا الإدراك يترجمه الجهاز اللّغوي إلى عبارات تؤدّي غاية ما وحاصل هذا أنّ الإنسان "خلق مستعدّا بيولوجيّا للكلام، إلا إذا حال بينه وبين ذلك عاهة من العاهات الطبيعيّة"[2]. إلاّ أنّ المسدّي في هذا العنصر يلوّح إلى الرّابط بين اللّغة والمعرفة باعتبار التّنوع والانتقال والتطوّر. فبعد اليقين بوعي الإنسان واستشعاره لأفكاره وتعبيره عنها بملكته اللّغوية. بات السؤال المطروح. هل انتقل الإنسان بفكره البدائي والمعبّر عنه بلغة فطريّة إلى التفكير العلمي والمعبّر عنه بلغة راقيّة؟. وهذا ما أدرجه في قضية 'اللّغة والمعرفة العلميّة'. فقد ألحّ على أنّ اللّغة أداة ممحّصة للفكر ومعبّرة على خبايا الذّات ومساهمة في بثّ المعارف وإحداث التّواصل "فليس من معرفة إلاّ وهي مستسقاة عبر مصفاة اللّغة"[3]. ولكن هل مصفاة اللّغة هذه ارتقت إلى مرتبة المعرفة العلميّة؟.

1-عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، ص9.

2-عبد الجليل مرتاض، اللّغة والتّواصل، ص31.

3-عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، ص10.

يجسّد المسدّي علاقة اللّغة بالمعرفة العلميّة وفق المراتب التاليّة:

-تطوّر اللّغة من المعرفة الذّاتيّة إلى المعرفة العلميّة وهو ما سمّاه بانتقال اللّغة من "طور الحقيقة الذاتيّة إلى طور الحقيقة العلميّة"[1]، وهذا مردّه حسب المسدّي تطوّر العقل البشري عبر المراحل الزمنيّة باعتبار أنّ اللّغة ظاهرة إنسانيّة "لها كلّ مميزات الوجود الموضوعي الذي لا ينغلق منه شيء على سؤال العقل"[2]، فالعقل مصدر للتّفكير والتّدبّر و"الفكر محرّك للّغة من مكامنها التي تبدو فيها"[3]؛ أيّ في صورها البدائيّة.

-انتقال اللّغة من الجّانب الفكريّ المقتصر عن المعرفة المحدودة المتعلقة بالجانب الذّاتيّ بالضّرورة إلى المعرفة العلميّة، وهذا ما عبّر عنه المسدّي بقوله: "المعرفة العلميّة للكلام هي المفتاح الذّهبيّ لكل أصناف المعارف بلا استثناء"[4].

-اللّغة في ظلّ الفكر اللّسانيّ الحديث صبغت بالطّابع المعرفيّ العلميّ لعوامل أهمّها:

أ-اعتبار "اللّغة موضوع للمعرفة في خضمّ التطوّر العلمي السريع.

ب-الإنسان قد أصبح بنفسه موضوعا للمعرفة"[5] أي الأبحاث الإنسانيّة.

-إسهام اللّسانيّات كعلم إنسانيّ لغويّ حديث في بناء المعرفة العلميّة، فكلّ "العلوم أصبحت تلتجئ في مناهج بحثها وفي تقدير حصيلتها العلميّة إلى اللّسانيّات وإلى ما

1-المرجع السابق، ص10.

2-المرجع نفسه، ص10.

3-مصطفى مندور، اللّغة بين العقل والمغامرة، منشأة المعارف، الإسكندريّة، د-ت، ص7.

4-عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، ص10.

5-عبد السّلام المسدّي، العربيّة والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010م، ص22.

تتجه –إليه– من تقديرات علميّة وطرائق في الاستخلاص"[1].

2–اللّسانيّات وفلسفة المعرفة: بعد حديثنا عن اللّغة والمعرفة العلميّة نذكر عنصرا مهمّا من حلقات اللّغة والفكر. فلم اكتمل الحوار القائم بين اللّغة والمعرفة واتضحت صورة العلاقة القائمة بينهما جاء البحث في حقيقة علم اللّسانيّات الحديث والرّابط الفلسفيّ الجامع بين عوارض اللّغة، وهذا ما سنوضّحه في هذا العنصر:

يقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي في هذا الصّدد: "إنّ الظاهرة اللّغويّة ما انفكّت تبسط أمام الفكر البشري منذ القديم صنفين من القضايا، أحدهما نوعي والآخر مبدئيّ عام. فأمّا الصنف الأوّل، فيتمثّل في عناصر اللّغة باعتبارها نظاما مخصوصا له مكوّناته الصوتيّة والصرفيّة والنّحويّة والمعجميّة، ولكلّ هذه الأوجه فرع مختصّ من فروع الدّراسة اللّغويّة، وهذا الجانب من القضايا نوعي باعتبار أنّه متعلّق بكلّ لغة على حدّة. وأمّا الصنف الثاني من القضايا، فيتصل بالمشاكل المبدئيّة التي يواجهها النّاظر في اللّغة من حيث هي ظاهرة بشريّة مطلقة. ويتدرّج البحث في هذه المسائل من تحديد الكلام وضبط خصائصه إلى تحسّس نواميسه المحرّكة له حتى يقارب قضايا أكثر تجريدا وأبعد نسبيّة كقضيّة أصل اللّغة، وعلاقة الكلام بالفكر، وتفاعل اللّغة بالحضارة الإنسانيّة"[2].

أراد المسدّي أن يبيّن دوائر الأبحاث الفكريّة الفلسفيّة فيما يتعلّق بقضايا اللّغة بصفة عامة وقضايا اللّسانيات على وجه الخصوص وهو ما قسّمه إلى قسمين:

–قسم طالت دراسته الجانب التّركيبي كالبحث في الظواهر الصرفيّة والنّحويّة والدّلاليّة وهذا ما يشير إليه في عبارة 'فأمّا الصنف الأوّل، فيتمثّل في عناصر اللّغة باعتبارها

1–عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، ص10.

2–المرجع نفسه، ص15.

نظاما مخصوصا له مكوّناته الصوتيّة والصرفيّة والنّحويّة والمعجميّة'. والواضح من هذا الكلام أنّ الأبحاث اللّغوية كانت منصبة حول دراسة جوانب اللّغة من النّاحية البنيويّة والتركيبيّة والصوتية. فارتكزت الدّراسات على تشخيص نظام اللّغة والبحث في خصائصه خاصة في عموم الأعمال التي ظهرت في مطلع القرن التاسع عشر.

-وقسم يهتم بالجانب الإنسانيّ للّغة أي البحث فيها من منطلق أنّها ظاهرة إنسانيّة لها أبعادها الخاصة وهو ما يدلّ عليه قوله 'وأمّا الصنف الثاني من القضايا، فيتصل بالمشاكل المبدئيّة التي يواجهها النّاظر في اللّغة من حيث هي ظاهرة بشريّة مطلقة. ويتدرّج البحث في هذه المسائل من تحديد الكلام وضبط خصائصه إلى تحسّس نواميسه المحرّكة له حتى يقارب قضايا أكثر تجريدا وأبعد نسبيّة كقضيّة أصل اللّغة، وعلاقة الكلام بالفكر، وتفاعل اللّغة بالحضارة الإنسانيّة'.

ونرى أنّ هذا القسم هو المقصود من كلام المسدّي باعتبار علاقة اللّسانيات كعلم لغوي ناشئ بالتيارات الفكريّة والفلسفيّة التي خاضت في هذا المعترك التأسيسي كلٌّ بحسب رؤيته وانطباعه الخاص ووفق مبدأه التفسيري الذي تمليه النّظريات والفرضيات العقليّة في شرح الظواهر اللّغوية والبحث في أصل اللّغات وخصائصها وروابطها الأخرى.

فلا شكّ من أنّ اللّسانيات استمدت وجودها من عدّة نزعات فكريّة وقراءات فلسفيّة جسّدت لها النمط الوجودي ضمن الحيّز الإنساني. ونقف هنا على مجموعة من أهمّ النّظريات الفلسفيّة التي استقت منها اللّسانيات روح التمكّن والرواج والتفاعل الحضاري:

1-نظريّةالانتقال والتغيّر اللّغوي: "ترى كل الاتجاهات اللّغويّة أنّ قواعد اللّغات السابقة والحديثة منتقلة بالتغيّر والتطوّر وهذا يثبّت فكرة أنّ اللّغات يجب أن تدرس من خلال"[1]

1-ينظر، أحمد مومن، اللّسانيّات النشأة والتطوّر، ص79.

البحث في جذورها، فهذا عامل مساعد لضبط التّراكيب اللّغويّة واستنتاج مظاهرها الفونولوجية والمرفولوجية المتنوّعة.

2-نظريّة المكوّنات الدّاخلية للّغة: "تنظر هذه النّظريّة إلى مكوّنات اللّغة على أنّها مسارعة إلى البساطة والتيسير، وتعتبر أنّ ذلك ميزة كلّ اللّغات كونها تنتقل من التركيب المركب إلى التركيب المبسط"[1]، ويرى 'راسك' أنّ كلّ اللّغات انتقلت من مراحل أولى تختلف عمّا هي في الصّورة الحالية على سبيل التمثيل انتقال مكوناتها من 'الظواهر المتصرّفة إلى الظواهر الفاصلة'، وهذا ما ذهب إليه المفكر اللّغوي 'راسك'.

3-نظريّة الانتشار والاستعمال اللّغوي: يعتقد مؤسسوها أنّ الاكتساح اللّغوي السريع وسيطرة لغة على غيرها في دائرة اجتماعية واحدة؛ مردّه عامل الشهرة والتداول اللّغوي الشامل داخل البيئة اللّغوية التي تتمركز فيها لغات عدّة، فتكون قدرة اللّغة المستعملة هي التي تحدّد الغلبة للغة الأكثر تداولا واستعمالا.

4-النّظريّة السيكولوجيّة (النّفسيّة) في تفسير اللّغة: أعطى هؤلاء تفسيرا نفسيا للظواهر اللّغويّة، وأكّد كلّ من هارمان أوستوف (Herman Osthof)، وكارل بروغمان (KarlBrugmann) "أنّ اللّغة في تكوينها تخضع لإرهاصات الذّات البشريّة باعتبارها كائنا بعيدا عن النّاس ولا يمكنها أن تتكوّن بذاتها دون المقدرات السيكولوجية بل لا تكون لها آثار حقيقية إلا داخل العمليّات النّفسيّة، ونستنتج هنا أنّ كل التغيّرات الطارئة على اللّغة ليست سوى إرهاصات نفسيّة"[2].

5-نظريّة الاختيار والانتقاء: مجال هذه النّظريّة الدّراسات الصوتية؛ حيث يصب أتباعها

1-ينظر، المرجع السابق، ص80.

2-H,Osthoff and k, Brugmann, P,XII in G. Sampson, Op, Cit, 1878, p27.

اهتمامهم على دراسة اللّغات الرومانيّة من الناحية الصوتيّة كدراسة التغيّرات الحاصلة فيها، حيث دعا 'هوغو سخوخارت' (Hugo Schuchardt) إلى دراسة التغيّرات الصوتيّة وفق مبدأ التذوق (Taste)، أو الموضة (Fashion)؛ اللّذان يسهمان في انتقاء المناسب من اللّغة.

6-نظريّة القدرة في اللّغات الغالبة (Substratum theory): يُرجع أصحاب هذه النّظريّة سبب سيادة اللّغات، وتطوّرها الاستعمالي وسيطرتها إلى 'تنحي' اللّغات الأخرى وأسباب هذا التنحي عديدة ومختلفة منها: العقائد والأعراق، والسيطرة والتبعية..

7-نظريّةالأصل للوحدة اللّغويّة الأولى (Stammbaumtheorie): أسّسها العالم اللّغوي 'شليشر' (Schleicher)؛ وهدفه تحديد أواصل القرابة بين اللّغات الهندوأوروبيّة وضبط صور التّطوّر اللّغوي في المراحل الزّمنيّة المختلفة، فمونان (Mounin) "يرى بأنّ هذه النّظريّة تهدف إلى جعل التّاريخ اللّغوي يتناسق والنّظرة البيولوجية التطوريّة التي نادى بها داروين في فلسفته الفكريّة"[1]، فاستطاع أن يحدث ضجة كبيرة بفكرته التصوّريّة التي راجت في كلّ العلوم.

8-نظريّةالانتشار والتفرّع (Wellenthéorie): تعود هذه النّظريّة إلى 'جوهانس شميت' (JohannesSchmidt) وهي تبحث في انتشار اللّغات في المعمورة على اختلاف الفترات الزمنية؛ فهي ترى أنّ اللّغات تتشعب شيئا فشيئا وتتسع الهوة تدريجيّا بين اللّغة الأصليّة واللّغات المتفرعة. ويلحظ على هذا الاتجاه اهتمامهم بالبعد اللّغوي الجغرافي باعتبار أن اللّغات وتغيراتها الحاصلة تنتشر من منطقة إلى أخرى، وهذا في نظرهم يؤكّد تدخل عامل التنّوع الجغرافي.

.1-Georges Mounin, la linguistiq du xxe sieele, PUF, 1972, P200

9-نظريّةالمكوّناتالصوتيّة (جهاز النّطق): يجزم أتباع هذه النّظريّة على وجود عوامل داخلية قديمة تسهم في إحداث التغير الصوتي باعتبار أنّ العجز عن التعبير، وإحداث تواصل كامل ومتبادل كان يقتضي دخول عناصر تتحكم في العمليّة الصوتيّة بصورة لا إرادية كدخول عامل الحذف أو عامل الاستبدال على سبيل التمثيل وأسّس لهذه النّظريّة المعرفية كل من 'ويسبرسن' (Jespersen) و'ويتني' (Whitney).

10-النّظريّةالتفسيريّة الفيزيولوجيّة: تقدّم هذه النّظريّة نوعا جديدا من التفسيرات، "فهي ترى أنّ التغير اللّغوي يعود إلى تغير في تكوين سمات الإنسان، وتعاقب الأجيال البشرية على مر العصور حيث يرى 'هارمان أشوف' (Hermann Osthoff) أنّ هناك تغيرات فيزيولوجيّة عديدة طرأت على كل أعضاء الجهاز النّطقي (الصوتي) عند الإنسان منذ القدم وهذه التغيّرات كانت السبب الوحيد والمباشر في التغير اللّغوي فأصحاب هذه الرؤية نفوا فكرة الثبات للشكل الفيزيولوجي لجهاز النّطق وبالتالي هذا ينفي ثبوتية اللّغات وأنها بهذه الكيفية تكون متغيرة"[1].

11-النّظريّة التفسيريّة الرياضيّة: تعتقد هذه النّظريّة بأنّ كل ما يرتبط باللّغة من النّاحية الصوتيّة، أو التركيبيّة له أبعاد علميّة مثله مثل باقي العلوم الأخرى التي تدرس وفق منوال '(الحساب والإحصاء) و(المسلّمات) و(الفرضيّات) و(الدوال)؛ فهؤلاء أرادوا الجزّ بعلم اللّسانيّات في حقل (الدّقة الرياضية) تيمّنا بـ(العلوم الدقيقة الأخرى)، وهذا ما يتضح عند دوسوسير وتشومسكي وغيرهما.

12-النّظريّة التفسيريّة الاجتماعيّة: معتنقو هذه الوجهة يؤكّدون على أنّ المجتمع هو الأساس في تكوين اللّغة وضبط ركائزها، وهو في اعتقادهم قمة (البعث اللّغوي)؛ لأنّ

1-ينظر، أحمد مومن، اللّسانيّات النشأة والتطوّر، ص83.

البيئة الاجتماعية هي المكوّن الأساس لشخصية الإنسان انطلاقا من أفكاره وسلوكياته المختلفة. وبالتالي لا نستطيع أن ننفي علاقتها بالوجود اللّغوي؛ فهي بلا شكّ منطلق أيّ تغيّر حاصل للّغات سواء على الجانب التركيبي أو الجانب الصوتي.

13-النّظريّة التفسيريّة السلوكيّة: أصل هذه النّظريّة يعود إلى أعمال عالم النفس الأمريكي 'واطسون'(Watson) الذي أسّس لعلم النفس السلوكي؛ فلا يكاد يخلو بحث من الأبحاث العلميّة، أو توجّه من التوجّهات اللّسانيّة إلاّ وظهرت عليه آثار واطسون الفكرية وربّما على سبيل التمثيل نجدّ من المتأثرين 'بلومفيلد' و'تشومسكي' وغيرهم ممن تأثّروا بنظريّة علم النفس السلوكي.

فكلّ هذه النّظريات كان للسانيّات حظّ في نشأتها وتكوّنها فهي تعبّر عن أبحاث وتفسيرات فلسفيّة كانت لها نظرتها الخاصة في دراسة الظاهرة اللّغويّة والتطلّع إلى خصائصها والبحث في مستجداتها.

وقد قسّم المسدّي الأبحاث التي خاضت في علاقة علم اللّسانيات بفلسفة المعرفة إلى ثلاثة مراحل وهي:

1-"إصدار موسوعة 'لا بلياد' لمجلدها الخاص بـ(المنطق والمعرفة العلميّة) الذي قدّمه 'جون بياجيه' سنة 1967م بمساعدة 'لا يو بوستال'"[1]، ومن أهم نقاط البحث فيه:

-تطرّقوا إلى أصول الفكر اللّساني الغربي الحديث وحدّدوا مبادئه وانطلاقاته.

-"أجروا مقارنة معرفيّة بين مراحل التفكير اللّسانيّ وبين ما تمليه النظريّة التوليديّة"[2].

1-ينظر، عبد السلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيات، ص14.

2-ينظر، المرجع نفسه، ص14.

فقد بحثوا في "الأصول الأنطولوجيّة والإبستيمولوجيّة والفلسفيّة التي وجّهت اتجاهات المدارس اللّسانيّة معزولة عن السياقات التاريخيّة والجغرافيّة التي وقعت فيها"[1].

وخلصوا إلى الوقوف عند القضايا التاليّة:

أ-مفهوم العلميّة كخاصيّة حديثة في اللّسانيات.

ب-تحديد مستوى التجريد في دراسة الظواهر اللّغويّة.

وفي نظرهم أيضا أنّ فلسفة اللّغة توصّلت إلى اعتماد اللّسانيات على ثلاثة قراءات:

-"القراءة التجريبيّة (Empiricism): تقوم على اعتبار أنّ المعرفة العلميّة وليدة الخبرة.

-القراءة الوضعيّة (Positivism): تطبّق نظريّة الملاحظة فأيّة فكرة لا تكون مفيدة ما لم تثبت صحتها بالملاحظة.

-القراءة العقلانيّة (Rationalism): يعتمدون مبدأ الحدس والاستبطان في دراسة الظاهرة اللّغوية"[2].

2-تمثّلت في المؤتمر الذي نظّمته الأكاديميّة الدوليّة "لفلسفة العلوم بالتعاون مع المركز الدولي للإبستيمية التكوينيّة وذلك في جنيف خلال شهر سبتمبر 1970م:

أ-درسوا فيه قضايا التفسير في علم اللّسانيات.

ب-دأبوا إلى إرساء الخلفية المعرفيّة لكل نظريّة لسانيّة"[3].

1-محمّد محمّد يونس علي، مدخل إلى علم اللّسانيات، ص42.

2-ينظر، المرجع نفسه، ص43.

3-ينظر، عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيات، ص14.

3-"دراسات مركز 'روايامون' للأبحاث اللّغويّة الصادرة في أكتوبر 1975م:

أ-تطرّقوا إلى دراسة نظريات التكوين في اللّسانيات.

ب-وبحثوا في أصول اللّغات وعلاقتها بعلوم الإنسان"[1].

ومن أهمّ الكتب التي ألّفت في هذا المجال ودارت مضامينها حول قضايا اللّسانيات وفلسفة المعرفة نذكر:

-كتاب اللّغة والفكر لناعوم تشومسكي صدر عام 1968م يقول الأستاذ المسدي معلّقا على هذا العمل: "هذا الكتاب يمثّل وقفة حازمة من لدن رائد من رواد اللّسانيات المعاصرة يلخّص فيها إنجازاته"[2].

-وقد ترجمت محاضرات تشومسكي التي ألقاها عام 1987م في 'جامعة أمريكا الوسطى' في 'ماناجوا' على يد الأستاذ حمزة المزيني ونشرتها دار 'توبقال' المغربيّة سنة 1990م تحت عنوان 'اللّغة ومشكلات المعرفة'.

فالمسدّي يرى في الوقوف على علاقة اللّسانيات بفلسفة المعرفة أهميّة قصوى في تحقيق التصوّر الدقيق لعلم اللّسانيات ضمن مجاله المعرفي.

3-المعرفة اللّغويّة والتّراث الإنساني: في هذا الباب يقول الأستاذ المسدّي: "إنّ قراءة الميراث الإنسانيّ منهج لا يعوزه التأسيس المعرفيّ في حدّ ذاته، فكلّ قراءة كما هو معلوم في المنظور التواصلي العام تفكيك لرسالة قائمة بنفسها، وما التّراث إلاّ موجود لغويّ قائم الذات باعتباره نصّا. وإعادة قراءته تجديد لتفكيك رسالته عبر الزمن، وهي بذلك إثبات

1-ينظر، المرجع السابق، ص14.

2-المرجع نفسه، ص17.

لديمومة وجوده. فكما أنّ الرّسالة اللّغويّة عند بثّها قد تصادف أكثر من متقبّل واحد فيفكّكها كلّ حسب أنماط جداوله اللّغويّة، فتتعدّد القراءة آنيّا للرسالة الواحدة حسب تعدّد المتقبّلين، فكذلك تتعدّد القراءة زمانيّا بتعاقب المتقبّلين والمفكّكين لبنائها على محور الزمن والتاريخ وهكذا تتأسّس مشروعيّة القراءة والمعاودة طالما جاز تعدّد المتقبّلين للرسالة الواحدة وجاز تنوّع إدراكهم لأنساقها"[1].

-يرى المسدّي أنّ علاقة المعرفة اللّغويّة بالتراث الإنساني هي علاقة تداخل وتكامل فلا وجود للغة خارج الحيّز الإنساني ولا تقدّم للإنسان بدون لغة.

-من الضروري بالنسبة للمسدّي مراجعة التراث الإنساني والبحث دائما في معطيات الحضارة على اختلاف مراحلها الزمنيّة، فهذا في نظره يهيّئ اللّغة ويساعد على الوقوف عند متطلبات اللّسان في مراحله الآنيّة وفق ما تقتضيه الضرورة.

-معرفة التّراث الإنساني يمكّننا من استنباط "الأنظمة اللّغوية وتصويرها في مجموعة متداخلة من الدوائر -بحيث- تمثّل البناء العام للنّظرية اللّغوية؛ إذ تحدّد مختلف الفروض وتصوّر موقعها بعضها من بعض"[2].

-تولي أبحاث علوم الإنسان الحديثة والمعاصرة مكانة خاصة في دراسة اللّغة كونها قسم رئيسي من أقسام الظواهر الإنسانيّة وربطها بعلوم إنسانيّة أخرى خاصة علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ.

1-عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، ص20/19.

2-محمّد عبد العزيز عبد الدايم، النظريّة اللّغوية في التراث العربيّ، دار السّلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ص76.

بعد تطرّقه إلى علاقة اللّسانيات بعلوم الفلسفة والمعرفة ومكانتها ضمن حيّز العلوم الإنسانيّة نجده في هذا المجال ينتقل إلى الهدف الأساس من كلّ هذه المقارنات العلميّة والبحث في علاقة علم اللّسانيات بالتّراث العربي وهذا ما نذكره في العنصر الآتي.

4-اللّسانيات والتّراث العربي: يقول المسدّي فيما يتعلّق بعلاقة اللّسانيات والتّراث: "إنّ الفكر العربي قد شقّ طريقه من المعاصرة إلى الحداثة دون قفز مولّد للقطيعة، وقد تسنّى له ذلك بفضل انصهار المادة والموضوع في تفكير روّاده العقلانيين فكان الصراع المنهجيّ خصيبا إلى حدّ الطفرة أحيانا. لكن المنظور العربيّ مازال يتصارع والحداثة من حيث هي موقف مبدئيّ..العرب يواجهون تراثهم لا على أنّه مِلكٌ حضوريّ لديهم، لكن على أنّه مِلكٌ افتراضيّ يظلّ بالقوّة ما لم يستردّوه؛ واسترداده هو استعادة له؛ واستعادته حمله على المنظور المنهجيّ المتجدّد وحمل الرؤى النقديّة المعاصرة عليه"[1].

بعد رواج علم اللّسانيات كعلم لغويّ عصريّ حديث يدرس اللّغة دراسة علمية باحثا في "حقيقتها وعناصرها ونشأتها وتطوّرها ووظائفها وعلاقاتها وقوانينها"[2]، فمن الطبيعي أن يكون له موطئ قدم في اللّغة العربيّة لأسباب كثيرة أهمّها الرّغبة في تطوير اللّغة العربيّة بما يتناسب والنّمو الحضاري لكافة العلوم الإنسانيّة وغيرها من جهة، وسعيا من أهلها لإيجاد مكانة مرموقة تحفظ للغة الضاد توازنها وصيرورتها بين كافة اللّغات في ظلّ عالم متقلبّ ومتصارع حضاريّا وفكريّا ومتسابق في اقتناء المعلومة والتقنيّة.

ولكنّ السّؤال الذي يطرح نفسه بعمق وهذا ما يراه الأستاذ عبد السّلام المسدّي ضروريا هو كيف قابل اللّغويون العرب علم اللّسانيات؟. وكيف استفادوا منه؟.

1-عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، ص25/24.

2-خليفة بوجادي، اللّسانيات النظريّة دروس وتطبيقات، ص9.

استطاعت اللّسانيات أن تستحوذ على كافة الدّراسات اللّغوية الحديثة والمعاصرة كونها المستجد الجديد في حقل المعارف العلميّة اللّغويّة. فتعدّدت فيها القراءات والدّراسات والمناهج وظهرت فيها التخصّصات.

اطلع اللّغويون العرب على ما أفرزته الحضارة اللّسانيّة الغربيّة بمختلف معطياتها المعرفيّة والمنهجيّة وكان لكلّ واحد منهم رأيه الخاص في تبنّي الفكر اللّساني الغربي وإسقاطه على مكتسبات التّراث اللّغوي العربي. فكان لزاما أن تختلف الإسقاطات والاحتجاجات والتفسيرات في كيفية تلقّي اللّسانيات الغربيّة:

1-القراءة العلميّة: اطلع العرب على مناهج الغرب اللّسانيّة فبحثوا في الوصفيّة والبنيويّة والتوليديّة وغيرها؛ والغرض من هذه الدّراسات هو التطلع المعرفي والبحث في مستجدات علوم الغرب اللّغوية.

2-القراءة المنهجيّة: وفيها تطرّق المختصون إلى دراسة نظريّات اللّسانيات دراسة نقديّة ومحّصوا "مبادئها ومناهجها واتجاهاتها"[1] وفق ما يتماشى والوازع التّراثي العربي.

فالمسدّي يرى بأن اللّسانيات الغربية وما تحمله من رؤى وفكر فهي وافد غريب إلى الحضارة العربيّة ولكن هذا لا يمنع من وجود انطباعات ايجابيّة يمكن أن تستلهمها الحضارة اللّغوية العربيّة منها، وهذا ما يفسّره قوله: "إدخال مفاهيم اللّسانيات مع مفاهيم التّراث في جدل خصيب يُخرج لنا ثمارا مفهوميّة جديدة وحصيلة معرفيّة متفردّة ليست صورة مشوهة للتّراث ولا هي صورة منسلخة من اللّسانيات، وإنّما هي عطاء نوعيّ"[2].

1-ينظر، حافيظ إسماعيل علوي، اللّسانيّات في الثقافة العربيّة الحديثة وإشكاليّة التلقّي، مجلّة اللّسانيات واللّغة العربيّة، العدد 2 السنة 2007م.

2-عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، ص28.

وعلى الرّغم من الاختلاف الحقيقيّ بين الحضارة اللّغويّة العربيّة والفكر اللّساني الغربي إلاّ أنّ جلّ الدّراسات العلميّة تثبت مواطن الاشتراك بين كلّ اللّغات لاعتبارات منها:

أ-كلّ اللّغات لها قيم فكريّة وعلميّة خاصة لا يمنع هذا من حصول التّداخل والتّنافر معا.

ب-التفاعل الحضاري عامل طبيعيّ قديم يحصل نتيجة عوامل عدّة وهذه من سمات الحضارات الإنسانيّة.

هكذا كان المخاض اللّغوي عند المسدّي بين الفينة والأخرى فقد تلقّى اللّسانيات برؤيته الفكريّة الخاصة وبحث فيها وفق منهجه الخاص الذي يجمع بين مكتسبات التّراث وتطلّعات الحداثة. وفي هذا المحور نتناول مجالات البحث اللّساني في ما جرى عند عبد السّلام المسدّي.

ج-مجالات البحث اللّساني عند المسدّي: من الواضح أن تتحدّد رؤية المسدّي وقراءته لعلم اللّسانيات في دائرة أبحاث لسانيّة خاصة ونأتي هنا على ذكرها:

تمثّل البحث اللّساني عند الأستاذ المسدّي في شقّين أساسيين اثنين وهما:

أ-الشّق النّظري: وقد خصّه المسدّي بأبحاث علميّة تمثّلت في الاطلاع على منجزات الفكر اللّساني الغربي ومعطياته المعرفيّة والمنهجيّة. ويلحظ عليه أيضا في الجانب مقارنته المعرفيّة بين مكتسبات التّراث العربي وبواعث اللّسانيات الغربيّة. وهذا ما رأيناه في المحاور التي تناولناها سابقا كما كان له اهتمام بالغ بمقدّرات المصطلح وعلومه ورأى فيه العجلة الأساسيّة لدراسة علوم اللّغة وتتبع مناهجها والاطّلاع على إجراءاتها الخاصة. ونجد أعماله التاليّة: 'اللّسانيات وأسسها المعرفيّة'، 'مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة' المجال الذي جسّد مواطن البحث النظري وفق ما أسلفناه. وهاهو المسدّي يقول: "إنّ علم اللّسان الحديث ما انفكّ يحقّق المكتسبات تلو المكتسبات في مختلف ميادينه: النّوعيّة منها والشّموليّة، ولا يزال رواده

يقدّمون إلى أخلائهم المختصّين في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة غزير الثمار في حقول البحث الميداني والاختبار التطبيقي"[1]. وباتت اللّسانيات العلم الذي ينشد "منزلة العلم الكلّي في تقرير حال الظاهرة اللّغويّة مبتدئة بالحدث العيني وقاصدة إلى الحقائق الكونيّة"[2]. وقد تطرّقت إلى هذا الجانب في القراءة الوصفيّة التحليليّة لكتابيه 'التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة' و'قاموس اللّسانيّات'.

ب-الشّق التطبيقيّ: نرى أنّ للمسدّي محاولات لسانيّة جسّد من خلالها توجهه المنهجي والمعرفي في حقل اللّسانيّات، وخاصة تعلّقه ببعض المناهج الغربيّة كالبنيويّة فقد ألّف كتابا بعنوان 'قضية البنيويّة دراسة ونماذج' محاولا من خلال هذا العمل شرح مقاصد هذا المنهج ومزاياه في اللّسانيات العربيّة. ولنا نحن أن نقدّم ونستشهد بأهمّ ما ورد في كتابه كنموذج للتوضيح في الجانب التطبيقيّ:

يقول المسدّي في مقدّمة كتابه معلّقا عن هذا العمل: "وقد عالجنا الموضوع من منطلق جملة من الخبرات الفكرية المتداخلة التي كانت قضيّة البنيويّة فيها بمثابة عماد الدوران في مفترق من المسالك، وقد كان حافزنا الخفي هو التساؤل في كلّ حين عن وجه الهويّة المعرفيّة في الفكر البنيويّ من خلال العلاقات الممكنة بينه وبين سائر حقول المعرفة إلى جانب التساؤل عما طرأ على هذا الفكر من انسلاخات مختلفة سواء بمفعول التّحول الذاتي أو بمفعول الانتقال من بيئة ثقافيّة أجنبيّة إلى بيئة الثّقافة العربيّة"[3].

1-عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، ص19.

2-عبد السّلام المسدّي، اللّسانيات وأسسها المعرفيّة، الدار التونسيّة للنشر، 1986م، ص31.

3-عبد السّلام المسدّي، قضية البنيويّة دراسة ونماذج، ص5.

ونأتي هنا إلى الوقوف عن كيفيّة تشخيص المسدّي للمنهج البنيويّ وفق ما تمليه عليه رؤاه الفكريّة ووفق ما تتبنّاه خطواته المنهجيّة:

-تعريفه للبنيويّة: في نظره منهج لغويّ حديث لديه رؤية خاصة في دراسة مقوّمات اللّغة ومكوّناتها، ويسعى للولوج "إلى بنية النص الدّلاليّة من خلال بنيته التركيبيّة"[1] ويمكن الاصطلاح على أنّ البنيويّة "طريقة علميّة يقام بها مبنى معيّن"[2]. والواضح أنّ هذا المنهج ظهر على يد العالم اللّغوي 'فرديناند دوسوسير'، وقد تجلّى هذا في دراسته لقضايا اللّغة والكلام والدّال والمدلول والتزامن والتعاقب.

-إجراءاتها: يرى المسدّي بأنّ الدّراسة البنيويّة تهتم ببنية النص، ولا تنظر إلى محيطه الخارجي "فلا تدرس المؤلف ولا تهتم بالسياق النفسي والاجتماعي، بل أنّها تبحث في الوظيفة الجماليّة للنصّ فقط"[3]؛ فهي تفسّر الحدث على مستوى البنية وهذه قاعدة التحليل البنيوي الذي تتبنّاه.

ويمكن هنا إيجاز عناصر الدّراسة البنيويّة فيما يلي:

1-النسق: ويقصد به حصر الدّراسة في العناصر التي تتحدّد بها بنية النّص؛ لأنّ هذه العناصر هي أساس العلاقات البنيوية داخل منظومة النّص.

2-التّزامن: "لأنّه يمثّل ارتباط النظام الزمني المتعلّق باستمرار البنية وثبات نسقها"[4].

1-عبد السّلام المسدّي، قضية البنيويّة دراسة ونماذج، ص77.

2-ينظر، صلاح فضل، نظريّة البنائيّة في النقد الأدبي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998م، ص120.

3-ينظر، عبد السّلام المسدّي، قضية البنيويّة دراسة ونماذج، دار الجنوب للنشر، تونس 1995م، ص110/108.

4-ينظر، يمنى العيد، في معرفة النّص، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1985م، ص33.

3-التعاقب: فهذا العنصر مرتبط بالتزامن ولا يمكن الفصل بينهما وله علاقة مباشرة بنظام البنية في النص.

-**مجال الدراسة البنيوية**: تتوزّع الدّراسة البنيويّة عند المسدّي في عدّة نقاط منها:

1-المجال الصوتي 'الفونولوجي': دراسة الحروف أي البحث في رموزها وتركيباتها الموسيقية: كالإيقاع والنبر والتنغيم وغيرها.

2-المجال الصرفي 'المورفولوجي': يبحث في الوحدات الصرفية من خلال الوقوف على وظيفتها داخل النص الأدبي.

3-المجال النّحوي: يبحث في تراكيب الجمل وطرق تكوينها والبحث في خصائصها الجمالية ونظمها.

4-المستوى المعجميّ: دراسة الكلمات من الناحية التجريدية للوقوف على الجانب الحيوي والحسي منها.

5-المستوى الدّلالي: البحث في معاني الكلمات ودلالتها وعلاقتها بغيرها من الألفاظ والجمل والعبارات.

6-مجال القول: يختص "بدراسة الجمل الكبرى ضمن حيز الكلام والتطلع إلى كلّ خصائصها"[1].

7-مجال الرمز: وهو نتاج البحث في علاقات النّص بمعنى استخلاص الصيغة المعنويّة المستوحاة من الدّراسات الأخرى.

1-ينظر، ثامر إبراهيم المصاورة، المنهج البنيوي دراسة نظريةّ، مقال منشور في موقع أدباء الشام http://www.odabasham.net/ ص14.

فالمنهج البنيوي يقوم "بدراسة جميع هذه المستويات في نفسها أولاً، وعلاقتها المتبادلة وتوافقاتها والتداعي الحر فيما بينها والأنشطة المتمثلة فيها ثانيا وهو ما يحدد في نهاية الأمر البنية الأدبية المتكاملة"[1].

وهكذا فقد كان للمسدّي تطبيقات معرفية أراد من خلالها استدراج المناهج الغربيّة في الدّراسات اللّغوية العربية، والوقوف عند حقائقها واستنطاق خصائصها والاستفادة منها.

1-ينظر، المرجع السابق، ص14.

2-قراءة وصفيّة تحليليّة لكتاب المسدّي 'التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة':

-التعريف بكتاب التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة: أصل الكتاب رسالة دكتوراه دولة حصل عليها عام 1979م ثمّ طبعت إلى كتاب عام 1981م من الدّار العربيّة للكتاب الطبعة الأولى ثمّ طبع الطبعة الثانية عام 1986م.ثمّ الطبعة الثّالثة عام 2009م فهذا الكتاب حقيقة يمثل مشروعا ضخما هادفا في عالم اللّسانيّات العربيّة يسعى من خلاله لإطلاق بادرة تأسيس نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة؛ جوهرها التّراث العريق وقوامها البعد اللّساني العربي وعبّر عن ذلك بقوله الصريح: "كان لزاما رفع التحدّي وكان لزاما القفز على المعرفة بعد القفز على الزمن ورحنا نحفر في طبقات التراث غير عابئين بغياب الدّراسات التفصيلية التي تتعاطى التحليل قبل التركيب والتأليف، فكانت المغامرة وتلك هي التي نعيد إخراجها اليوم كي تؤدي شهادتها المتعدّدة كما أسلفنا ولكن لابد – في ضوء هذا الفاصل الزمني – من أن نتحسّس جوابا للحصاد المعرفيّ الذي جنته اللّغة العربيّة خلال قرن كامل قد مضى"[1] وللتوضيح أكثر نشير إلى أنّ الكتاب الذي بين أيدينا المخصّص للدّراسة هو من الطبعة الثالثة الصادرة عام 2009م من الدّار العربيّة للكتاب؛ وهذا حتى لا يختلط الأمر في تحديد الصفحات التي يتمّ الاستشهاد منها.

-دأب الأستاذ عبد السّلام المسدّي إلى بيان جواهر التراث اللّغوي العربيّ القديم متيقّنا من جهوزية ما تحتويه الحاضنة اللّسانيّة العربيّة لتحقيق ما يستلزم التطوّرات اللّغوية المعاصرة والتي باتت تفرض تحدّيّات قصوى تعترض الوجود اللّغوي العربي.

-في كتابه اللّسانيات في الحضارة العربيّة؛ يقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي: "لقد غدا مقرّرا أن ما حظيت به الدراسات اللّسانيّة المعاصرة من ازدهار وإشعاع تبوّأت بهما منزلة

1-عبد السّلام المسدّي، التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط3، 2009م، ص17.

مركز الجاذبيّة في كلّ البحوث الإنسانيّة إطلاقا ليس له نزوة من نزوات الفكر البشري ولا هو بدعة من بدع المساجلات النظرّية"[1].

1-حوافز البحث وغاياته:

-**اللّسانيات والمعرفة المعاصرة:** يرى المسدّي أنّ اللّسانيات احتلت مكانة مرموقة بين كافة العلوم وخاصة أنّها تهتم بدراسة الجانب النّطقي الحامل لدلالات المعارف العلميّة لكلّ علم من العلوم. ولا ربّما كانت العلوم الإنسانيّة الأكثر عناية بهذا الحقل اللّغوي على اعتبار علاقته الانتمائية بعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة وغيرها من العلوم الإنسانية الأخرى. ولاشكّ من أنّ الطابع العلمي التجريدي الذي حظيت به اللّسانيات وظهور قاعدة التفرّد والشّمول رفع من مستوى التّمرس النّظري والتطبيقي الذي زاد من الإقبال النوعي لدراسة العلم اللّغوي وربطه بمحاصيل الإنتاج المعرفي.

-**الحداثة والتراث:** ضمن باب البحث وغاياته يعطي المسدّي وصفا تفسيريّا يعرج فيه عن فكرة جديدة بقوله: "إنّ الفكر الغربي قد شقّ طريقه من المعاصرة إلى الحداثة دون قفز مولّد للقطيعة، وقد تسنّى له ذلك بفضل انصهار المادة والموضوع في تفكير رواده العلمانيّين؛ فكان الصراع المنهجي خصيبا إلى حدّ الطفرة أحيانا. لكن المنظور العربي ما يزال يتصارع والحداثة من حيث هي موقف مبدئي. وإذا كانت مقولتها قد أربكت الفكر الفلسفي المعاصر في تنقيبه عن وحدوية العقل البشري منذ كان لنا عنه توثيق"[2].

يظهر المسدّي هنا في وصفة تحليليّة يشخّص من خلالها الموروث اللّغوي العربي بإعطاء صورة توضيحيّة لكيفيّة الانتقال الفكري اللّغوي الغربي، للاحتجاج العلمي

1-عبد السّلام المسدّي، التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص17.

2-المرجع نفسه، ص20.

الاستبياني في توضيح مفهوم الحداثة والعصرنة والاتصال والانفصال داخل كلّ اللّغات حتى يتسنّى لنا قراءة تراثنا اللّغوي العربي وفق مبدأ المناسبة والتمحيص.

ويضيف المسدّي حول ذلك أيضا "مبدأ استلهام تراثنا يتنزّل لدى العرب في عصرنا منزلة مولّد التأصيل الفرديّ الذي بدونه يظل الفكر العربي سجين الأخذ محظورا عليه العطاء"[2]. فمبدأ قراءة التراث واستلهام مكوّناته بما يتعاطى مع الواقع المعرفي الهائل فالمسدّي يرى في هذا المبدأ الوجه الأكمل لاستحضار المعالم الأصلية للّغة العربيّة والذي يؤدي إلى تأسيس لحاضر مستقبلي ذي أواصل حضاريّة منتقاة من الزخم المصدري الثابت في وجدان عالمنا اللّغوي العربي العريق.

وحديث المسدّي عن طريقة نشأة الفكر اللّساني الغربي دالة على رغبته في تقديم النموذج الأوروبي في هذا الركب المعرفي، فهو يرى أنّ اللّسانيّات الغربية انبثت من خلال العمليات الاستقرائيّة للحركات اللّغويّة القديمة واستعادت منها ما يتعارف مع الرؤى المنهجيّة والعلميّة ويتناسب مع مكتسباتها الآنيّة وهكذا نشأت اللّسانيات الغربيّة. وفي هذا ما استدل به المسدي في طرحه.

-**اللّسانيّات والتراث**: يعزم المسدّي في هذا العنصر البحث في مقومات التراث العربي وإيجاد علاقة ملائمة بين ما تقدّمه اللّسانيات الحديثة وما تكتسبه العناصر اللّغوية العربيّة من قدرات تأهّلها للصرح العصري المتنامي.

يقول الأستاذ المسدّي: "أوّل مظهر من مظاهر اكتمال العلم إفرازه لثبته الاصطلاحي الخاص به..ويتمثّل المظهر الثاني في محاولة رواد العلم ضبط فلسفته التأسيسيّة أو

1-المرجع السابق، ص21.

ما يمكن أن نسمّيه بأصوليّة العلم..أمّا المظهر الثالث من مظاهر اكتمال اللّسانيّات فيتجلّى في الحركة الاستبطانيّة التي تشهدها الدّراسات التاريخية والمحاولات التنظيريّة العامة"[1]. جمع المسدّي مظاهر الاكتمال في نشوء المعرفة اللّسانيّة في ثلاثة قواعد استخلصها من المراحل التجسيديّة التي مرت بها الحركة اللّسانيّة الأوروبيّة فرأى أنّها قواعد لزومية يجب أن تقوم عليها الحركة اللّسانيّة العربيّة ونوضح ذلك:

أ-القاعدة الأولى (ضبط المصطلح وتثبيته): يرى المسدّي في هذا الجانب ضرورة قصوى وهذا ما ذهب إليه في معجمه "قاموس اللّسانيات' فهو يؤمن بأنّ لكلّ علم مصطلحاته ولكلّ مصطلحات ضوابط وخصائص، فاللّسانيات كباقي العلوم لها مفاتيحها المعجمية الخاصة التي تفضي مدلولات ذات اصطلاحات خاصة تثبت بها الحيز المكاني في التسارع الخطير في حقول العلوم اللّغوية وغير اللّغويّة لافتكاك قدر مهم من المصطلحات للاستعمال الدّلالي الخاص تحت كنف الإنتاجية والاستكشافية في ظلّ التسابق العلميّ القائم والمحتدم.

فالمسدّي يرى أنّ الحركة اللّسانية العربيّة الحديثة يجب أن توسم بهذا المظهر اللّغوي البدئي كما وسمت به النّهضة اللّغويّة الأوروبيّة في مراحل تكوّن علم اللّسانيات وسيتضح ذلك أكثر عبر الشرح القادم.

ب-القاعدة الثانيّة (المرجعية الفكرية) أو الفلسفيّة: لكلّ عمل مرجعه الفكري؛ فاللّسانيات لها بواعثها الفكريّة التي تنظّر منها. فقد تطرق المسدّي إلى الفلسفة اليونانيّة باعتبارها المورد الفكري الذي أخذ عنه أعلام اللّغات الأوروبية. فالعربيّة أيضا لابد من أن تكون لها مرجع نظري يكوّن لها محطّتها الانطلاقيّة للتمحور في ظل الحراك اللّساني الحديث.

1-المرجع السابق، ص23/22.

ج–القاعدة الثالثة (وسيلة الاستبطان): الاستبطان عامل أساسيّ في كل الأبحاث العلمية قاطبة واحتل مكانة مناسبة في معارف اللّغات الأوربية وفي مفهومه الاصطلاحي هو: الغوص بتأنّي في أعماق المادة المحدّدة لدراسة تراكيبها وخصائصها الباطنيّة. والهدف منه تحقيق المعرفة اليقينيّة لمعْلَمٍ إجرائي محدّد.

فالمسدّي رأى بأنّ هذا العامل مهم في بناء الحلقة العلمية اللّسانيّة فقد استندت إليه الدّراسات اللّسانيّة الغربية الحديثة والمعاصرة للولوج في حقائق العلوم ومعرفة مكنوناتها، فبالاستبطان نستطيع تعميق الاستنتاجات وإصدار الأحكام وتثبيت الآراء.

والمستخلص من هذا الشرح حول هذا العنصر أنّ اللّسانيّات العربية يجب أن تتقيد بما انطلقت منه اللّسانيات الغربيّة ليتشكّل علما معرفيّا بكامل الأوصاف المطلوبة. ولعلنا نوضح ذلك وفق المخطّط التنظيمي التالي:

مراحل العملية التأسيسيّة بالترتيب:

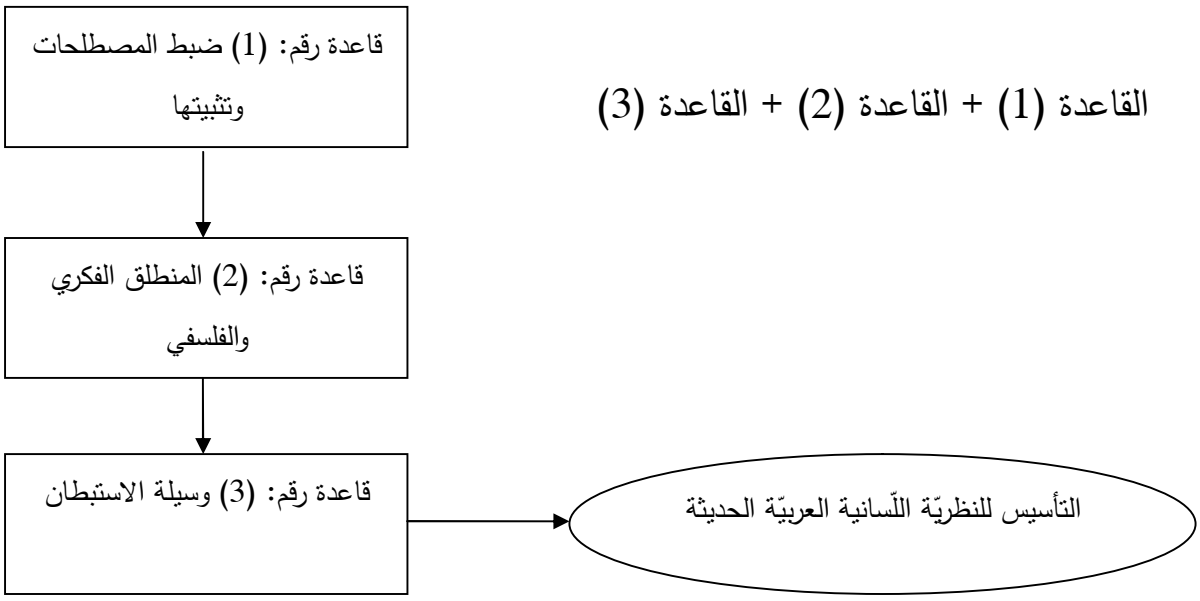

-**اللّسانيّات والشّمول**: يعطي الأستاذ عبد السّلام المسدّي انطباعا آخر، وتفسيرا مهمّا يندرج في قراءته للتراث اللّغوي العربي وتأمّله للمعطى اللّساني الغربي ومن نصّ قوله حول قضية الشموليّة في اللّسانيّات "وقامت اللّسانيات المعاصرة فتأسّست حسبما يفضي إليه الفحص الأصوليّ 'الإبستيمولوجي' على ركيزتين أساسيتين لا تخلوان من تناقض تتمثّل الأولى في النّظر في اللّغة من حيث هي ظاهرة بشريّة عامة. فإذا باللّسانيين يعكفون بموجب ذلك على تحسّس نواميس الكلام بقطع النّظر عن تجسّده النّوعي في أيّة لغة ما. وتتمثّل الثانيّة في السعي إلى إدراك الموضوعيّة العلميّة في تشريح الظاهرة اللّغوية، فانتهوا رأسا إلى نبذ المطارحات الماورائيّة وعزلوا بذلك فلسفة اللّغة عن مباحثهم -ودراساتهم- العامة والخاصة"[1]، والهدف الذي ينبع من كلام المسدّي سعيه إلى نظريّة علميّة عربيّة شرطها أن تكون مستسقاة من العطاء التراثي؛ تحقق المطلب الشّمولي الذي حقّقته العلوم اللّغويّة الغربيّة.

-**اللّسانيّات والحضارة العربيّة**: في هذا العنصر يتناول المنهج الذي انطلق منه اللّغويون في بسط مقترحاتهم، فقد ميزوا بين فقه اللّغة ومكتسبات اللّسانيات الحديثة يقول: "لقد انبنت حركة التّدوين اللّساني المعاصر في محاولة أصحابها إبراز خصائص اللّسانيّات الحديثة ومقوّماتها النّوعية على منهج المقارنة بينها وبين فقه اللّغة أو الفيلولوجيا الكلاسيكيّة، لذلك اضطر مؤرخو اللّسانيات اضطرارا إلى بسط خصائص التفكير اللّغوي في تاريخ البشريّة عامّة، فاتجهوا وجهة تاريخيّة استعراضية في كشف مقوّمات العلم اللّغوي في القديم لينتهوا إلى إبراز خصائص التفكير اللّغوي في تاريخ البشريّة عامة لينتهوا أيضا إلى الفوارق النّوعيّة والمقابلات المبدئية ممّا تتجلّى به طرافة اللّسانيّات

1-عبد السّلام المسدّي،التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص26.

فتتميّز من المفهوم الفيلولوجي للمعرفة اللّغوية"[1]. سعى اللّغويون الأوربيون إلى التّعريج على فتراث البحث اللّغوي الأوروبي عبر مراحل وهي:

-فترة العصور القديمة: وتناول فيها الدّارسون التفكير اللّغوي في فترة ما قبل التاريخ الميلادي بثلاثة آلاف سنة، فأتوا على ما وجد في الحضارة الصينيّة والهنديّة.

-فترة العصور الوسطى: وتمتد من القرن الرّابع إلى القرن الرابع عشر ميلادي ويلحظ عليها أخذ الدراسات اللّغوية على منوال عقائدي.

-فترة العصور الحديثة: تنطلق من فترة النّهضة في العالم الغربيّ بدءا من القرن الخامس عشر وفيها اهتم الباحثون بالنحو الفلسفي والدراسات المقارنة.

فهؤلاء من أهل الغرب بسطوا سمة الطرافة لعلم اللّسانيات، وأثبتوا لها الجدارة العلمية. وحديثهم على مراحل البحث اللّغوي الإنساني القديم بحسب الأستاذ عبد السّلام المسدّي فيه نظر؛ لاعتبار أنّهم أهملوا الوجود اللّغوي العربي ضمن حيز الحلقات اللّغوية الإنسانيّة ككل. وبالتالي فإنّ هذا الاستثناء هو تجاهل لحلقة أساسيّة من حلقات الإنجاز اللّغوي العالمي في فترة من فتراته.

فالمسدّي يشير في هذا الباب أنّ الغربيين أخذوا عن العرب كمًّا هائلا من المعارف في حقبة من حقب الزمن ولكنهم لم ينقلوا علوم اللّغة من نحو ودلالة مثلا. وفي هذا نوازع عدّة جعلت من الغربيين يتغاضون عن الأخذ من ثوابت اللّغة العربيّة منها:

1-الانتماء الديني؛ وخاصة أنّ الدرس اللّغوي العربي في العصور الإسلامية قد تشبّع من الزخم الديني الإسلامي الهائل، ولاسيّما ما يتعلق بأصول الفقه وغيره من علوم

1-المرجع السابق، ص32/31.

الشّريعة. وهذا لاشكّ من أنّه يزعج العالم الغربي على اعتبار عقائدي.

2-أنّ ما تنصّ عليه النّظريّة اللّسانيّة العربيّة القديمة كالتقسيم الثلاثي للّغة العربيّة مثلا وارد حسب رأيهم في محاور الدّراسات اللّغوية الأوروبيّة؛ لأنهم نظروا إلى العرب قد أخذوا من الفلسفة اليونانيّة العديد من المفاهيم والنظريات خاصة في حركة النقل والترجمة التي عرفت في زمن العباسيين.

-**النظريّة اللّغوية عند العرب**: لا ضير من أنّ العرّب كانت لهم القراءة الخاصة لعلوم اللّغة، وهذه معالم كل فكر لغويّ قديما وحديثا؛ فالأمم تختلف في نظرتها التفسيريّة لظواهر اللّغة. ويقر المتتبعون للتراث اللّغوي العربي القديم أنّه مورد شمولي الوصف وهذا ما أشار إليه المسدّي في هذا العنصر حيث يقول: "التفكير العربي قد أفرز نظريّة شمولية في الظاهرة اللّغوية، ولعلّ ذلك ما كان إلا محصولا طبيعيّا لعوامل تاريخية تنصب جميعا في ميزة الحضارة العربيّة التي اتسمت قبل كلّ شيء بالمقوّم اللّفظي حتى كاد تاريخ العربي يتطابق وتاريخ سلطان اللّفظ في أمّته"[1]. وفي ردّه عن وصف اللّغة العربيّة بأنّها 'لم تفرز في مجال اللّغويات سوى علم تقنيّ منطلقه وغايته نظام اللّغة العربيّة في حدّ ذاتها لا غير' يرى في هذا الوصف شيئا من الإجحاف؛ لأنّ اللّغة العربيّة تختلف من حيث الدوافع والعوامل عن باقي اللّغات ولو كانت من أسرتها السّامية، وهذا يعود إلى التّداخل الهائل بين مضامين النّص القرآني والدّرس اللّغوي، فلا شكّ أنّه أصبح النمط الأساس في قراءة اللّغة. وتشبّعت ميادين اللّغة العربيّة بمفاهيم 'الدّرس القرآني' وظهر عند العرب الدرس الصوتي والبلاغي والمعجمي تماشيا مع الوازع القرآني الذي بات يأهل اللّغة العربيّة ويبعثها في حصانة.

1-المرجع السابق، ص36.

ويعطي المسدّي في هذا الجانب أيضا تمثيلا آخر، فاللّغة في نظره ارتقت في حضارة العرب الإسلامية واستبانت معالم النظرية اللّغوية وحدّد مقاسها المعرفي وكانت البادرة مهمة في الوصول إلى الطابع التجريدي وفق العرب إلى:

1-دراسة مستوى العبارة: وهو البحث في دلالات الألفاظ، وحصول التأليف المعجمي المختص المتماشي مع تطلعات الدرس القرآني وخاصة التفسير.

2-دراسة مستوى اللّغة: دراسة المركبات النحوية والاعتناء بالجانب الصوتي والبلاغي وكان هذا ضمن أبحاث علم القراءات والدرس البلاغي القرآني.

3-دراسة مستوى الكلام: بات للعرب منهجا في دراسة اللّغة منطلقه الحيز الحضاري ضمن مكوّناته العقائديّة وكانت اللّغة العربية في هذه المرحلة مكتملة المعارف النّحوية واستطاع أهلها حصر مظاهر اللّحن.

-حظّ الموضوع من الدّراسة: البحث في اللّغة العربيّة من جهة النّوع والمجال وافر وزاخر، وهذا ما استخلصه المسدّي في قراءته للتراث العربي النّفيس؛ إلاّ البحث التخصّصي في عموم الكلام يكاد ينعدم، ونلمس هذا التصريح في كلامه: "إنّ حظّ النظريّة اللّغوية في الحضارة العربيّة من الدّراسة حظّ يتقابل فيه الثراء النّوعي في علوم العربيّة وخصائصها مع ضالة المحاولات التأليفيّة الشموليّة التي تسمح بالنفاذ إلى النّظريّة المبدئيّة في ظاهرة الكلام عموما، والنظر في جملة الدّراسات الرّاهنة يفضي إلى تدعيم مصادرتنا الأوّليّة"[1]. نستدرج كلام المسدّي فنجده قد قسّم الدّراسات والأبحاث اللّغوية المتوفرة حاليا إلى خمسة أقسام وهي:

1-استقصاء فكر من أعلام اللّغة أو الدّين على ما نجده في عمل الأستاذ عبد القادر

1-المرجع السابق، ص40.

المهيري في دراسته لابن الجنّي. فقد تناول أهم التصنيفات في ما تضمّنه كتاب الخصائص حول الكلام العربي. ووصف المسدّي هذا النّوع من الدّراسات بأنّه:

-استقصائي لمضمون نظريّة من نظريّات علم من الأعلام.

-شمولي في مضمونه يفتقد إلى التحديد الدقيق.

-الدّراسة في هذا الجانب تمثل محورا فرديّا.

2-استقصاء فكر لمؤسّسة من المؤسّسات اللّغوية الحديثة نحو ما قام به 'الأستاذ رشاد الحمزاوي' عن مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة أو دراسة قطبا لغويا قديما نحو مدرسة الكوفة أو البصرة والولوج إلى الآراء والمواقف النحوية مثلا. ولا ربّما هذا النوع من الدّراسات أعمق من الدّراسات السابقة وأدق منهجيا.

3-هذا النّوع من الدّراسات يقف عند حدود المنهجين التاريخي والمقارن، فالدارسون المتخصّصون في هذا النوع من الدراسات لتحديد مواطن التأثّر بالغير ومظاهر الفكر اليوناني في الفكر اللّساني العربي والمقارنة بين نظريات الغرب ونظريات العرب كمقارنتهم للتفكير النّحوي والتفكير المنطقي، وهذا النوع من الأعمال نجده مثلا عند الأستاذ (إبراهيم مدكور) في بحثه عن قاعدة القياس وما يلحق به من تعليل واستدلال.

4-أعمال متعلّقة في البحث حول مقوّمات التفكير اللّغوي في التراث العربي عموما وهو يعنى بالغوص في أعماق التراث والتطلع إلى مكاسب اللّغة العربية ويعتمد الدارسون في هذا المجال على مناهج محدّدة كالبنيوية والوصفية وغيرها ولا ربّما هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو واحد من أهم الأعمال التي تنطوي تحت هذا المجال المعرفي المهم بمسمى 'التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة.

ورأى المسدّي في هذا النّوع من الدّراسات محاولات استطلاعيّة الهدف منها السعي للإلمام بمنابع الفكر اللّساني العربي الحديث.

-مدار البحث ومصادره: يريد الأستاذ المسدّي في هذا الجانب تحديد مجال الدّرس اللّغوي العربي القديم والوقوف عند مصادره التي تنطلق منها معارفه العلميّة حيث يقول: "فمن موقع الدّراسة اللّسانية المعاصرة في تبلورها وتركّزها على شمول الظاهرة اللّغويّة وبمنظور الحداثة في البحث والاستنباط، وفي ضوء مقولة التّراث عموما يتنزّل بحثنا عن النّظريّة اللّغوية عند العرب لا من حيث هي تقنيات نحويّة وصرفيّة وبلاغيّة ومعجميّة، وإنّما من حيث هي تنظير للظاهرة اللّسانيّة عموما"[1]. فهو يبيّن أنّ مجملَ أعمالِ اللّغويين القدامى تجلّت أبحاث حول قضايا النّحو والصرف وقضايا البلاغة والمعجم، وهو يريد الانتقال بهذا الموروث من ملامح التّقعيد الأصوليّ إلى مقاصد التّنظير اللّساني الحديث وهذا ما يتبنّاه الأستاذ عبد السّلام المسدّي في مقاله. أمّا من جهة المصدر المعرفي فقد جمع مراجع اللّغة العربيّة فيما يلي:

1-اللّغة العربيّة: فاللّغة العربيّة باعتبار المراحل والسبق العملي يمثّل المعطى الاستنتاجي فيها من انجازات أصحاب اللّغة المرجع لكلّ بحث لغوي جديد.

2-الأدب العربي: يشمل كلّ الدّراسات النقديّة والفنّيّة المتعلّقة بآداب اللّغة العربية القديمة على مختلف الفترات الزّمنيّة ولا ربّما يشير الأستاذ المسدّي إلى الأدب العربي في العصر العباسي باعتبار القوة والتأثير.

3-الدين الإسلامي الحنيف: ويعد المرجع الأساس والمهم في بناء الدّرس اللّغوي القديم والحديث. فلا شكّ من أنّ علوم القرآن المختلفة أثرت في اللّغة إثراء كاملا وفعّالا جعل

1-عبد السّلام المسدّي، التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص47.

من اللّغة تأخذ منحى مهما في عالم الدّراسات المختلفة.

4-الفلسفة (علم الكلام): يقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي في هذا "هو نقطة تقاطع الثقافة الإسلاميّة عقيدة وتشريعا ومنطقا، وفي مفترقه ازدهرت مناهج الجدل وأدب المناظرات، ولعلّ منطلقه وغايته كانا تساؤلا عن قضايا عقائديّة محورها الظاهرة اللّغوية"[1]. فبيّن أهمية فلسفة الكلام سابقا في تداول قضايا اللّغة والخوض في مسائلها المختلفة حتى التي تأخذ منحى عقائديّا.

5-علم الاجتماع: يقول المسدّي: "وهو ما غدا مسلّمة في تاريخ الفكر العربي وتاريخ العلوم العامة"[1]. وأوضح المسدّي أيضا بأنّ هذا العلم المهم ظهر عند العرب بدءا من أعمال ابن خلدون والذي يعتبر هو المؤسس الفعلي له.

-**مصادرات منهجيّة**: يرى المسدّي أنّ التراث اللّغوي العربي مبنيّ على الأسس التالية:

1-القصد والبعث الذاتي: "هذا التّراث مقصود بذاته ولذاته حتّى إذا جلونا خصائصه نطق بنفسه عن مضامينه النّوعيّة"[2]. يرى بأنّ اللّغة من حيث الانتشار والبعث هي بمثابة الإحياء والرسالة التي تؤدّى. والملاحظ على قراءات الأبحاث المعاصرة كلها تصب في كنف الاستقراءات الذاتية للتراث اللّساني العربي.

2-التراث اللّساني العربي قائم بالكليّة العامة من حيث البناء: 'فحصنا لمادة التراث العربي كلّا لا يتجزأ زمانيّا بقدر ما يتجزأ مضمونا وقضايا، فهو بالنّسبة إلينا مادة

1-المرجع السابق، ص51.

2-المرجع نفسه، ص52.

2-المرجع نفسه، ص53.

متجمّعة متراكمة في لحظة فحصه وكشف خباياه'. أي أنّ الأبحاث تكاد تتداخل من حيث الإنتاج والانتهاج المعرفي والعملي في فترات متقاربة زمنيّا.

3-التميّز الثقافي: فقد شهد التّراث اللّغوي العربي تداخلا فكريّا كاد أن يشكل الحلقة الواصلة بين الموروث والوارد إلاّ أنّ المبعث القوي هو الشموليّة الثقافيّة الإسلاميّة التي غطّت كلّ مناحيه وصبغت مجاريه.

-**بنية البحث**: تقوم بنية البحث على ثلاث قواعد مصنّفة على النّحو الآتي:

1-قيام بنية البحث العربي على مبدأ تحديد المفاهيم والتعريفات والتأسيس للقواعد.

2-استكشاف خصائص البنية أو ما يسمى بالدراسة العضوية لبنية الجملة العربيّة.

3-البحث في الدلالة المعنوية للكلمات والجمل باعتبارها المحدّدة للوظيفة.

يقول الأستاذ المسدّي حول ذلك: "فمن التحديد إلى الأبنيّة إلى الدّلالة: معناه فحص المعضلة اللّسانيّة بمجهر متحرّك من المسافة القصوى إلى المسافة الدّنيا"[1].

ومنه نقدم الشكل التالي كمخطّط للتوضيح:

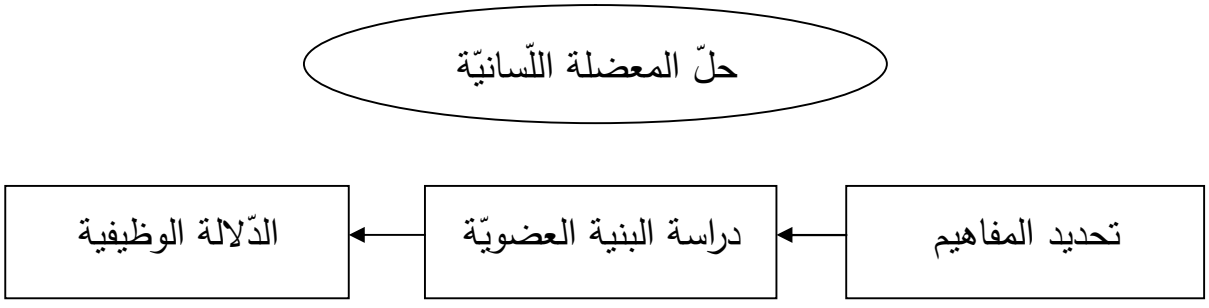

1-المرجع السابق، ص57.

2-الإنسان واللّغة:

-اختصاص الإنسان: يرتبط الإنسان منذ وجوده بالظواهر اللّغوية المختلفة، فهو كما يسمّيه الفلاسفة 'الحيوان النّاطق' لتميزه عن غيره بالنطق أو كما يسميه اللّغويون 'خاصية الكلام' ولعلّنا في هذا الجانب نلتمس أنّ المسدّي يريد التلميح على البعد الوجودي التاريخي للظاهرة اللّغوية بصفتها مكسب إنسانيّا خاصا ومن كلامه نجد:

1-يرى المسدّي بأنّ العلاقة بين الإنسان والكلام هي علاقة طبع واقتضاء، فالطبع أنّه: مولع بالفطرة لأداء وظائف تعبيرية، والمقتضى هو ما يؤدي وظيفة تواصلية ويرى المسدّي أنّ العلاقة بين الإنسان والكلام البدائية لا يمكن أن تكون علقة تفاهم واتفاق لعوامل عدّة منها النضج العقلي والاكتساب المعرفي بمعنى خاصية التطور في المراحل البدائية الأولى منعدمة.

2-يرى عبد السّلام المسدّي أنّ العرب انتقلوا من الاستنتاج الحسّي في فهم روابط اللّغة الطبيعية إلى الاستنتاج الوظيفي من حيث علاقة اللّغة بالمجتمع، وخاصة الجانب الصوتي منها باعتباره المهم في بناء الحيّز التواصلي الصحيح.

ذهب المسدي في هذا المجال إلى استدراج أعمال العرب في دراستهم للغة من حيث هي ظاهرة إنسانيّة واجتماعيّة. فقد أورد رأي ابن حزم الذي وصف علاقة الكلام بالإنسان بأنّها وجوديّة فيقول: "لا سبيل إلى بقاء أحد من النّاس ووجوده دون كلام"[1]. وذهب أيضا إلى نقل رأي ابن خلدون في هذا التفسير الذي وصف اللّغة بأنّها النشاط المنفرد بخاصية الإنسان؛ يقول "كالمقعد الذي يروم النّهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه"[2].

1-ابن حزم الأندلسي أبو محمّد علي، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام، مصر ط2، ج1، د-ت، ص29.

2-ابن خلدون، وليّ الدين عبد الرّحمان، المقدّمة، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان ط4، د-ت ص578/577.

ونأتي هنا على قول المسدّي: 'وهكذا تبرز مراسم الجدل التّنظيريّ في الفكر العربي عند تسلطه على الظاهرة اللّغوية'.

-ما قبل اللّغة: تنازعت الآراء حول أصل اللّغة ومنابعها، فالمسدّي رأى أنّ العرب انقسموا في هذا المسألة واختلفوا حول ما إذا كانت اللّغة إلهاما موهوبا أم اصطلاحا مصنوعا، وظهرت مسائل النسبيّة الغيبيّة والنسبيّة العقليّة وظلت هذه المناقشات تربك الفكر العربي الإسلامي، واحتدم الخلاف حول ما إذا كانت اللّغة وقف 'إلهي' أم هي مستخلص إنساني منذ أواخر القرن الثاني الهجري، وخاصة بعد ظهور التفاسير القرآنيّة فقد كان تفسير الآية القرآنيّة ((وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا))[1]. المحرّك الأساس في تطوّر هذه المسألة؛ فنورد هنا التفاسير التي جاء عليها غالب العلماء في شرحهم لهذه الآية الكريمة. فقد ذهب الطبري والغزالي إلى أنّ المحتمل من مدلول هذه الآية أن تكون اللّغة اصطلاح أو وحي؛ فهم رأوا تكافئ الأمرين في نشأة اللّغة والمتطلع إلى رأي ابن الجنّي في هذه المسألة يجده يجوز الأمرين في مسألة النّشأة. إلاّ أنّه يوافق مسألة الوضع والاصطلاح باعتبارها الأقرب إلى البيان؛ ويستدل هذا من مفهوم قوله: "أكثر أهل النّظر على أنّ أصل اللّغة إنّما هو تواضع واصطلاح"[2]، كما يرى الأستاذ المسدّي أنّ مسألة المواضعة والوقف كانت محلّ جدال بين الفرق الكلاميّة ورأى بأنّ المعتزلة من أكثر الفرق ولوجا إلى هذه القضية وكان رأيها بالمواضعة ونفت أيّة صلة للوقف 'الإلهي'. وأخيرا يقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي: "هكذا نتبيّن كيف أنّ قضية ما وراء اللّغة إنّما تستند إلى إشكال منهجيّ تأويليّ دون أن تكشف افتراقا مبدئيا أو اضطرابا فكريّا

1-سورة البقرة، الآية31.

2-ينظر، ابن الجنّي، الخصائص، ج1، ص66.

بحيث إنّها عولجت في مختلف أطوارها بما يجعل النّاظر مطمئنا إلى توحّد المحرّكات النظريّة بعيدا عن افتراض كلّ تمزّق فكريّ أو تقطّع أصوليّ، ولقد كانت الآراء المختلفة تصدر عن محرّك توليديّ هو فكرة المواضعة في الحدث اللّساني مطلقا، وإذا كانت هذه النّظريّة قد تغلغلت في مسامّ التراث العربيّ فقبعت وراء أرضيّة الموروث اللّغوي"[1].

-**التوقيف الإلهي**: يشتبه العنصر من التحليل بالعنصر السابق. يقول المسدّي: "إنّ القول بالتوقيف كما أسلفنا متولّد رأسا من محاولة استنباط مخبّآت الآية القرآنيّة المتعلّقة بأصل نشأة اللّغة، فكان لذلك نوع من إسقاط منطلق اللّغة على مبتدأ الخليقة أصلا وفي حدود هذه المعطيات اندرج المشكل اللّغوي في سياق عقائدي تأويلي أعمّ بكثير ممّا يستوجبه النّظر المباشر في اللّغة، لأنّ الرّجوع إلى ابتداء الخليقة لكشف لحظة الاتصال بين الإنسان والكلام على مدارج الزّمن الطبيعي هو رجوع إلى فحص العلاقة الرّابطة بين مبتدأ الوجود البشري وعلّة هذا الوجود"[2]. يسرد المسدّي في هذا الباب أقوالا وآراء لمن يقول بالوقف الإلهي، ويقدم مواقف تمثيليّة:

1-ابن حزم: فسّر نصّ الآية بمدلول الوقف على اعتبار تنافي القدرة العقلية للإنسان مع المعطى اللّغوي لقوته التركيبيّة. ونستخلص ذلك من قوله: "وأمّا الضروري بالبرهان، فهو أنّ الكلام لو كان اصطلاحا لما جاز أن يصطلح إلاّ قوم قد كملت أذهانهم وتدرّبت عقولهم"[3].

1-عبد السّلام المسدّي،التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص85.

2-المرجع نفسه، ص86.

3-ابن حزم الأندلسي أبو محمّد علي، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام، مصر ط2، ج1، د-ت، ص28.

2-إخوان الصفاء: لاشكّ من أنّ إخوان الصفاء يقرّون بالمعنى الوقفي؛ باعتبار أنّ اللّغة لا يمكن أن تكون صنيع الإنسان، بل هي من وارد الإلهام الرّباني وهذا الاستقراء مصدره تفسيرهم للآية القرآنيّة التي ذكرناها.

3-السّكاكي: يرجح الأمرين إمّا المواضعة وإمّا الوقف فيرى لو كانت بالمواضعة فإنّ الأصل يبقى التوفيق من 'الله' باعتبار الأصل حيث يقول: "وهذا والحق بعد إمّا التوقيف والإلهام قولا بأنّ المخصّص هو 'تعالى'، وإمّا الوضع والاصطلاح قولا بإسناد التخصيص إلى العقلاء، والمرجع بالآخرة فيهما أمر واحد وهو الوضع، لكنّ الواضع إمّا 'الله' عزّ وجلّ وإمّا غيره"[1].

-التّشريع الوضعي: بعد الحديث عن التوقيف الإلهي للّغة نأتي هنا إلى الحديث عن الجانب الوضعي للّغة والولوج إلى الآراء المحدّثة بالمواضعة، فنجد عبد السّلام المسدّي يقول في هذا الجانب: "إنّ البحث في واضع اللّغة ومشرّعها لم ينفك يراود منظّري الفكر العربيّ الإسلاميّ في تاريخه سواء منهم ذوو الاختصاص اللّغوي أو المشتغلون بالتفكير النّظري الخالص للعقيدة والفلسفة والعلم"[2]. رأى المسدّي بأنّ العلماء العرب في تفسيرهم للمواضعة طرحوا أربع افتراضات كالآتي:

1-المواضعة من مبعث الواضع الرئيس الذي يعتبر المصدر الأوّل للاتفاق الكلامي بين المجموعات البشريّة. يقول المسدّي: 'أن يكون المشرّع للغة شخصا واحدا معينا هو الرئيس المدبّر'. بمعنى أنّ الألفاظ في تحديدها الشكلي 'الصوتي' والمعنوي

1-السّكّاكي، مفتاح العلوم، القاهرة، ط1، 1937م، ص169.

2-عبد السّلام المسدّي، التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص91.

'الدلالي' دوال "يشرعها لهم مدبّر واحد يحملهم عليها"[1]. وهذا التفسير رأى فيه الأستاذ المسدّي الصورة الأعمق في الإفصاح عن الواقع.

2-المواضعة من صنع جماعة مدبرين، بحيث أنّ هؤلاء ينسب إليهم الوضع في اللّغة كما ينسب إليهم الوضع في الشرائع والاتفاق على المسائل، ويسمى هذا "ضرب من تأسيس مبدأ التشريع الجماعي"[2].

3-المواضعة باعتبار الأبنية الفكريّة للمميزين من المجتمع كالحكماء والشعراء ورواة اللّغة ونقلة الأخبار؛ فأعمالهم تعدّ المنطلق الأساس لاتفاق الكلام.

4-المواضعة وفق التصنيف الكلّي؛ "فلعلّها الرّكن الضارب في رؤى الحداثة، لما تأسّست عليه من مؤشرات لسانيّة"[3]. ويرى أصحاب هذا التصنيف أنّ المجتمع هو الوازع الأساس للمواضعة اللّغوية باعتباره المؤسسة المنتجة للّغة.

-**المحاكاة الطبيعيّة:** يقدّم عبد السّلام المسدّي في هذا المنحى تصوّرا معرفيّا خاصا يجسّد من خلاله تأثير الطبيعة في نشأة الكلام بصفة التقارب والتلاحم والتجانس القائم بين الحياة الطبيعيّة والحياة الإنسانيّة، يقول المسدّي: "فمحصول هذا الاعتبار أنّ اللّغة تصبح إفرازا طبيعيّا ترشّحه الأرضيّة المناخيّة والأبنيّة الحضاريّة، فهو نتاج يكاد يكون ماديا في حوافز نشأته وظروف تأقلمه. وينصهر عنصر الإنسان بحسب هذا التقدير في إطار القواعد الماديّة الملموسة بحيث يترافق مع مؤسّسته اللّسانيّة ليصبحا معا رديفا

1-الفارابي أبو النّصر، شرح كتاب أرسطاطاليس في العبارة، من تأليف، ولهلم كوتش اليسوعي، وستانلي مارو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، 1960م، ص27.

2-عبد السّلام المسدّي،التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص95.

3-المرجع نفسه، ص96.

من ردائف الأبنيّة الطبيعيّة"[1]. فالمسدّي يبن أثر العامل الطبيعي في تكوين صورة اللّغة مستندا في هذا إلى التشابه الذي قد يحصل في ميزات الأصوات النطقيّة والأصوات البشريّة وهذا ما ذهب إليه السّلف من أهل اللّغة فها هو ابن جنّي يقول في كتابه الخصائص: "وذهب بعضهم إلى أنّ اللّغات كلّها إنّما هي من الأصوات المسموعات كدويّ الريح وحنين الرّعد وخرير الماء وشحيح الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي، ونحو ذلك ولدت اللّغات..فيما يعدّ وهذا وجه صالح ومذهب متقبّل"[2].

-**<u>النشوء والتناسل</u>**: يتكلّم المسدّي في هذا العنصر عن مدلولات تفسيرية أخرى تعبّر عن حقيقة اللّغة حيث أنّها وصفت بالخليّة المتوالدة أو المتكاثرة بحيث أنّها تتقارب بالتداخل والتناسب والانسجام ويحدث عن ذلك توالد اصطلاحي جديد نتيجة التزاوج السابق فأصحاب هذه الرؤية أعطوا تصورا خاصا لنشأة اللّغات يقول الأستاذ المسدّي: "فهذه النظريّة تقوم إذن على افتراض تحرّك الوجود اللّغوي على محور الزّمن قبل اكتمال الظاهرة اللّسانيّة ذاتها. والمقصود بذلك أنّها تعزل عن مسلّماتها الأوليّة تولّد اللّغة بالطّفرة التلقائيّة. فكأنّما ترفض أن تكون اللّغة وجدت في لحظة معينة بصفة متكاملة. فهي إذن تتضمّن وحدوية المنطلق في أصل النّشأة ثم يعقبها التوالد والتكاثر"[3]. وفي هذا الشأن نجد من أهل اللّغة العربيّة من سار على هذا الطرح كالقاضي عبد الجبار والزملكاني فهؤلاء وإن لم يكن لهم تصور واضح حول نظرية نشأة اللّغات وتكاثرها وتنوّعها

1-المرجع السابق، ص99.

2-ابن الجنّي، الخصائص، ج1، ص47/46.

3-عبد السّلام المسدّي،التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص107.

إلاّ أنّهم يرون في التغير الزمني والاختلاف الاستعمالي للّغة داخل البيئات الاجتماعية ما يدل على خاصية التوالد والتنوّع يقول الزملكاني: أنّ "لكلّ زمان أهل وعادة في مقالهم ومجاري استعمالهم"[1]. فهذا كفيل لاستبيان التنوع بوجود العادات المختلفة، والاستعمال المختلف من مجتمع إلى آخر، ويضيف القاضي عبد الجبار: "العرف أقوى من اللّغة لأنّه يرد على اللّغة فيغيّر حكمها"[2].

3-المواضعة:

-**اعتباطيّة الحدث اللّساني:** يقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي: "إنّ من أشدّ القضايا النّظريّة اتصالا بتحديد الظاهرة اللّغوية عامّة، وبحصر نظريّة المواضعة خاصة، الحديث في الاعتباط كصفة مبدئيّة تَسِم الحدث اللّساني إطلاقا. والذي به ارتبطت مسألة المواضعة بقضيّة الاعتباط* في اللّغة هو وجود نظريّة المحاكاة ضمن المواقف المختلفة في مشكل أصل اللّغة، وهو ما أدرجناه في سياق النظريّات العرضيّة التي أملاها إذعان التفكير اللّغوي لاقتضاءات خارجة عن اللّغة"[3]. يقف عبد السّلام المسدّي في هذا الجانب على 'الروابط الحقيقيّة' الجامعة بين الدال والمدلول؛ فقد بيّن أنّ الرّابط في أصله ليس منطقيّا، ولا تجمعه أيضا علاقة طبيعيّة، بل هو من مقاصد الصدفة على اعتبار ما

1-كمال الدّين الزملكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني بغداد، 1974م، ص93.

2-القاضي عبد الجبار أبو الحسن، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق محمود محمّد الخضيري، القاهرة 1965م، ج16، ص99.

*الاعتباط، كما عرفه عبد الرّحمان الحاج صالح هو: الحدث الذي لا علّة له، ويسميه البعض ترجيح دون مرجح أي عدم المناسبة/ ينظر، مجلّة اللّسانيات، المجلّد2، الجزء1، 1972م، ص46.

3-عبد السّلام المسدّي،التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص130.

أفرزته الأفكار في تفسير الإشكالات التي تعترض حياة الإنسان. ولا ربّما نجد السّكّاكي في تعريفه لمبدأ الاعتباط أقرب شرحا فيما تقدّم حيث يقول: "إنّه صناعة مستندة إلى تحكّمات وضعية واعتبارات ألفيّة"[1]. وقد صنّفت اللّسانيات الحديثة الاعتباط إلى صنفين:

1-اعتباط أقصى: مرتبط بمستوى الدلالة للألفاظ في صورتها التجريدية داخل علاقاتها الاستبداليّة، ويوصف بجدول الاختبار.

2-اعتباط أدنى: يكون ضمن العلاقات الرّكنيّة في مستوى البناء التركيبي ويوصف بالجدول التوزيعي*. ويستنتج من هذا ما يلي:

أ-الأصل في الدلالة أنّها ظرف خاص طارئ على اللّغة باعتبار الحدث الكلامي وضروراته الحسّية وليس لها أيّ توافق منطقي.

ب-الدلالة من حيث الوجود مردّها الإرادة الخاصة بالإنسان لحاجاته الضرورية المختلفة التي مصدرها الذّات. وهذا ما يذكره ابن حزم: "تأليف الكلام فعل اختياري متصرّف في وجوه شتّى"[2].

1-ينظر، السّكّاكي، مفتاح العلوم، القاهرة، ص110.

*يجدر الإشارة إلى أنّ الاعتباط لا يقف عند حدود العلاقة بين الدّال والمدلول، وهذا ما ذكره عبد الرّحمان الحاج صالح: "بل يشمل أيضا المقاييس الجزئية التي تنتظم عليها جميع وحدات اللّسان. ولذلك يختلف النّظام الصوتي والإفرادي والتركيبي من لغة إلى أخرى، كما يختلف مضمونها المادي". ينظر مدخل إلى علم اللّسان الحديث مجلّة اللّسانيّات، الجزائر،عدد4، 1973م/1974م.

2-ينظر، ابن حزم الأندلسي أبو محمّد علي، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام، مصر ط2، ج1، د، ت، ص116.

ويرى المسدّي أنّ علماء العربية في وقفتهم الاستطلاعيّة لقضايا الاعتباط اعتمدوا التفسير بدل الوصف ودرسوا في ذلك:

1-صلة اللّغة بالعقل وخلصوا إلى ما يلي:

أ-بما أنّ العلاقة بين الدّال والمدلول علاقة اعتباطيّة فهذا يحتّم بأن لا يكون للعقل دخل في شأن المدلولات في اللّغة.

ب-الاعتباط في بناء الدوال يمنع التعليل وهذا ما عبّر عنه الغزالي في تفاسيره.

2-علماء اللّغة العربيّة يرون أن وجود الرابط الاعتباطي بين الدّال والمدلول يجعل من حقيقة الأشياء المعبّر عنها غير موافقة للدلالة الصحيحة لأنّها غير معلّلة.

-**تحديد المواضعة:** في هذه النّقطة يبيّن المسدّي بأنّ نظريّة المواضعة تنظر إلى نظام اللّغة على أنّه نظام قائم بذاته لذاته وهذه الوصف آنيّ تحديديّ ولم يستثن التفسير الزماني لما مرّ به مراحل تكوّن النّظام اللّغوي، يقول المسدّي: "على أن تنزّل هذه النّظريّة على محور الزّمن لا يمنع قيام تدافع حركيّ يبيّن المنظور الآني المحدّد لها أصوليّا والمنظور الزماني الذي يقتحمها منهجيّا من حين إلى آخر. ويعتمد الفكر النّظري – في تاريخ الحضارة العربيّة – على جملة من المصادرات الأوليّة في هذا المضمار تقف به عند عتبات الإشكال الزماني بحيث لا يلج – عند ترسيخه نظريّة المواضعة – غيابات الزّمن المتقادم، فلا يغامر بالبحث في متاهات 'ما قبل اللّغة'"[2]. فلا شكّ من أنّ علماء العربية قد كان لهمم وقف مهم في شرح نظام تكوين اللّغة واستنتجوا من خلال

1-الغزالي أبو حامد، المستصفى من علوم الأصول، المكتبة التجارية، مصر، ط1، ج1، 1937م، ص165.

2-عبد السّلام المسدّي،التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص148.

دراساتهم الوصفيّة والزمانيّة ما يتم به تحديد المواضعة ورأوا أنّ:

1-اللّغة في أصل نشأتها الأولى اعتمدت على نظام علامي مغاير لحقيقتها وإنّما طبع على حاصل المصادفة والاعتباط.

2-تطورت العلاقات الدلاليّة فيما بعد ليحل منهج الإدراك والاتفاق بعد الشعور وتكوّن القدرة الذهنيّة وخرجت اللّغة من قفص الاعتباط إلى فساحة الاتفاق وسميت هذه النقلة النّوعية بالعلم الضروري. ولا ربّما نضع هنا مخطّطا استنتاجيّا لرؤية العرب في كيفية تحديدهم لخاصية المواضعة:

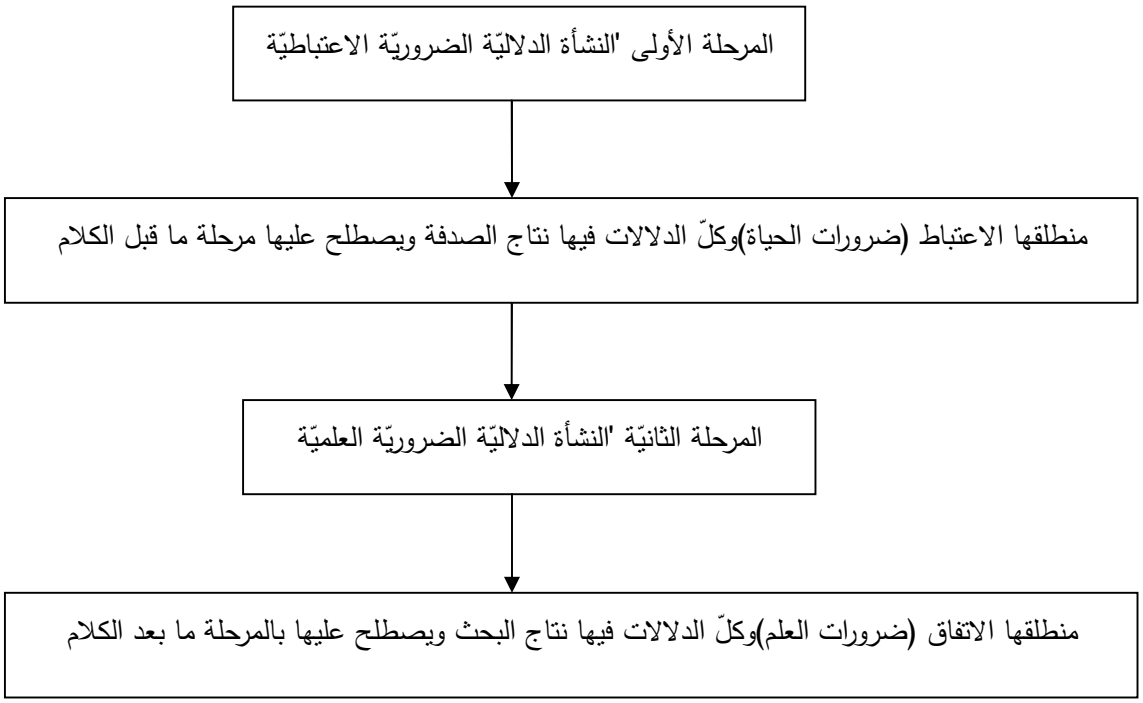

وفي تحديدهم للمواضعة قسّموا الظاهرة اللّغويّة إلى مرجع ودال ومدلول كالآتي:

1-المرجع: هو المقابل التصوري في شكله الواقعي بمعنى شيء معاين يصادف الإنسان في واقعه المعيشي يقيم في ذهنه تصورا خاصا.

2-المدلول: الصورة المدلوليّة المعبّرة عن الشيء الملاحظ في الواقع وقد تسمى أيضا الفكرة التشخيصيّة.

3-الدال: هو الجانب الشكلي الحامل في صورته النطقيّة المعنى الدلالي، وله أصوات خاصة وصفات رمزيّة محدّدة.

ويرى المسدّي أنّ المواضعة شرط أساس ومرحلة أسبقية لابد منها لاستقامة الجهاز اللّساني في أي لغة كانت ويؤيّد هذا قول الخفاجي: "الكلام إنّما يفيد بالمواضعة"[1].

-**المواضعة والعقد**: بعد تفريغه الهام حول قضايا المواضعة ومنطلق تحديدها ووصفها. هاهو المسدّي يعرّج على قضية لُمحت في الأفق اللّغوي مصدرها القصدية أو كما سمّاها هو بالعقد. فنجده قد استنتج أنّ عامل المواضعة ليس بالضرورة أن يكون هو المحرّك الفعلي والجدلي في تحديد الظاهرة اللّغويّة، فالمسدّي انتقل إلى استبيان واقع آخر يتمثّل في وجود علاقة قانونيّة بين اللّغة والمواضعة يمثّلها عنصر القصد في العمليّة الكلاميّة، بمعنى أنّ المتكلّم يقصد في كل عبارة تحقيق فائدة معينة؛ وهو الرابط بين اللّغة والمواضعة. فالمسدّي يرى في هذه العلاقة ما يلي:

أ-أنّ العقد قصد محدّد ضمن العمليّة الكلاميّة. وهو القانون الدّاخلي في المواضعة تحدّده أجناس الخطاب.

ب-يرى المسدّي أنّ وجود القصد في المواضعة يحدث تصوّرا كاملا للحدث الكلامي الأوفى دلالة، ويقسّم علماء اللّغة القصد إلى ما يلي:

1-قصد للمواضعة العامة في الظاهرة اللّغوية عامة.

1-الخفاجي ابن سنان، سرّ الفصاحة، تحقيق علي فودة، القاهرة، ط1، 1932م، ص128.

2–قصد لمواضعة مخصوصة في لغة معيّنة.

3–قصد للمخاطبة وفيه قصد الباث والمتلقي والمتقبل.

ويشترط علماء اللّغة في القصد شروطا محدّدة كما يلي:

1–الترابط بين المتحدّث وكلامه.

2–الإرادة والقدرة للمستمع للرد.

والمعنى الواضح عن العقد هو الاتفاق الجماعي لبناء تواصل لغوي تام وكامل وهو على مستويين كما صنّفه الجرجاني عقد على مستوى الدلالة المستمدّة من معاني الألفاظ المجرّدة وهذا ما يسمى بمحور الاختيار الاستبدالي. وعقد ملزم في نظم الكلام حين تدخل الألفاظ حيّز التركيب. وهذا ضمن محور التوزيع التركيبي. والعقد عند ابن حزم كفيل بوقاية اللّغة من كلّ تحكّم، والقاضي عبد الجبّار يرى بأنّ العقد اللّغوي كعقود المعاملات يتصف بالمرونة الذاتيّة التي تمنحه سمة البقاء والتنقيح والتعديل المناسب. الأستاذ عبد السّلام المسدّي يرى بأنّ العقد في المواضعة قانون صارم ومطلق وفيه تعديلات وتغيرات فالظواهر البلاغية والدلاليّة المختلفة والمتطوّرة بتغيّر الحدث تدلّ على ذلك فقد أعطى المسدّي صورة المجاز كمثال عن ذلك وقال: "المجاز تحويل لنصّ العقد اللّغوي يدلّ عليه مساق اللّغة ذاتها بحيث تصبح دالة لا بمعانيها وإنّما بمعنى معانيها"[1]. ونختم هنا بقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي حول الرابط الحقيقي بين العقد والمواضعة: "وتعرف اللّغة بكونها عقدا مبدؤه صريح في التراث العربي، متبلور على المستوى

1–عبد السّلام المسدّي،التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص197.

النظري تماما، غير أنّ المصطلح الذي تشكّل به لا يتطابق مع متصوّر العقد إلاّ في مستوى المدلول إذ إنّ لفظ العقد بالمفهوم الذي تكرّسه له العربيّة المعاصرة لاسيما في لغة المعاملات قد كانت تتجاذبه مجالات دلاليّة مختلفة"[1].

-من الاعتباط إلى التلازم: بحث الأستاذ عبد السّلام المسدّي في هذا الجانب مسألة التطوّر في الكلام وخصّ فيها أقوال أهل العلم من اللّغة كالجرجاني وغيره فقد تناولوا أثر التزامن في خصائص الكلام، فاستند المسدّي من خلال رآهم، واعتبر الاعتباط زائل بالتقدّم الزمني واستفحال دور العقل في فكّ الإبهام بحيث إنّ ذلك يزيد من تعليل اللّغة وفق ما تقتضيه ضرورة العلم وتطوراته المعرفيّة والمنهجيّة؛ بحجّة "أنّ اللّغة إذ هي محصورة بين فكّي المواضعة والدّلالة لا تكون إلّا معقودة في خصائصها الأوّليّة برباط الزّمن كمفترق لتقاطع كلّ السّمات النوعيّة، فإذا دخل عنصر الزمن على معادلة الدّلالة أزال عن الدّلالة غلاف الاعتباط"[2]، وانعقد رابك التوافق العلمي بين 'الدّال والمدلول'.

فالمسدّي اعتبر علاقة الدّال بالمدلول علاقة ترابط تعسفي أفرزته الظواهر التي تحدت الإنسان كعوامل الطبيعة وحاجيات الذات، فلم يكن العقل صاحب قدرة في تحقيق المعقول وإنّما غلبت الاعتباطيّة على كلّ الأنسجة اللّغويّة، ولذا يفسّر هذه المعضلة على أنّ اللّغة قد انتقلت من حتميّة الاعتباط إلى قاعدة التّلازم التي منطلقها التفسير الصائب في وضع المدلولات وفق مكاسب اللّغة من معرفة علمية وقدرات منهجية.

وقد ذكر عبد السّلام المسدّي 'عنصر الزمن'؛ لأنّه الحائل الحقيقيّ في تحديد المواضعة

1-المرجع السّابق، 186.

2-المرجع نفسه، 202.

العلميّة والانتقال باللّغة من حابس الاعتباط إلى دقّة البناء هذا يحقّق التلازم الدلالي. وبهذا تكون اللّغة في مراحل تطورها قد خطت خطوة أماميّة مفادها أن "خرج الحدث الكلامي من الاعتباط الآني إلى التّلازم الزّماني ومعناه أنّ الزمن يحوّل التعسّف الاقتراني إلى تعلّق باضطرار أو بما يشبه الاضطرار أي إلى ترابط يصبح طبيعيّا وإن لم يحتكم في أصله إلى اقتران طبيعيّ"[1].

-توليد المواضعات: يقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي "لعلّه بات من الحقائق المقرّرة لدينا ونحن في هذا المدْرَج من تواصل البحث وانتظامه جدليّا بالاستتباع والتداعي أنّ المواضعة في تاريخ الفكر اللّغوي عند العرب نظريّة تنبني على إشكاليّة الابتداء بما أنّها عقدة خطّيّة تندرج في الزمن فتكون رهينة انقداح شرارة المنطلق، وأنّها بحكم ذلك معضلة فكريّة مجرّدة تنصب منهجيّا في قالب المنظور الآني المباشر بعد لحظة الابتداء، وقد جلونا كيف أنّ المواضعة نظريّة تحتكم إلى افتراض نقطة البدء افتراضا، وما إن ينطلق التحرّك اللّغوي على محور الزمن حتى تصبح المواضعة في علمنة اللّغة دستورا مشرّعا لذاته بذاته"[2]. فلا شكّ من أنّ الإرهاصات الفكرية التي عرفتها اللّغة العربيّة حول قضايا المواضعة والاعتباط والانتقال الحاصل في حقول المعرفة الدّلاليّة أسهم كليّا في طرح مساءلات حول ما تستطيعه اللّغة في مجال الإنتاج والتحصيل بعد تحقيق المفارقة في تثبيت الروابط بين الدّوال ومعانيها بين واقع الاعتباطيّة القديمة بقدم الظواهر اللّغويّة والتلازميّة المبنيّة على شروط علميّة. ونجمع هنا ما رآه المسدّي حول توليد المواضعات في قراءته لأعمال اللّغويين العرب:

1-المرجع السابق، ص203.

2-المرجع نفسه، ص216.

1-يرى ابن حزم أنّ اللّغة بعد المواضعة يتكون لديها نظام دلاليّ "يحمل في طيّاته القدرة على وضع أنظمة إبلاغيّة جديدة لغوية أو علاميّة"[1]. وهذا بيان لظهور توليد المواضعة من خلال تحقيق الأبنيّة اللّغويّة الأصل.

2-ذهب القاضي عبد الجبّار إلى الحديث عن توليد المواضعات بقوله: "ولهذا يستغني العالم ببعض اللّغات في المواضعة على لغة أخرى عن الإشارات لأنّ تلك اللّغة تقوم مقامها في صحة المواضعة على لغة ثانية وثالثة"[2].

3-وابن الجنّي ذهب إلى هذا الجانب أيضا فهو يقرّ أنّه متى حصلت الاستقامة اللّغويّة نستطيع من خلالها أن نغيّر أو نستخلص.

فالمسدّي يري في توليد المواضعات خطوة إنجازيّة لابد منها في نشأة اللّغات المتفرّعة عن اللّغات الأصل أو يمكن اعتباره طريقة لتكوين الملاحق اللّغوية من خلال دراسة أبنيتها واستخلاص قواعدها. ومبدأ التوليد بصفة عامة نجم عنه البحث في عموم اللّغات والولوج في معارف المصطلح وهذا ما تستند إليه النّظريّة اللّسانيّة في أبحاثها الاصطلاحية المختلفة. ونختم هذا المنحى بقول المسدّي: "وهكذا يغدو تولّد المواضعات داخل اللّغة تحوّلا من دلالة اللّسان إلى الدلالة العلاميّة المنضافة إلى الحدث الخطابي" الوارد في استعمال اللّغة"[3].

-**اكتساب المواضعة:** يقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي:"وموضوع الاكتساب والتحصيل

1-المرجع السابق، ص217.

2-القاضي عبد الجبار أبو الحسن، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق محمود محمّد الخضيري، القاهرة 1965م، ج5، ص170.

3-عبد السّلام المسدّي، التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص240.

من المواضيع المبدئيّة في الدّراسات الإنسانيّة قاطبة، وهو من القضايا المعرفيّة ذات الطابع الشّمولي سواء في توفيره نموذج تقاطع الاختصاصات واشتراك المعارف، أو في اتصاله بقضايا التّنظير التأسيسيّ والمواصفة التطبيقيّة في آن معا"[1]. أراد المسدّي التعريج على قضية مهمة تأصيليّة تعترض الفكر اللّغوي القديم والحديث يدور إشكالها حول أصل اكتساب المواضعة ووقف عند أراء بعض مفكّري اللّغة العرب القدامى، وفيها استنتج أنّ ما يلي:

1-ابن الجنّي نظر إلى اللّغة بأنّها من صناعة الطبع فحسب رأيه أنّها ظاهرة إنسانيّة "تمارس بالطبع الذي يغدو في الممارسة اللّسانيّة أداة توثّب وهجوم على اللّغة، وهو ما يعزل احتمال قيام الأصول الواعيّة أو القوانين المدركة بالفعل لدى الإنسان في تعامله مع الظاهرة اللّغويّة"[2].

2-أبو حيان التوحيدي رأى بأنّ اكتساب اللّغة مردّه عامل 'الغريزة' "معتبرا أنّ ممارسة الإنسان للحدث الكلامي لابد أن تستند إلى بناء وترتيب قائمين في غرائز أهل اللّغة المقصودة بالذّات"[3].

3-ابن وهب نظر إلى اكتساب المواضعة على أنّه ناجم من حواصل 'العادة' لأنّها وسيلة قديمة مؤثرة في حياة الإنسان كلّها ولا تستثني أي جانب منها.

ونجد عبد السّلام المسدّي يلتمس تفسيرا أعمق مستخلصا من رأي ابن خلدون الذي نظر إلى قضية المكتسبات اللّغوية على أنّها كائنة بالوعي ومتصلة بالحسّ المسبق

1-المرجع السابق، ص249.

2-المرجع نفسه، ص256.

3-المرجع نفسه، ص256.

إلّا أنّ هذا الوعي موسوم بالفطرة إلى جانب الممارسة الفعليّة للعمليّة اللّغويّة وهذا ما يفسّره قوله: "هذه الملكة – الاكتساب – تحصل بممارسة كلام العرب الكلام وتكرّره على السّمع والتفطّن لخواص تراكيبه"[1]، من نحو وبلاغة وغيرها.

4-مقوّمات الكلام:

-الكلام والمكان: من سمات الأحداث أنّها مرتبطة بمكان حدوثها وزمان حدوثها وهذه خاصيّة كل المواضيع المجردّة. ولا شكّ من الكلام حدث حاصل له بعده الزماني والمكاني الخاص، فالمسدّي رأى في هذه النقطة كامل الأهمية باعتبارها مقوما من مقوّمات الكلام، وانتبه العرب إلى الجانب المكاني في تحديد حوادث الكلام كباقي الموجودات، فالكلام في نظر علماء اللّغة العربيّة ذو مرجع مكاني تجري فيه الأحداث وهذا ما عبّر عنه الخفاجي في كتابه سرّ الفصاحة بقوله: "يجري الكلام في وجوده في الأماكن الكثيرة مجرى الأجسام، ويزيد على الأجسام بأنّه يوجد في الأماكن الكثيرة في الوقت الواحد، والأجسام إنّما توجد في الأماكن على البدل"[2].

ويرى الأستاذ عبد السّلام المسدّي بأنّ اللّغويين العرب قد ميزوا أطراف الكلام من حيث مبدأ المكانيّة بالوصف التالي:

أ-الكلام طاقة واسعة ومنتشرة لا تحتضن في حيّز ضيق بل تتعدّى الاستعمال الضيق إلى الاستعمال الواسع وهذه خاصية الأحداث المكانيّة، فهذا كفيل بأن يعطي للكلام سمة المكانيّة لاعتبار الحدث الوجودي.

1-ابن خلدون وليّ الدين عبد الرّحمان، المقدّمة، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط4، (د، ت)، ص562.

2-الخفاجي ابن سنان، سرّ الفصاحة، تحقيق علي فودة، القاهرة ط1، 1932م، ص41.

ب–والكلام باعتباره حدثا منجزا بوصف محدّد لا شكّ أنّه "يخترق أبعاد المكان"[1]وهذا دليل عن صفة المكانيّة الملازمة للمكان لاعتبار الحدث اللّساني؛ فمثله مثل باقي الحوادث الأخرى التّي تشهدها الدائرة المكانيّة .

–**الكلام والزمن**: يرى المسدّي أنّ علماء العربية خاضوا في خاصيّة الزمن على أنحاء مختلفة ورأوا بأنّ الظاهرة اللّغوية لها حيّزا زمانيّا كما أنّ لها حيّز مكاني بحيث لا يمكن الفصل بين الاثنين في دراسة مقدّرات الكلام؛ فنجد مثلا فخر الدّين الرّازي الذي وصف المكونات الصوتيّة بالتوالي الزّمني للحروف المنطوقة 'الآنيّة' وجعله شرطا لحدوث المؤثر من الكلام، وعلى مثله كان الخفاجي وهو الآخر نظر إلى حدوث الكلام بشرط الانتظام الزّمني، ونجد أيضا عبد الجبار الجرجاني والذي ألح بدوره على التماسك الزمني في بناء الكلام ليكون مفيدا في حدوثه. فالمسدّي أراد بهذا القسم من كلامه أن ينسب خاصيّة مهمّة من خصائص اللّسانيّات وهي البعد الزمني في الظواهر الكلاميّة التي تتسم بها جميع اللّغات، وهذا ما التمسه في تركيبة اللّغة العربيّة ونختم هنا بقول المسدّي: "الزمن هو البعد الثاني الذي يحدّد للظواهر وجودها الحدثي؛ فتندرج به تمام الاندراج في سياق المادة المقيّدة، والكلام في وجوده الأنطولوجي والموضوعي يرتهن بقيد الزّمن انطلاقا من تحديد إنجازه في تحقّقه الفعلي"[2].

–**الكلام وفاعله**: نظر العلماء العرب إلى الكلام على أنّه رسالة لغويّة تقوم على عنصري المتكلّم والمستمع، واعتبروا أن منفّذ الكلام هو فاعله الحقيقيّ واستنتاجهم يعود إلى تحليلات معرفيّة منها:

1–عبد السّلام المسدّي، التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص297.

2–المرجع نفسه، ص298.

1-ارتباط مادة الخطاب 'الكلام' بصانعها أي فاعلها.

2-ازدواجيّة الابتداء 'المصدر الباث' والاحتذاء 'المتبع أي السامع'.

فالمسدّي دائما يقدّم توضيحات العرب حول هذه القضايا المهمّة فذكر نظرة الخفاجي الذي اعتبر أن الكلام 'فعل موضوعي يقوم به المتكلّم'، فهذه دلالة لتحديد صورة العلاقة بين الكلام وفاعله وهذا مقصد الأستاذ عبد السّلام المسدّي الذي استنتج أنّ العلاقة القائمة بين الطرفين هي علاقة سببيّة مباشرة:

1-لا صوت 'بنيّة الكلام النّطقيّة' بدون تصويت 'مصدر الصوت'.

2-ارتباط الحدث اللّساني 'الكلام' بنقطة بثّه 'فاعله'.

ونوضّح هنا بقول المسدّي: "علاقة الكلام بصاحبه مزدوج المنفذ لأنّه يتركّز أولا على صعيد التنظير المبدئي من حيث ارتباط مادة الخطاب بصانعها، ويرتكز ثانيا على ازدواجيّة الابتداء والاحتذاء -كما رأيناها في المسألة السّابقة- لأنّ علاقة المتكلّم بخطابه تختلف خفّة وثقلا تبعا لكونه حاكيا له أو واضعا إيّاه"[1].

-**<u>الكلام والاضطرار</u>**: يسعى المسدّي في هذا الجانب للوقوف على ظاهرة الكلام من خلال عنصر المتلقي ويرى أنّ:

1-الكلام يتميّز بصفة الاضطرار بمعنى أنّ له قدرة تسلطيّة تحكميّة.

2-التلقي منطلقه الحتميّة فلا خيار في ذلك باعتبار وجوب التواصل.

3-للكلام خاصيّة إجرائيّة اضطراريّة لا بد من التقيد بها.

1-المرجع السابق، ص337.

فهو يرى أنّ الكلام في نشأته مبني على الضرورة والحتميّة، فالمتكلّم مضطر إليه والمتلقي مضطر إليه حيث يقول: "فالحدث اللّساني في صورته الإنجازيّة يتشكّل – بالنسبة إلى السامع– بصورة الموجود المفروض، بمعنى حتميّ لا يترك لمن حضره أن يختار تقبّله أو يرفضه"[1].

–**الكلام والشّمول**: يتكلّم المسدّي هنا عن شمولية الظاهرة الكلاميّة في تغطيّة جلّ مظاهر الحياة من حوادث وعوارض، ولعلنا نلتمس من معاني كلامه النقاط التاليّة:

1–الكلام طاقة كبرى تستوعب في دائرتها جميع الموجودات والكائنات.

2–الكلام صورة تغطّي كافة الموجودات وهذا ما يسمّى بالملاحظات اللّغوية.

فالكلام في نظر الأستاذ عبد السّلام المسدّي قدرة "تكبّر الصغائر فتنظر إلى دقائق الحقيقة في أرق شفوفها، وتصغّر الكبائر، فتجعل المتشامخ العملاق في قبضة الرؤى العملاقة المحيطة به عن طريق الكلمة والحرف"[2]. ويعتمد المسدّي في تفسيره هذا على ما ذهب إليه العلماء العرب في دراستهم للظاهرة اللّغوية مثل ابن حزم الذي نظر إلى اللّغة على أنّها ظاهرة شاملة لعوالم الفكر والحسّ والشعور.

–**هويّة الكلام**: فسّر الأستاذ عبد السّلام المسدّي 'هوية الكلام' على أنّه ظاهرة إنسانيّة ملازمة للوجود الإنساني، تستمدّ وجودها من خلال كيانها الذاتي لاعتبارات كثيرة نذكر منها:

1–الوجود الكلامي مردّه علّة تستنتج من خلال تحديد القيمة اللّغويّة.

1–المرجع السابق، ص351.

2–المرجع نفسه، ص380.

2-العامل الأساس لتحديد هوية الكلام يستخلص من الممارسة اللّغويّة.

ويعتمد المسدّي في هذا على آراء أهل اللّغة الأوائل الذين ذهبوا إلى هذا الشرح على نحو أبي هشام الجبائي؛ الذي فسّر هوية الكلام من خلال وظيفته ومدى تحقيق المنفعة ضمن العمليّة التخاطبيّة ونلحق هنا قول المسدّي: "هوية الكلام في أقصى مظاهر تجلّياتها"[1].

وفي الأخير أؤكد أنّ كتاب التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة من أروع كتب الأستاذ عبد السّلام المسدّي والحقيقية أقول أنّ التقصير لاشكّ من وجوده في قراءتي الوصفيّة لهذا العمل الهام، ولا تكفي أبحاث ولا دراسات محدّدة للنيل من هذا الذخر الواسع الذي يعدّ من أهم المقدّمات النظرية في تحقيق الكسب الحضاري اللّساني العربي الحديث، بل الأصحّ للولوج في أدراج هذا الكتاب بالدّراسة المعمّقة.

-نحو إخصاب الفكر اللّسانيّ 'خاتمة الكتاب': يقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي: "إنّه من الطبيعي أن نكون في توصّلنا إلى إبراز خصائص النّظريّة اللّغويّة عند العرب مدينين كثيرا للسانيّات سواء بتنبيهنا إلى مقولة الحداثة، ومنزلة التّراث الإنسانيّ أو في تزويدنا بالمتصوّرات الفعّالة والمنهجيّات الاختباريّة، ففضل اللّسانيّات المعاصرة في بلوغ عملنا تمامه فضل 'جوهريّ' فهي التّي وفّرت لنا سبل التمازج بين حقول المعرفة، وهي التّي أوصلتنا إلى مرتبة التأليف الشّموليّ، بل هي التّي أمدتّنا أساسا بمقولة القراءة من حيث هي مجهر يستكشف النّصّ بالنّصّ؛ فيجعل الكلام رواية لذاته وحجّة على نفسه"[2]. مبعث الكلام ومفهومه أنّ المسدّي يلوح في الأفقإلى نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة مطلبها.

1-المرجع السابق، ص410.

2-المرجع نفسه، ص7.

ودافعها الظروف اللّغوية الحديثة المتطوّرة والداعية إلى وجود قالب تستطيع به العربيّة إلى مواجهة مخاطر التغيّر الحضاري اللّغوي المتسارع، وغايتها صبغ الوجود اللّغوي العربيّ المعاصر بقدرات معرفيّة ومنهجيّة تعطي وازعا ذاتيّا متطابق مع ضرورات الحداثة وإلزامات العلوم العصريّة كالتقنيّة منها. والواضح من هذا كلّه أنّ الأستاذ عبد السّلام المسدّي يستبشر بمكسب لسانيّ عربيّ حديث قوامه المبادئ اللّغوية الأصيلة ومكاسب المعارف العلميّة الحديثة.

الفصل الثّالث: المصلح اللّساني عند عبد السّلام المسدّي.

1-المصطلح اللّساني عند المسدّي المفهوم والخصائص والمجال.

أ-مفهوم المصطلح اللّساني.

ب-خصائص المصطلح اللّساني.

ج-مجال المصطلح اللّساني.

2-قراءة وصفيّة تحليليّة لكتاب المسدّي 'قاموس اللّسانيّات'.

1-المصطلح اللّساني عند المسدّي المفهوم والخصائص والمجال.

أ-**مفهوم المصطلح اللّساني:** يعطي المسدّي للمصطلح خواص تعريفيّة مميّزة رأى فيها ما يؤهّل اللّغة للاستعمال النّموذجي المناسب. وهذا ما نعرّج عنه في المفاهيم الآتيّة:

-**المصطلح لغة:** في المعاجم العربيّة لفظ المصطلح مشتق من مادة 'اصطلح' ومدلوله على معنى 'الاتفاق' و'التفاهم' والتعارف. وهو بالمعنى المدقّق "اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"[1]. و"اللّفظ الاصطلاحي ما يتعلّق بالاصطلاح يقابله اللّفظ اللّغوي"[2]، وهو في اللّغة الأجنبية 'Terme' وتعني المعنى المحدّد للفظ مستعمل.

-**المصطلح اصطلاحا:** يقول الفاسي الفهري "المصطلح لغة خاصة..ومعجم قطاعي يسهم في تشييد بنائه ورواجه أهل الاختصاص في قطاع معرفي معيّن، ولذلك استغرق فهمه واستعماله على ما ليس له دراية بالعلم الذي هو أداة لإبلاغه"[3]، وهو بتعريف آخر لفظ اتفق مستعملوه على اعتماده للتعبير عن معنى من المعاني العلميّة، وبمفهوم أدق هو"اللّفظ أو الرّمز اللّغوي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو فنّي أو أيّ موضوع ذي طبيعة خاصة"[4]، وخلاصة ما نفهمه من المفاهيم المختلفة حول المصطلح أنّه لفظ محّدد للّغة محدّدة تستعمل في مجال لغويّ محدّد يقول الأستاذ محمود فهمي حجازي معرّجا على علم المصطلح والمصطلحية: "الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية

1-الأمير مصطفى الشهابي، المصطلحات العلميّة في اللّغة العربيّة، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة دمشق ط2، 1988م، ص5.

2-بطرس البستاني، محيط المحيط، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1977م 'مادة صلح'.

3-عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة نماذج تركيبية ودلالية، الدّار البيضاء، المغرب ط1 1985م، ص396.

4-حامد صادق قنيبي، المعاجم والمصطلحات مباحث في المعاجم والمصطلحات والتعريب، الدّار السعودية للنشر والتوزيع، ط1، 2000م، ص57.

مفهوم مفرد، أو بعبارة استقر معناها أو بالأحرى استخدامها وحدّد بوضوح وهو تعبير خاص ضيّق في دلالته المتخصّصة وواضح إلى أقصى درجة ممكنة. وله ما يقابله في اللّغات الأخرى، ويرد دائما في سياق النّطق الخاص بمصطلحات فرع محدّد؛ فيتحقّق بذلك وضوحه الضروري"[1].

فالمصطلح له تعريفه الخاص والمحدّد في إطاره الخاص. ولم يكن المسدّي بعيدا عن هذه التعريفات العلميّة وإن كان يقدّم لها وضعا آخر؛ فقد قدّم للمصطلح اللّساني مفهوم يقف على البعد العلمي والمعرفي وفق أطر منهجيّة مقنّنة. حيث يقول مخبرا عن المصطلح ومجاله: "علم المصطلح تنظيري في الأساس تطبيقي في الاستثمّار، لا يمكن الذهاب فيه إلا بحسب تصوّر مبدئي لجملة من القضايا الدّلالية والتكوينية في الظاهرة اللّغويّة"[2]، فالمسدّي دأب على إرساء مبدأ التخصّص في تعريف المصطلح اللّساني. ولا ربّما يتضح لنا مليّا مفهوم المصطلح اللّساني من خلال إدراج الأسس والمعارف المصطلحيّة في وضع المصطلح اللّساني.

ب-<u>خصائص المصطلح اللّساني:</u> وضع المسدّي ضوابط محدّدة في صياغة المصطلح اللّساني مثّلت هذه الضّوابط مميزات وسمات المصطلح اللّساني عنده. وهذا ما نستخلصه من أعماله في هذا المجال الذي أعطاه قسطا مهمّا من الدّراسات والانجازات:

-<u>خاصية الشّكل والمكوّن اللّفظي 'المورفودلالي' (Morphosémantique)</u>:هذه خاصية مهمّة يراها المسدّي أنها تلازم جميع أنواع المفردات المصطلحيّة المتخصّصة والعامة ومفادها أنّ لدلالة الكلمة علاقة بشكلها المورفولوجي. وتحصر هذه

1-محمود فهمي حجازي، الأسس اللّغويّة في علم المصطلح، مكتبة غريب، د-ت، ص12.

2-عبد السّلام المسدّي، قاموس اللّسانيّات، الدّار العربيّة للكتاب، ط1، 1984م، ص22.

العلاقة من خلال تجريد الكلمة القاعديّة (Mot-base) من الزيادة اللّغويّة المضافة إليها (L'affixe) ثمّ استنتاج العلاقة المدلولية التي تمثل الأصل نوضح هنا بالمثال الآتي: لدينا الكلمات: (كتاب– أعمالا – صنع). فمدلولات هذه الكلمات مجرّدة من الزيادة وبالتالي فإنّها لا توحي إلى أي مفهوم محدّد؛ وهنا تقتضي الضرورة أمرين وهما:

أ–حمل معنى الكلمة على الأصل وإعادتها إلى الواجهة المعنوية المعجمية الأصلية.

ب–حملها على المعنى المختص عن طريق الإضافة مثلا؛ فتأخذ هذه الكلمات مدلولات معنوية مختلفة تختلف باختلاف الأشكال فنقول مثلا:

–كتاب اللّسانيّات◄ هذا مدلول معلوم محقّق يكشف عن صورة المدلول المطلوب بإضافة كلمة لسانيّات إلى لفظ الكتاب ولمّا نغيّر الكلمة المضافة فنختار مثلا: لفظة الرياضيات يتغير المعنى:

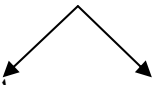

–كتاب الرياضيات◄ فإنّ المدلول ينتقل إلى شكل آخر.

–**<u>خاصية التضمين (Parinclusion)</u>**: وهي خاصيّة معنويّة هامة يُحْمل عليها المصطلح اللّساني ودورها يفيد "في تعيين الصنف العام الذي ينتظم فيه اللّفظ المعرّف وتخصيص ما يميّزه عن الأصناف الفرعيّة المشاركة له في الانتماء"[1]. وفائدة (التضمين) هو 'اختصار' و'اختزال' "ما هو جوهري من عبارة أو مرادف"[2].

1-Aino niklas salminen, la lexicologie, Armand colin paris, 1997, p103.

2–البشير التهالي، تعريف المصطلحات في الفكر اللّساني العربي أسسه المعرفية وقواعده المَنْهَجية، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 2007م، ص67.

-**خاصية الضد وعلاقة التضاد (Antonymie)**: وهو "يُتشبث به على وجه الاشتراك في الجنس وإن كان يفارقه في النّوع أو في الصّفات المخصّصة"[1].

فالمسدّي ربّما يكون قد وضع شروطا عميقة في ضبط المصطلح اللّساني مركّزا على منهجية علميّة دقيقة في ذلك ونجده في كتابه مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات يلح على هذا النمط من التكوين اللّغوي المعاصر حيث يقول: "فصياغة المصطلح -اللّساني- تتركّز في حركة من التّبلور المتدرّج طبق نمو الدّال الاصطلاحي.

وبموجب ذلك اندرجت قضاياها ضمن أوجه الحركة الذاتيّة في الظّاهرة اللّغويّة. أما على الصعيد الدّاخلي فإنّ الصّوغ الاصطلاحي يمثّل جلب اللّفظ من الرصيد المشترك إلى الرصيد المختص"[2]، ونستدرك نحن أهم ما يراه الأستاذ المسدّي مناسبا في طرحه المعرفي وفق الآتي:

1-يجب أن يحدّد 'المصطلح' انطلاقا من بعده المعرفي واتصاله المباشر بالمعلومات.

2-اعتماد العمليّات الترتيبيّة في التقنين للمصطلح اللّساني وفق الأغراض المنشودة عند كل استخدام.

3-صفة التجريد في وضع المصطلح اللّساني وإلحاحه عليه بعبارته: "إنّ مراتب التجريد الاصطلاحي هي بمثابة المراحل التقديرية التي يقطعها الذهن في تعامله مع حركة المفاهيم المدلول عليها بواسطة الأداة اللّغويّة"[3].

1-المرجع السابق، ص68.

2-عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسية في اللّسانيّات، ص79.

3-المرجع نفسه، ص82.

ج-<u>مجالات المصطلح اللّساني</u>: رأى أنّ المصطلح اللّساني علم قائم بذاته، فقد أدرك مكانة هذا الأخير ضمن العلوم اللّغويّة الأخرى. فلا مناص من أنّ مجالات اللّغة المتعدّدة ودراساتها المختلفة تستند في أعمالها إلى معطيات المصطلح اللّساني فهو بالنسبة إليها مرجع معجمي ووازع معرفي تفرضه الضرورة العلميّة. ويمكننا ضبط مجالات هذا العلم وتحديدها فيما يلي:

1-يهتم علم المصطلح اللّساني في نظر المسدّي بتدقيق البحث في المفاهيم اللّغويّة وضبط مدلولات المفردات المستعملة.

2-يعمل بلغة التخصّص أي تحديد المجال الذي تعمل فيه المصطلحات اللّسانيّة مثلا: معجم المصطلحات الصوتيّة معجم مصطلحات الوظيفية..إلخ.

3-يتبنّى عبد السّلام المسدّي بوضوح المَنْهَج الوصفي في تصنيفه وضبطه للمصطلح اللّساني؛ وبالتالي فإنّ المجال المَنْهَجي لهذا العلم هو الوصف.

4-يعتمد علم المصطلح اللّساني على لغة الكتابة ضمن مجال لغوي عام "يختص علم المصطلح عامة بلغة مختصة"[1].

5-يعمل علم المصطلح اللّساني على إضفاء طابع العلميّة للّغات عبر تحديد المفاهيم وتقنين الإجراءات.

يرى المسدّي أنّ علم المصطلح أسهم في التأسيس للسانيّات العربيّة المعاصرة وبخاصة

1-علي القاسمي، مقدّمة في علم المصطلح أسسه النّظريّة وتطبيقاته العلميّة، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، لبنان ط1، 2008م، ص271.

الجانب المصطلحي منها، وتطوير المفردّات اللّغويّة العربيّة، وأُلّف على غرار ذلك كتب ومعاجم تتناول علم المصطلح. وعلى سبيل المثال نذكر كتاب: قاموس اللّسانيّات للأستاذ عبد السّلام المسدّي حيث يقول في كتابه معرّجا على علم المصطلح ومبيّنا فائدته: "مفاتيح العلوم مصطلحاتها ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى؛ فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميّز كل واحد عمّا سواه وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية..فإذا استبان خطر المصطلح في كلّ فن توضَّحَ أنّ السِّجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع"[1]. ونذكر أيضا على سبيل المثال معجم (المصطلحات اللّسانيّة) للأستاذ: 'عبد القادر الفاسي الفهري' حيث يقول في كتابه: "وهكذا رفدت اللّغة العربيّة مفردات لغات أخرى ألفاظا ومضامين؛ فاعتنى المعجم اللّساني العربي بهذه الروافد الداخلة التي حرصنا على ألا تختلط بالمفردات، أو المصطلحات العربيّة المقترنة ببناءات تصوريّة ومعرفيّة وثقافيّة وتقنيّة مغايرة"[2].

2-قراءة وصفيّة تحليليّة لكتاب المسدّي 'قاموس اللّسانيّات'.

-التّعريف بكتاب قاموس اللّسانيّات للأستاذ: عبد السّلام المسدّي.

هو معجم لغويّ متخصّص، ومجال علميّ محدّد. ينطوي تحت مظلّة علم المصطلح اللّساني. وكانت هي الطبعة الأولى للكتاب وجاءت طباعته ونشره من طرف الدّار العربية للكتاب عام 1989م، وهو بالعنوان الآتي: قاموس اللّسانيات: عربي

1-عبد السلام المسدّي، قاموس اللّسانيات، ص11.

2-عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللّسانيّة: انجليزي – فرنسي – عربي، دار الكتاب الجديد المتحدّة د-ط، د-ت، ص7.

– فرنسي. فرنسي – عربي مع مقدّمة في علم المصطلح. اعتبر معجما لسانيّا هاما خاصة أنّ خروجه للسّاحة اللّغويّة كان في فترة تفتقر فيها اللّغة العربيّة إلى التّعريف بهذا العلم باعتباره وليد الفترة الجديدة، والعرب في هذه المرحلة لم يفرزوا أدوات منهجيّة مقنّنة لتلقي إرهاصات الحضارة اللغويّة العربيّة في ظلّ التحدّيات المعرفيّة والمنهجيّة القائمة. ولا ربّما اختار صاحبه المنهج الوصفي في بسط المصطلحات وتدقيق المعلومات فجعل لكل مصطلح لسانيّ في اللّغة الفرنسيّة مقابله في اللّغة العربيّة، ولكل مصطلح لساني عربي مقابله باللّغة الفرنسية. وقد عرّج بقدر مهم على ماهية علم المصطلح وخصّص له مفاهيم وشروح وافية تناول فيها خصائص علم المصطلح اللساني ومكانته في اللّغات وذهب يبيّن إسهام العرب في هذا المجال اللّساني المهم في إشارة على تأكيده وحثّه على الانتباه لهذا القسم الفعّال داخل دائرة اللّسانيات، ورآه ضرورة قسوة للمضي قدما في الانجازات بفكّ الغموض وإتباع منهج علمي دقيق غرضه تنمية اللغّة.

ونستهل هنا قوله في مقدّمة كتابه: "مفاتيح العلوم مصطلحاتها ومصطلحات العلوم ثمّارها القصوى؛ فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يتميّز كل واحد عمّا سواه وليس من مسلك يتوسّل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحيّة حتى كأنّها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدّوال ليست مدلولاته إلاّ محاور العلم ذاته ومضامين قدره من يقين المعارف، وحقيق الأقوال فإذا استبان خطر المصطلح في كلّ فن توَضَّحَ أنّ السِّجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع"[1].

نقوم نحن بدراسة كل العناصر والمفاهيم التي تطرّق إليها المسدّي في كتابه: (قاموس

1–عبد السلام المسدّي، قاموس اللّسانيات، ص11.

اللّسانيّات)، والتي عنونها وفق نظرته الكيفيّة الخاصة شخّص من خلالها الواقع الاصطلاحيّ العربيّ بمنظور لسانيّ حديث.ونعتمد في دراسة مضامين هذه القضايا على طريقة منهجية 'وصفية تحليليّة' كونها مناسبة في شرح الأفكار وبسط المفاهيم.

1-العلوم ومصطلحاتها: يجزم المسدّي في كتابه قاموس اللّسانيات على أنّ كل العلوم تمتاز بالضبط المصطلحي الخاص؛ الذي تنبني عليه القواعد المعرفية لكل علم من العلوم، ويوضح في مدخل الكتاب المعنون بعنوان العلوم ومصطلحاتها بأنّ الرابط بين المصطلح والمعرفة هو رابط وجودي تكاملي لا يقوم الآخر إلا بالآخر؛ وإلا انتزعت الخصوصية للمعرفة المقصودة والمحدّدة باعتبار أنّ المصطلح هو المحرك الأساس للتوجه المعرفي الحاصل داخل العلوم، ونجد قوله الآتي معبّرا عن النظرة التفسيرية: "مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى. فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عمّا سواه"[1]. ونحلّل قوله وفق ما يلي:

-عبارة (مفاتيح العلوم مصطلحاتها): هذه العبارة ذات مدلول واضح؛ فلا علم بدون مصطلح ولا يمكن أن نسمي العلم علما إن كان يفتقد لمقدرات مصطلحية؛ فالمصطلح وظيفته تضمين معنى المعرفة المحدّدة ضمن المادة المعجمية المنتقاة.

-عبارة (مصطلحات العلوم ثمارها القصوى): يعتبر المسدّي أنّ العلم غايته في إعداد النسق المعرفي، وإنتاج المعلومات التي لا تحصل إلاّ عبر التقعيد المصطلحي الممنهج وفق خاصية العلم ومعارفه المرتبطة به، فهو يرى أنّ أسمى ما يحصل داخل حقل المعارف نجاحها في إيجاد نمطية مصطلحية تتطابق مع مكتسبات المعرفة الخاصة بها. وهذا يحفزها على التوغّل بين باقي العلوم الأخرى التي تنافسها.

1-المرجع السّابق، ص11.

-عبارة (مجمع حقائقها المعرفية): هذه العبارة من كلام المسدّي تحمّل دلالة معنويّة مفسرة لما أوردناه في الشرح السابق؛ أي أنّ المصطلحات التي تقوم عليها العلوم هي بمثابة الألغاز الفكرية التي بمجرّد فكّها يؤدى القصد وتحصل الفائدة المرجوة في ذهن المتلقي والباحث، كون هذه المصطلحات هي مخصّصة تحتوي على مقاصد المعرفة.

-عبارة (وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عمّا سواه): بمعنى أنّ فائدة المصطلح تتعدى إلى إلحاق التميز والسّمة الانفرادية المتعلقة بكل علم من العلوم؛ وهذا يمنحه ثوب الخاصية المصطلحية الذاتية بحيث لا تحيد هذه المصطلحات عن معناها المقيّد بسمة المعارف المشكلة للنسق المعرفي لكل علم من العلوم.

وما يؤكّد ما شرحناه قوله: "السّجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع"[1]. وحاصل القول أنّ العلوم على اختلاف انتماءاتها المعرفية والنسقيّة لا ضير من أنّ لها قاموس مفرداتي متخصّص يضمن لها الوضوح والتميز عن باقي المعارف ضمن حيز التنافس والتسابق العلمي السريع.

ويلح عبد السّلام المسدّي على العلاقة القائمة بين المصطلح والمعرفة باعتبارها علاقة انجازية وجودية تفاعلية ونختم هذا العنصر بقوله: "ومن كل ما سلف يتجلّى أنّ الوزن المعرفي في كلّ علم رهين مصطلحاته لذلك نسميّها أدواته الفعّالة لأنّها تولّده عضويا وتنشئ صرحه ثمّ تصبح خلاياه الجنينيّة التي تكفل التكاثر والنّماء"[2]. ونستخلص من عنوانه 'العلوم ومصطلحاتها' ما يلي:

-أنّ لكلّ علم من العلوم معجمه الاصطلاحي الخاص.

1-عبد السلام المسدّي، قاموس اللّسانيات، ص11.

2-المرجع نفسه، ص11.

–العلاقة بين المعرفة والمفردة المستعملة علاقة وظيفية يؤدي المصطلح المحدّد استعمالا وظيفته المعنوية الخاصة.

–تنطلق الانجازات المعرفية العلمية لكلّ علم من العلوم على شاكلته المصطلحية المخصصة له. وبالتالي يكون التنظير الفكري متوافقا مع الاستعمال الاصطلاحي ومن هنا تصدق مقولته 'مفاتيح العلوم مصطلحاتها.

–**أعراض القضيّة الاصطلاحيّة**: من الواضح أنّ كلّ علم يتبنّى مصطلحاته الخاصة ومفاهيمه المعجمية المحدّدة التي تمثّل أداة بسط سندال المعرفة، والتي تؤهله للوقوف بين مجامع العلوم المختلفة وتمنحه جهوزية التحدّي والصمود والتمايز. إلاّ أنّ المسدّي هنا وفي هذا العنوان ضمن كتابه أراد توضيح معضلة لغويّة مهمة مفادها الإشكال الآتي: هل يمكن للتخصيص المصطلحي والتجهيز المعجمي الخاص بكل علم أن يهدد بتصادم الاستعمالات المصطلحية، وتنامي الظواهر المبهمة ضمن قواميس العلوم المختلفة؟. وهذا ما سنجيب عنه عبر تحليل آرائه وفق الآتي:

يقول عبد السّلام المسدّي في باب أعراض القضية الاصطلاحية معلقا على إشكالات علم المصطلح: "إنّ التسليم بقيمة الجهاز المصطلحي بالنسبة إلى كلّ معرفة علمية تنشد القبض على الظواهر سواء أكان ذلك بالوصف التشخيصي أم بالإحكام الاستنباطي ليفضي إلى الاقتناع بأنّ مصطلحات العلوم هي الصورة الكاشفة لأبنيتها المجرّدة مثلما ألمحنا منذ البدء"[1].

– (إنّ التسليم بقيمة الجهاز المصطلحي بالنسبة إلى كل معرفة علمية تنشد القبضعلى الظواهر سواء أكان ذلك بالوصف التشخيصي أم بالإحكام الاستنباطي): لاشكّ من

1–المرجع السابق، ص12.

أنّ المسدّي قد انتابه أمر مهم في عالم المصطلح، وخصّ لهذا الأمر عنوانا كبيرا من كتابه قاموس اللّسانيات؛ فأراد أن تكون صيغة العنوان 'أعراض القضية المصطلحية' مدركا خطر التصادم الحتمي الذي تفرضه البوادر المعرفية العلمية في باب التجاذب المعجمي والمفرداتي؛ الذي تفرزه نهضات الأبحاث الاستكشافية العلمية في حيز الضبط المصطلحي الجديد؛ فلن يبق المكوّن المصطلحي حكرا على طاقة معرفيّة خاصة نتيجة عوامل عدّة منها على سبيل الحصر والاستبيان: الاحتياج المعجمي لكلّ استكشاف معرفي حاصل، وكذلك التأثّر المعرفي وتشكّل حلقات العلوم لا يمنع من حدوث التّشابه أو التداخل المصطلحي، ومنها تكون المعضلة التي أشار إليها المسدّي. وهذا ما سنوضحه في تحليلنا للعبارة المواليّة.

-عبارة (تتحول معضلة المصطلح إلى إشكال تتجاذبه عائقات مبدئية وخيالات مصطنعة عليه): بمعنى أنّ توافق الجانب المعرفي مع الجانب المفرداتي ليس بالشيء الميسر ضف إلى ذلك أنّ توافق المعلومة مع ما تحمله من دلالة مصطلحية ليس بالضرورة أن يحافظ على الصورة المشكلة المعبرة عن الفكرة الممنوحة. وما نستخلصه من عنوانه 'أعراض القضية الاصطلاحية' هو كالآتي:

1-غموض المصطلح في تحديد المعرفة، وبالتالي تتعدّد الدلالة المعنويّة لكلّ مفردة تستعمل في هذا المجال.

2-تتغير المعارف ضمن حلقة التطور والتحول؛ وهذا من خصائص العلوم، وعليه فالقدرة المصطلحية لكلّ معرفة من المعارف المختلفة تكون غير ثابتة ومنفصلة وتتحكّم فيها عوامل التغير الحاصل.

3-قد تتداخل العلوم والمعارف ضمن حيز التنافس المعرفي المسارع، وهذا يوحي بوجود تشابه للمصطلحات المستعملة داخل أي مجال معرفي.

4-تجميع المصطلحات وتحديد قيمتها المعنوية يستهدف تنميط البحث المتخصص وفق قواعد المعجم المتخصص.

ونختم هنا بقوله : "الجهاز المصطلحي في كلّ علم هو بمثابة لغته الصورية بل قل هو رياضياته النوعية، وكل ذلك يفضي جدلا إلى اعتبار كل مصطلح في أي علم من العلوم ركنا يرتكز عليه في البناء المعرفي؛ فيكون للمصطلح من الوظائف الصورية ما يكون للرمز السيني في المعادلة الرياضية كلاهما سنم التجريد الذهني"[1].

-**اللّسانيات وعلم المصطلح:** يرى المسدّي أنّ اللّغات وعبر فترات عريقة من الزمن كانت في عملية البحث عن المادة المعجمية ضمن عملية التنقيب التاريخي في حقول الألفاظ؛ فالمصطلح ودلالته المعرفية لم تكن بحسب المسدّي وليدة العصور المتأخرة ولا حكرا على الجهود اللّسانية الحديثة، فهي ضاربة في عمق اللّغات عبر الفترات التاريخية الغابرة على نحو البحوث التأثيلية (Etymologiques). فقد بين المسدّي الدوافع التي أجبرت اللّغويات قديما في البحث والتحديث والتجديد في المصطلح اللّساني وصولا إلى الواقع المصطلحي الحديث. وسنقوم هنا بتوضيح ذلك:

يقول عبد السّلام المسدّي: "فكلّ اللّغات تعيش مخاض تولّد الدّوال عندما تقتحمها مدلولات مستحدثة بصرف النّظر عن سعي الجهاز اللّغوي إلى استيعاب المدلول الجديد دون استقبال الدال الغريب؛ وذلك باللجوء إلى استبطان تعود فيه اللّغة على نفسها لتفجر بعض ألفاظها بالطاقات الدلالية المتغايرة. وليست هذه الظاهرة وقفا على مواجهة اللّغة للرصد المصطلحي في العلوم والمعارف؛ ولكنّها شاملة للمتن القاموسي الواسع"[2].

1-عبد السلام المسدّي، قاموس اللّسانيات، ص15.

2-المرجع نفسه، ص20.

–عبارة (فكلّ اللّغات تعيش مخاض تولّد الدوال عندما تقتحمها مدلولات مستحدثة بصرف النظر عن سعي الجهاز اللّغوي إلى استيعاب المدلول الجديد دون استقبال الغريب): بيّن المسدي كيفية التزام اللّغات في البحث داخل ميدان المصطلح دالا على وجود ظروف معينة تجبر اللّغة بغضّ النّظر عن ظروف استعمالها على الاهتمام بدراسة المصطلحات والمفردات المعجمية المختلفة؛ حاصرا ذلك في الواقع المتغير الذي تفرضه دلالات الحاضر وتجدد المعارف، والاستكشاف المعلوماتي الجديد الذي يعطي صورة مبهمة فيذهل المنتبه في حقل المعارف ما يلزم اللّغة إيجاد الطابع المدلولي الذي ينفي الغموض ويلغي الاشتباه ويثري المعرفة المدلوليّة الجدية مع القيمة الاصطلاحية الملائمة.

–عبارة (وذلك باللجوء إلى استبطان تعود فيه اللّغة على نفسها لتفجر بعض ألفاظها بالطاقات الدلالية المتغايرة): الاستبطان هو طريقة منهجية تعتمد الرجوع إلى الذات والقيام بالفحص الدقيق والمعاينة الحسية الآنية للمادة المستهدفة. رأى فيه المسدّي الوسيلة الأنجع لفكّ الحصار المعجمي حول قضايا المصطلح، فهو يعتقد أنّ اللّغة الأنسب فيها محاكاة مكنوناتها وتحليل مكتسباتها المصطلحية، وجعلها تتناسب مع البواعث الدلالية المعرفية المبعوثة من خارج حيز اللّغة وهذا يمنحها القدرة الطاقوية لمواجهة التحدّي الذي تفرضه محاذاة العلوم الأخرى.

–عبارة (وليست هذه الظاهرة وقفا على مواجهة اللّغة للرصد المصطلحي في العلوم والمعارف؛ ولكنّها شاملة للمتن القاموسي الواسع): ويرى عبد السّلام المسدّي أنّ هذا النّوع من الطرق في بناء المصطلح، وتكوين الدلالات المصطلحية للمعارف أي طريقة 'الاستبطان' لا تقف على عند حدود إيجاد حل للمعضلة المصطلحية للدلالات المعنوية المعرفية؛ فالمسدّي يراه أداة ناجحة لاستخلاص القاموس المعجمي الاصطلاحي وفق ما تقتضيه الضرورة العلميّة.

وفي المجال نفسه يضيف المسدّي توضيحا متعلق بنظرة الفكر اللساني الحديث حول قضايا المصطلح من علومه المختلفة القاموسية والمعجمية باعتباره المعضلة الأساسية والمهمة في حقول الدلالة: "واحتكاما إلى كلّ هذه الاعتبارات كان خليقا باللّسانيات أنّ تتبنّى ضمن محاور اهتمامها قضية المصطلح، وقد كانت عنايتها بالموضوع مبثوثة بين أفنان متعدّدة منها البحوث التأثيلية؛ التي تعنى بالأصول الاشتقاقية وتاريخ تفرعها، ومنها البحوث المختصة بالرصد اللّفظي في فرعين من علم اللّسان القاموسية والمعجمية"[1].

-عبارة (واحتكاما إلى كلّ هذه الاعتبارات خليقا باللّسانيات أن تتبنّى ضمن محاور اهتمامها قضية المصطلح، وقد كانت عنايتها بالموضوع مبثوثة بين أفنان متعدّدة منها البحوث التأثيلية): يشير المسدّي إلى إلزامية تبنّي أبحاث اللّسانيات واللّغويّات الحديثة للقضيّة المصطلحية على جميع مناحيها المختلفة محتجا بالعبء الذي كانت تحمله البحوث اللّغوية القديمة ضاربا في ذلك مثالا استشهاديا في عبارة 'البحوث التأثيلية' التي حسب رأيه لم تهمل الجانب الدلالي في الألفاظ؛ بل إنّها غاصت في البحث عن إيجاد حلول مفرداتية تتناسب مع معطيات المعارف اللّغوية آنذاك.

-عبارة (تلك التي تعنى بالأصول الاشتقاقية وتاريخ تفرّعها، ومنها البحوث المختصة بالرصد اللّفظي في فرعين من علم اللّسان القاموسية والمعجمية): بين المسدّي عمل الأبحاث اللّغوية القديمة ضمن مجال المصطلح مستندا في ذلك إلى الخطوات التي انتهجتها البحوث التأثيليّة في الدّراسة المعجمية؛ وكأنّه يرى أنّ الدراسة كانت في أتمّ وجه. فهو يرى أنّ البحث اللّساني يجب أن ينمّط وفق الإجراءات القديمة التي جرى عليها البحث اللّغوي القديم أي:

1-عبد السلام المسدّي، قاموس اللّسانيات، ص21.

-دراسة الأصول الاشتقاقية للمفردات.

-دراسة تاريخ التفرع الدلالي المعجمي للألفاظ.

-تخصيص مباحث في مجال علم المصطلح وفق ما يتطلبه البحث اللّغوي المعاصر على نحو مبحث علم القاموسية وعلم المعجمية.

وضمن هذا المجال أراد المسدّي أن يعطي مفاهيم لبعض عوارض الكلام فيما يتعلق بالمصطلحية وعلم المصطلح ضمن مباحث المعجمية والقاموسية قائلا: "ونعني بالمصطلحية..علم يعنى بحصر كشوف الاصطلاحات بحسب كل فرع معرفيّ؛ فهو لذلك علم تصنيفيّ تقريريّ يعتمد الوصف والإحصاء مع سعي إلى التحليل التاريخي، أما علم المصطلح فهو تنظيريّ في الأساس، تطبيقيّ في الاستثمار، لا يمكن الذهاب فيه إلا بحسب تصوّر مبدئي لجملة من القضايا الدلالية والتكوينية في الظاهرة اللّغوية؛ فعلم المصطلح -على ما نقدره- ينتسب سلاليا إلى علوم التأثيل..ولكنّه فرع جنينيّ عن علم الدلالة وتوأم لاحق للمصطلحية بحيث يقوم منها مقام المنظر الأصولي الضابط لقواعد النشأة والصيرورة"[1].

-عبارة (ونعني بالمصطلحية..علم يعنى بحصر كشوف الاصطلاحات بحسب كل فرع معرفيّ؛ فهو لذلك علم تصنيفيّ تقريريّ يعتمد الوصف والإحصاء مع سعي إلى التحليل التاريخي): هدف المسدّي هو وضع تعريف واضح دقيق لعلم المصطلحية لتجنب التشابه الذي قد يحصل بينها وبين علم المصطلح مستدركا خصائص محدّدة تبينية توضح الدور الوظيفي الذي يوكل إليه كل طرف منها فنجده هنا يصف المصطلحية بما يلي:

1-المرجع السابق، ص22.

-علم المصطلحية بحسب المسدّي يقوم بضبط نتائج الأبحاث الاصطلاحية وحصرها ضمن نطاقها المعرفي الخاص ضمن مجال البحث المستهدف لدراسة معجمية معينة.

-تقوم المصطلحية بتصنيف النتائج التي يتوصل إليها البحث المعجمي ثم بعد ذلك الانتقال إلى إقرار ما النتائج بحسب الفرضيات التي انطلق منها البحث.

-بعد التصنيف تقوم المصطلحيّة أيضا على منهج الوصف والإحصاء والتحليل التاريخي؛ فالوصف: "تقرير ما هو واقع أو تفسيره تفسيرا لا يخرج به عن نطاق اللّغة فهو إمّا تقريري أو تحليلي"[1]؛ بمعنى أن تكون المادة المدروسة ملموسة في إطارها الزماني والمكاني وفق حدود اللّغة المتعارف عليها في الدراسة الإجرائية. أما الإحصاء فكثير من العلماء من يربطه بالمنهج الوصفي لأنّه يقدّم نتائج مفسرة ضمن نطاقها المخصّص؛ فيكون هنا للإحصاء وظيفة رياضية مفادها إعداد النتائج وفق منوال العملية الحسابية لأنّ الإحصاء منهج يجمع المعلومات والبيانات وفق الإجراءات الآتية:

1-القياس (Measurement): قراءة منهجية علمية معينة تعتمد على التشبيه والتمثيل ثم تحديد الهدف وفي تعريف آخر هو: "وجود شيئين على الأقلّ يكون أحدهما معيارا للآخر أي أصلا وآخر فرعا"[2] وسمّاه البعض: "العملية المنطقية الرياضية"[3].

2-الملاحظة (Observation): والهدف منها الدقة التحليلية العينية لجمع التغيرات.

1-ينظر رمضان عبد التوّاب، المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، مكتبة الخفاجي ودار الرفاعي، الرياض السعودية، 1982م، ص182.

2-محمّد خان، أصول النحو العربي، منشورات مخبر اللّسانيات واللّغة العربية، مطبعة جامعة محمّد خيضر بسكرة-الجزائر، 2012م، ص66.

3-التواتي بن التواتي، محاضرات في أصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر،2008م، ص188.

3-المقابلة (Interview): هي مقارنة علمية بين المفترض والمعطيات الناجمة عن البحث المدروس. ويمكن اعتبار المقابلة منهجا لأنها في غالب الأحيان تدرس "لغتين فأكثر لإبراز أوجه الشبه والاختلاف بينهما"[1]؛ لأغراض علمية مختلفة.

4-الاستبانة (Questionnaire): وهي الخطوة المهمة والأخيرة هدفها الحصر والدقة.

أما التحليل التاريخي فيقصد به المسدّي البعد الدلالي الأولي أو التأصيل المعجمي وهنا يقف عند اعتماد خطوات المنهج التاريخي الذي يرمي إلى عرض: "التغيرات اللّغوية فمن الصعب كثيرا الفصل بين النّوعين في مجال التطبيق العملي وذلك لأنّ كل المصطلحات التي استعملت تحت العنوان الوصفي قابلة من النّاحية العملية للاستعمال كذلك مع الفرع التاريخي"[2]. إذن يرمي المسدّي إلى توضيح قيمة التفريز بين علم المصطلحية وعلم المصطلح جازما بأهمية ذلك في النّطاق المعرفي المصطلحي.

-عبارة (أما علم المصطلح فهو تنظيريّ في الأساس تطبيقيّ في الاستثمار، لا يمكن الذهاب فيه إلا بحسب تصوّر مبدئي لجملة من القضايا الدلالية والتكوينية في الظاهرة اللّغوية؛ فعلم المصطلح -على ما نقدره- ينتسب سلاليّا إلى علوم التأثيل): ويقدم المسدي تعريفا واضحا لعلم المصطلح كما سبق وأن عرج على المصطلحية فهو يصف علم المصطلح بما يلي:

1-علم تنظيري في الأساس: أي يقوم على مفاهيم نظرية خاصة تميزه عن باقي العلوم المعجمية الأخرى.

1-ماريوباي، أسس علم اللّغة، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، كليّة التربيّة، 1973م، ص137.

2-ينظر، محمّد خليفة الأسود، التمهيد في علم اللّغة، منشورات الجامعة المفتوحة طرابلس، دار الكتاب الوطنيّة ط1، 1991م، ص36.

2–تطبيقيّ في الاستثمار: معنى أنّه يهدف إلى تطبيق مفاهيمه النظرية للحصول على النتائج المستهدفة في البحث المعجمي.

يريد المسدي أن يبين أنّ لعلم المصطلح خصائص دقيقة لا يمكن تحقيقها إلا بالوصول إلى التصور الفعلي لجملة من القواعد الدلالية التي قد تعود في أصلها إلى الأعماق التأثيلية القديمة مع ضرورة الانتباه بحسب رأيه إلى وجود علاقة جلية بين علم المصلح من جهة وعلم الدلالة من جهة أخرى.

وأضيف تعريفات توضيحية أخرى حول علم المصطلحية وعلم المصطلح:

علم المصطلحية: هو علم يهتم بكشف وحصر المفردات المعجمية ضمن قائمة الأبحاث الدلالية الاصطلاحية وهو قريب إلى التطبيق والاستكشاف العام.

أما علم المصطلح: "هو الأساس المنظّر للمصطلحية ومؤسس قوانينها ومبادئها"[1].

–عبارة (ولكنّه فرع جنينيّ عن علم الدلالة وتوأم لاحق للمصطلحية بحيث يقوم منها مقام المنظر الأصولي الضابط لقواعد النشأة والصيرورة): لم ينف المسدي أن يكون علم المصطلح فرع من أصل أي من علم الدلالة باعتباره الأسبق إلى الظهور والنشأة كما أنّه يثبت وجدود علاقة تداخل وتلاقى بين علم المصطلح وعلم المصطلحية؛ فقد اعتبر أنّ علم المصطلح يعتبر القاعدة الأساسية التي تحفظ قواعد التكوين الاصطلاحي وتضمن له الصيرورة الفعالة.

وضمن المجال نفسه يقول عبد السّلام المسدّي: "فبين علم المصطلح ومصطلحية العلم فرق ما بين المعجمية والقاموسية من كلّ زوجين جنيس لبعض الزوج الآخر؛ فكأنّما

1–لعبيدي بوعبد الله، مدخل إلى المصطلح والمصطلحية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع تيزي وزو، الجزائر، 2012م، ص81.

نضع المصطلح ثمّ نبتكر علم وضع المصطلح مثلما نضع القاموس ثمّ نبتكر علم وضع القاموس والإنسان منذ القدم علم اللّغة قبل أن يضع للغة علما"[1].

–عبارة (فبين علم المصطلح ومصطلحية العلم فرق ما بين المعجمية والقاموسية من كلّ زوجين جنيس لبعض الزوج الآخر): على الرغم من أواصل التقارب والتلاحم بين علم المصطلح وعلم المصطلحية إلا أنّ المسدّي أراد أن يبين فارقا ظاهرا بين هذين العلمين مثله مثل علم القاموسية والقاموس والمعجم وعلم المعجمية أو علم الأسلوب والأسلوبية ...إلخ –على نحو ما وجد– في الدراسات الأدبية والنقدية واللّغوية المعاصرة.

–عبارة (فكأنّما نضع المصطلح ثمّ نبتكر علم وضع المصطلح مثلما نضع القاموس ثمّ نبتكر علم وضع القاموس والإنسان منذ القدم علم اللّغة قبل أن يضع للغة علما): فبين المسدّي هنا عن طرق التشبيه أنّ لكل مصطلح مجاله والعلم القائم به؛ لأنّ كلّ وضع اصطلاحي جديد يقتضي وجود علم واضع وفق الصورة الخاصة بكل معرفة من المعارف أو بحث من الأبحاث بحيث يكون الهدف المحقق "صوغ المصطلحات والاستجابة لحاجات لغة ما للتعبير عن نظام المفاهيم الخاص بالممارسات المعرفية التي تهمّ المصطلح..تبعا لدخول المفاهيم المعرفية إلى حاجات مستعملي اللّغة"[2].

وخلاصة ما أجيء على ذكره في هذا المحور ضمن عنوان –اللّسانيات وعلم المصطلح– أنّ اللسانيات كعلم قائم بذاته بات على أصحابه دعم ركائز علم المصطلح وتدشين قواعده المعرفية والعلمية ضمن حلقة اللّسانيات المعاصرة انطلاقا من:

1–عبد السلام المسدّي، قاموس اللّسانيات، ص22.

2–ينظر عثمان بن طالب، تأسيس القضية الاصطلاحية، إعداد مجموعة من الأساتذة، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، قرطاج، 1989م، ص98.

-كلّ اللّغات القديمة لم تستثني الدّراسات المعجميّة على اختلاف طرقها وتسميّاتها.

-وجود رابط عملي تلاحمي بين علم المصطلح وعلم المصطلحية ورابط تاريخي بينهما وبين علوم الدلالة والتأثيل.

-تصنّف الدلالة والمعجمية والقاموسية والمصطلحية إلى شقين شقّ نظري وشقّ تطبيقي.

- **الاصطلاح والحركة الذاتيّة:** ركّز عبد السّلام المسدّي في هذا الباب على ذكر مسألة مهمّة في علوم الاصطلاح من حيث تاريخ التأسيس الحضاري للعرف الاصطلاحي وبيان أثر الروافد التأسيسيّة في ميدان العلوم المعرفية التي لا تكاد أمّة من الأمم تخلو منها. ضاربة في ذلك العمق في دلالات الألفاظ وأنساب المفردات، موضحا أهمية هذا الاستكشاف في تقدير نتائج معرفية تضمن الصيرورة العلميّة لكلّ منبع لغويّ حضاري.

ولعلّها لتمس ذلك في قراءته للواقع الاصطلاحي العربي وربطه بمدلولات الماضي الحضاري للتراث القديم كما فعلت باقي اللّغات وسنستدرج ذلك من خلال كلامه.

يقول المسدّي ضمن ما أسلفناه : "إذا عالجنا قضية المصطلح من منطلق لسانيّ نقديّ رأينا أنّ كلّ مجموعة بشريّة ترابطت لغويّا فتحوّلت إلى مجموعة ثقافيّة حضاريّة؛ فإنها تواجه على الدوام مدلولات جديدة عليها، إمّا بحكم استحداث الأشياء أو بحكم اكتشافها. وبديهيّ أنّ المدلولات سابقة لدوالها في الزمن، لذلك كانت الألفاظ وليدة للمعاني في أصل نشأتها فإذا استقرت في الاستعمال وتواترت أصبحت المعاني وليدة للألفاظ بحكم التقدير والاعتبار"[1].

1-عبد السّلام المسدّي، قاموس اللّسانيات، ص25.

–عبارة (إذا عالجنا قضية المصطلح من منطلق لسانيّ نقديّ رأينا أنّ كلّ مجموعة بشريّة ترابطت لغويّا فتحوّلت إلى مجموعة ثقافيّة حضاريّة): يرى المسدّي أن المصطلح هو وليد الحياة الثقافية الاجتماعية اللّغوية، وهو نتاج النسيج المشترك النابع من التكتل اللّساني الموحّد للجماعات البشرية. فبذلك تقوم اللّغة ويشيع المدلول الاصطلاحي بين الفئات البشرية، وكأن المسدّي هنا يجزم بأنّ اللّغة عمال أساسيّ ووحيد في بناء الوحدة القومية مستثنيا الروابط العرفية والعرقية والعقائدية. وأثبت المسدّي أنّ الحضارة اللّغوية الثقافية نابعة من التوافق والانسجام الاصطلاحي بين المجموعات البشرية ولا ربّما لن تكون حضارة ثقافية لغوية تقف على الثوابت الإنجازية للمعطى الإصطلاحي التالية:

1–التكتّل الاجتماعي اللّغوي: والحاصل هنا أنّ الوحدة المدلوليّة للمصطلحات الاستعماليّة ضرورة قصوى في تقويّة الاتحاد البشري بين المجموعة اللغوية الواحدة.

2–التكتّل الثقافي الحضاري: وهو الانتماء بحيث تكون للمصطلحات اللّغوية القيمة الانتمائية لمدلولاتها المعرفية وفق النهج الحضاري لكلّ لغة من اللّغات حفاظا على موروثها الدلالي والمعرفي الخاص.

–عبارة (فإنّها تواجه على الدوام مدلولات جديدة عليها، إمّا بحكم استحداث الأشياء أو بحكم اكتشافها): وأراد المسدي في هذه العبارة أن يوضح معضلة لغوية اصطلاحية مهمّة كون المصطلح يشكل الوجه الأساس في بناء الوحدة اللّغوية. وذلك منطلق التكامل الحضاري للوحدة البشرية ضمن حيزها الثقافي، إلاّ أنّه بين خطورة التغير الدلالي نتيجة للانتقال المعرفي الحاصل حاصرا ذلك في عاملين اثنين:

1–استحداث الأشياء: المقصود بهذه الجملة إعادة صياغة المعلومات أو المعطيات المعرفية المستعملة في قالب وصفي تقريري جديد على شاكلة ما تمليه الضرورة العلمية أو الحتميّة المعرفيّة، وهذا يفضي واقعا اصطلاحيا متغيرا؛ بحيث يرى عبد السّلام المسدّي ضرورة أخذه بعين الاعتبار في الدّراسات الاصطلاحيّة.

2-بحكم اكتشافها: أضاف المسدّي سببا آخر في تغير مدلول المصطلح، فهنا يؤكد على أنّ ما تقدّمه العلوم الأخرى من اكتشافات وإنجازات يجبر المجال الاصطلاحي على مواكبة هذا التطورّ الحاصل؛ لأنّ المعلومة المكتشفة والمنجزة في جميع المجالات المعرفية تلقي على عاتق علم المصطلح فكّ لغز المعرفة واستخلاص ما يناسبها من المفردات المعجميّة الاصطلاحية وهذا عامل في بناء القدرة اللّغوية الاصطلاحية لكلّ لغة من اللّغات.

-عبارة (وبديهيّ أنّ المدلولات سابقة لدوالها في الزّمن لذلك كانت الألفاظ وليدة للمعاني في أصل نشأتها فإذا استقرت في الاستعمال وتواترت أصبحت المعاني وليدة للألفاظ بحكم التقدير والاعتبار): يريد المسدّي أن يعرض موضوعا مهمّا متعلّقا بقضية الدال والمدلول، وبعبارة أخرى من الأسبق من حيث البروز والظهور والنشأة اللّفظ أو المعنى؟. نجد المسدّي في هذا الشأن يعبّر بفكرة جلية تفكّ شفرة اللّغز المتردّد حول هذه القضية فبرأيه أنّ الأصل يوحي بأسبقية المدلول أي المعنى باعتباره هو الفكرة والفكرة أدلى إلى الذهن من العبارة والتخمين في تفسيره. ويضفي المسدّي شرحا آخر بأنّ المعاني 'المدلولات' باتت وليدة للألفاظ 'الدوال' بعد استقرار الاستعمال اللّغوي وحلول قاعدة التقدير والاعتبار داخل الممارسات الاصطلاحية.

ونبقى ضمن هذا المجال الاصطلاح والحركة الذاتيّة حيث يقول المسدّي: "ويطرد تناول القضية الاصطلاحية في الدّراسات العربيّة اطرادا تعالج في سياق التأريخ لحركات الترجمة، وفي سياق الحديث عن وضع المصطلح العلمي والفنّي فضلا عمّا صنعته المجامع العلميّة المتعدّدة في الوطن العربي تنشأ في منطلقها إلا لسدّ ذرائع المصطلحات، وقد طفحت هذه الأبحاث جميعها-من لدن الأفراد ومن لدن المؤسّسات- باستقراءات هي من الدقة والشّمول بحيث تكاد أن تسدّ رمق الحاجة المتجدّدة. فهذا على مدار المعالجة التطبيقية وهي أعظم خطرا وأعجل نفعا"[1].

لا شكّ من أنّ المسدّي قد انتقل مباشرة للحديث عن الواقع الاصطلاحي العربي وهذا ما سنفسره من نصّه الذي أوردناه.

-عبارة (ويطرد تناول القضية الاصطلاحية في الدراسات العربية اطرادا تعالج في سياق التأريخ لحركات الترجمة): أراد المسدّي أن يشخص الواقع الاصطلاحي العربي انطلاقا من معضلات عدّة مبتدءا بتاريخ حركات الترجمة بحيث يؤمن أنّ التأريخ لحركات الترجمة حلّ قيّم في معالجة القضية الاصطلاحية العربية ونوضح ذلك وفق ما يلي:

1-الترجمة الاصطلاحية: الترجمة لغة هي اللّفظ المعرب أمّا في الاصطلاح فلها عدّة أوجه فهي تعني:

أ-التفسير والتأويل: "شرح كلمة وتحديد معناها"[2].

ب-التفسير المباشر: وهو نقل جمل أو عبارات من لغة ما بعبارات من لغة أخرى بعبارة أخرى "إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها بخلاف التفسير"[3].

ويمكن هنا الخلوص إلى مفهوم مبسط لمعنى الترجمة بأنّها: "وضع التسمية المناسبة للمصطلح الأجنبي إذا كان يتناسب مع النظام المفهومي والاسمي العربيّين، ولا يتعارض

1-عبد السّلام المسدّي، قاموس اللّسانيات، ص25.

2-ينظر، إبراهيم السامرائي، فقه اللّغة المقارن، دار الملايين بيروت، ط2، 1987م، ص193/192.

3-ينظر، أبو البقاء الكوفي، الكليّات، معجم المصطلحات والفروق اللّغوية، مؤسسة الرسالة بيروت ط2، 1993م، ج2، ص105.

مع القيم الاجتماعيّة والنفسيّة والثقافيّة والحضاريّة العربيّة"[1].

والهدف الواضح من التأريخ استبيان لعوارض التراث العربي ممّا احتواه من نماذج نقل وتعريب لمصطلحات ذات مدلولات أعجمية. ولا ربّما نصطلح على التأريخ للترجمة بتحديد المنابع المنهجية القديمة التي اتفق عليها علماء اللّغة العربية في نقل المصطلحات وترجمتها وهذا ما يريده المسدّي وبفكرة أخرى الاطلاع على "حصيلة ما توصل إليه العلماء القدامى في مجالات علمية متنوعة، وذلك من خلال ابتكار عدد وافر من المصطلحات المترجمة من لغات كاليونانية والفارسية والهندية، ثمّ تجريدها في مرحلة تالية في رسائل وكتيّبات، هي بمثابة القوائم الاصطلاحية في عصرنا"[2].

-عبارة (وفي سياق الحديث عن وضع المصطلح العلمي والفنّي فضلا عمّا صنعته المجامع العلميّة المتعدّدة في الوطن العربي والتي تنشأ في منطلقها إلا لسدّ ذرائع المصطلحات): وضع المسدّي أيضا تنميطا آخر لدراسة المصطلح، فاعتمادا على التأريخ للترجمة، فهناك المجمّعات العلميّة اللّغويّة باعتبارها المنفذ البارز في تغطية قضايا اللّغة المختلفة؛ فهي المؤسّسات المختصة الكفيلة بدراسة القديم والحديث فيما تتبني عليه قواعد اللّغة العربية، فالمسدّي يولي هذه الهيئات المسؤولية الجمة في ضبط ركائز اللّغة والوقوف عند متطلباتها العلمية وتطلّعاتها السياديّة. ولا شكّ من أنّ هذا أمر صائب من حيث الهدف الذي نشأت عليه المجامع اللّغوية في الوطن العربي؛ فهي تشرف على أعمال ذات أهمية قصوى نذكر منها على سبيل الحصر والتمثيل:

"1-تحرير المعنى اللّغوي القديم للكلمة العربيّة وتضمينها المعنى العلمي الجديد.

1-لعبيدي بوعبد الله، مدخل إلى المصطلح والمصطلحية، ص116.

2-المرجع نفسه، ص116.

2–اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربيّة أو معربّة للدّلالة على المعنى الجديد.

3–ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها.

4–تعريب كلمات أعجمية وعدّها صحيحة"[1].

إلاّ أنّ المسدّي يرى بأنّ هذه المجامع اللّغوية على الرّغم من أهميتها فهي تقتصر على عمل محدود يتمثّل في مجال سدّ الذرائع داخل حيز المصطلحات ولم تتسع رقعتها إلى أكثر من ذلك فهي بحاجة إلى التفعيل والتوسيع للوقوف على عوارض المصطلح وما تقتضيه القضية الاصطلاحية ونوضح ذلك وفق ما يلي:

"1–ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللّغوي ومدلوله الاصطلاحي ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كلّ معناه العلمي.

2–وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد.

3–تجنب تعدّد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد، وتفضيل اللّفظ المختص على اللّفظ المشترك.

4–استقراء وإحياء التراث العربي، وخاصة ما استعمل منه أو ما استقر من مصطلحات علميّة عربيّة صالحة للاستعمال الحديث، وما ورد فيه من ألفاظ معرّبة"[2].

وسيأتي الحديث عن هذا بشكل موسّع في عناصر نستعرض فيها مقولات المسدّي.

1–المجمّع العلمي العربي، مجلّة المجمّع السوري، دمشق، مجلّد38، ص8.

2–صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللّغة العربيّة، مطبوعات جامعة محمّد منتوري قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د–ت، ص21.

–عبارة (وقد طفحت هذه الأبحاث جميعها–من لدن الأفراد ومن لدن المؤسّسات– باستقراءات هي من الدقة والشّمول بحيث تكاد أن تسدّ رمق الحاجة المتجدّدة. فهذا على مدار المعالجة التطبيقية وهي أعظم خطرا وأعجل نفعا): يوضح عبد السّلام المسدّي بأنّ هناك أبحاث تخصّصيّة علميّة ضمن مجالات علم المصطلح أبدع فيها أصحابها فكانت بمثابة المناشير القانونيّة لعمل المؤسسات اللّغويّة. نظرا لما آلت إليه من الدقة والشمولية، فراحت تسدّ رمق الاحتياج المتكرر في إطار الانفعال الاصطلاحي على مدار الجهود الملموسة لإيجاد الحلول للمعضلة الاصطلاحيّة.

ونبقى في عنوان الاصطلاح والحركة الذاتيّة ونسرد قول المسدّي: "من يتفحص مقوّمات المعضلة الاصطلاحيّة كما تداولتها الدّراسات من الوجهة النظريّة يقف على ظاهرتين فيهما إشكال منهجيّ حاد، الأولى اختلاط القضيّة اللّغوية بالمعضلة الحضاريّة، ولئن كانتا من نسيج واحد في سياق الموضوع الاصطلاحي فإن المضني هو تلابس الوجهتين بما يحمّل اللّغة تبعات الموقف التاريخي حينا ويرهق التاريخ بما يظنّ أنّه من تبعات اللّغة أحيانا أخرى، وأحيانا كان مألوفا أن يدعو رواد النهضة المعاصرة إلى اقتفاء أثر الأجداد يوم نهضوا ناهلين من حياض الثّقافات الإغريقيّة والفارسيّة والهنديّة، فلم يعقهم المشكل اللّغوي ولا ثبطتهم معقّداته الاصطلاحية..أمّا الظاهرة الثانية التي تستوقف النّاظر في معضلة المصطلح كما بسطتها البحوث العلميّة العربيّة المعاصرة من الوجهة النظريّة فتتمثّل في توارث تصوّرات تصنيفيّة ما انفكّت تتضارب مع حقائق المعرفة اللّسانية المتطوّرة، ومدار هذا التصنيف هو ما يصطلح عليه بوسائل نمو اللّغة العربيّة وفي ذلك منذ البدء بعض الخلط بين ناموس الحركة الذاتية في الظاهرة اللّغوية ومطاطيّة جهازها في استيعاب الجديد من المدلولات"[1].

1–عبد السّلام المسدّي، قاموس اللّسانيات، ص26.

يقدّم المسدّي صورة توضيحيّة أخرى يبيّن من خلالها واقعا اصطلاحيّا جديد تخضع له المصطلحات في اللّغة العربيّة.

-عبارة: (من يتفحّص مقوّمات المعضلة الاصطلاحيّة كما تداولتها الدّراسات من الوجهة النظريّة يقف على ظاهرتين فيهما إشكال منهجيّ حاد): يبدو أنّ عبد السّلام المسدّي انتبه إلى أمر مهم في الأبحاث الاصطلاحيّة، وكأنّه تقيّن من أنّ علم المصطلح تعترضه عواقب ورسم شكل الاعتراض في صورة واضحة تتمثّل في الآلة المنهجية التي ينبني عليها علم المصطلح انطلاقا من قواعده الإجرائيّة، وهذا ما سنأتي على ذكره:

-عبارة: (الأولى اختلاط القضيّة اللّغويّة بالمعضلة الحضاريّة، ولئن كانتا من نسيج واحد في سياق الموضوع الاصطلاحي فإنّ المضني هو تلابس الوجهتين بما يحمّل اللّغة تبعات الموقف التاريخي حينا ويرهق التاريخ بما يظنّ أنّه من تبعات اللّغة أحيانا أخرى وأحيانا كان مألوفا أن يدعو رواد النهضة المعاصرة إلى اقتفاء أثر الأجداد يوم نهضوا ناهلين من حياض الثّقافات الإغريقيّة والفارسيّة والهنديّة فلم يعقهم المشكل اللّغوي ولا ثبطتهم معقّداته الاصطلاحية): يستنتج المسدّي خصائص تميّز المصطلح العربي في إشارة إلى الموروث المعجمي العربي. إلاّ أنّه نظر إلى أهل الاختصاص من اللّغة أنّهم توغلوا كثيرا في وصف مفردات العربيّة وصفا تراثيّا جعل منهم يضعون الدّراسات الاصطلاحيّة العربيّة في وضع متخلّف عن الواقع الاصطلاحي المسارع في التطوّر في نهضة لغويّة عالميّة جامعة لشروط التطوّر والإنتاج، بمعنى أنّ أصحاب الرأي المتشبث بالموقف التاريخي يضعون الركب الاصطلاحي العربي في موضع حرج لاعتبارات عدّة أهمها:

1-التصوّر الضيّق في حقّ التّراث اللّغوي العربي بحمل القدرات المعجميّة الاصطلاحيّة الحديثة على قاعدة الموروث بصفة إلزامية.

2-الضرورة المعرفيّة الاصطلاحية الحديثة تقتضي دراسة التراث من وجهة تنقيحية تقتضي فكّ التمازج الحاصل بين القضية اللّغوية والحضارة اللّغوية.

ونجد المسدّي يرد بطريقة واضحة على من تخندقوا في دائرة الانغلاق مبيّنا لهم صورة الحضارة اللّغوية القديمة، وقد وصفها بأنّها استفادت من مكتسبات الحضارات الأخرى في تلك الحقبة الزمنية كالحضارة الفارسية مثلا 'فلم يعقهم المشكل اللّغوي ولا ثبطتهم معقّداته الاصطلاحية'؛ فهذا ردٌّ واضح على دعاة التقيّد بالقديم دون البحث في المستجد والأخذ بالمستحدث من علوم الغير.

-عبارة: (أمّا الظاهرة الثانية التي تستوقف النّاظر في معضلة المصطلح كما بسطتها البحوث العلميّة العربيّة المعاصرة من الوجهة النظريّة، فتتمثّل في توارث تصوّرات تصنيفيّة ما انفكّت تتضارب مع حقائق المعرفة اللّسانيّة المتطوّرة): وتوقّف المسدّي هنا عند إشكال آخر مفاده أنّ التقيّد بالتصوّرات المعرفية والمنهجية الموروثة من الخازنة العلمية القديمة بات يتعارض مع روافد الحضارة اللّسانيّة المتطوّرة، وهذا لا يفي بالمطلوب في باب العصرنة الاصطلاحية المعاصرة وهذا ما يقصد به المسدّي في عبارته 'حقائق المعرفة اللّسانيّة المتطوّرة'.

-عبارة: (ومدار هذا التصنيف هو ما يصطلح عليه بوسائل نمو اللّغة العربيّة وفي ذلك منذ البدء بعض الخلط بين ناموس الحركة الذاتية في الظاهرة اللّغوية ومطاطيّة جهازها في استيعاب الجديد من المدلولات): نظر الأستاذ عبد السّلام المسدّي إلى نواميس اللّغة نظرة تأمليّة تدقيقية واصفا القراءة الذاتية الباحثة في وسائل اللّغة وتقدّمها طرحت استفهاما حول مدى قدرة اللّغة العربيّة على استقطاب النظريات التي يمكن لها أن تسهم في بسط سندال التقدّم والإنجاز في الدّراسات والأبحاث المصطلحيّة.

ولعلّنا هنا نستطيع إدراك الأطر والشروط التي يجب التقيّد بها في 'الإنجاز المصطلحي' بحيث يحافظ هذا على حيز 'البناء المعجمي والاصطلاحي' ضمن حيز الانتماء اللّغوي:

1-"البحث عن مصطلح عربي قديم ملائم للمفهوم الجديد.

2-البحث عن لفظ قديم قريب من المعنى الحديث، فيبدل معناه قليلا، ويطلق على المعنى الجديد.

3-اقتباس اللّفظ الأجنبي لحروفه على أن يصاغ صياغة عربية ليصير معرّبا.

4-البحث عن لفظ جديد المعنى بالاعتماد على الاشتقاق"[1].

ويشترط في هذا كله أن يتسم المصطلح العربي بالخصائص الآتية:

1-الاطّراد: كثرة استعمال المصطلح وشيوعه.

2-يسر التّداول: سهولة اللّفظ وخفته وبساطته.

3-الملائمة: أي أن يناسب اللّفظ العربي المفهوم وألاّ يتداخل مع غيره.

4-التحفيز: أن يدفع المستعمل إلى اختياره دون غيره"[2].

وهذا كمخطّط عملي واضح المعالم غايته الأولى الإنجاز الاصطلاحي الفعّال والصحيح ضمن الحركة المعرفيّة في إطار الحركة الذاتية المندرجة في أبنية اللّغة العربيّة، وهذا ما يرمي إليه عبد السّلام المسدّي في دراسته لقضايا المصطلح وعوارضه الحضارية.

1-عبد المجيد سالمي، مصطلحات اللّسانيات بين الوضع والاستعمال، رسالة دكتوراه (مخطوطة)، جامعة الجزائر العام الدراسي: 2007/2006م، ص71.

2-المرجع نفسه، ص72/71.

-مراتب التجريد الاصطلاحي: في هذا الباب يتفضل المسدّي بذكر محدّدات المصطلح اللّساني وفق ما تتطلبه الحالة المعرفية ضمن حيز التقدّم الاصطلاحي اللّساني في عالم اللّغويات الحديثة؛ فبهذه المقدّرات يتكوّن الطابع التجريدي العلمي للمصطلحات العربية بحسب ما يرى المسدّي.

يقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي: "وأوّل ما نقف عليه من ظواهر التوازي انقسام الوسائل الأربع إلى زوجين مضاعفين يتصاحبان من حيث التخصيص والعموم، فالاشتقاق والنّحت ظاهرتان نوعيتان، أولهما خصّت بها الأسرة السامية وبها عنوان قدرتها الانفجارية والثانيّة لصيقة باللّغات الهندية الأوروبية وعليها قوام سمتها التّضاميّة. أمّا الدخيل والمجاز فظاهرتان مطلقتان لا ينفك عنهما لسان من الألسنة"[1].

-عبارة: (وأوّل ما نقف عليه من ظواهر التوازي انقسام الوسائل الأربع إلى زوجين مضاعفين يتصاحبان من حيث التخصيص والعموم): يقف المسدّي هنا بذكر ما تكتسبه اللّغة العربية من مقدّرات تراثية، وقد سبق هذه العبارات بإطلالة استبيانية رأى من خلالها أنّها مصدر الافتراق المنهجي في تطوير الدّراسات الاصطلاحيّة العربية واعتبرها "تصورات تصنيفية ما فتئت تضارب ومنطلقات المعرفة الاختبارية في علم اللّسان"[2].

-عبارة: (فالاشتقاق والنّحت ظاهرتان نوعيتان أولهما خصّت بها الأسرة السامية وبها عنوان قدرتها الانفجارية والثانيّة لصيقة باللّغات الهندية الأوروبية وعليها قوام سمتها التّضاميّة): شخّص المسدّي الوسائل التي تعتمد عليها اللّغات في صناعة مفرداتها وحدّد لكل وسيلة موطنها الأصلي، فرأى أنّ وسيلة الاشتقاق أهم ما تعتمد عليه اللّغات

1-عبد السّلام المسدّي، قاموس اللّسانيات، ص47.

2-المرجع نفسه، ص47.

الساميّة على نحو اللّغة العربيّة وبها ازدادت قدرتها الإنشائية المعجمية. أمّا بالنسبة للنحت؛ فهو وازع اللّغات الهندو أوروبية ومنطلق القدرة الاصطلاحية لها ونقف هنا على هذين المصطلحين بشرح مفصل:

أ-الاشتقاق: هو قاعدة صرفية تستند إليها اللّغات السّاميّة في تنمية نظامها التركيبي فاللّغة العربيّة من أكثر اللّغات استنادا إلى هذه الخاصية العلمية، فهو الوسيلة الناجعة في الدّراسات المعجمية، ولهذا تعتمد عليه المجمّعات اللّغوية العربيّة والمؤسّسات المختصة بالتنمية اللّغوية العصرية، فهو طريقة مثلى تستعمل "لإغناء الرصيد اللّغوي ومنه يُنطلق لوضع سلسلة من المفردات الجديدة التي تواكب الاختراعات الحديثة"[1].

وعمل الاشتقاق يسميه المختصون اللّغويون 'التوليد الدلالي' فقد أفاد اللّغة العربيّة قديما واستعمله "السّلف لإثراء اللّغة العربيّة من داخلها، فبحثوا في العوامل التوليديّة التي تختص بها العربيّة وقسّموها حسب أهميتها مجاراة لكلام العرب"[2].

ومن أمثلته الاشتقاق في اللّغة العربيّة:

-اشتقاق المصادر القياسيّة على وزن 'فعلان' مثلا لدلالة على التقلب والاضطراب ووزن 'فِعالة' للحرفة ووزن 'فعَّال' للمحترف.

-اشتقاق المصادر الصناعية بالإضافة: كاشتقاق أسماء الآلات التي تأتي على وزن 'مفعلة-مفعل-مفعال'.

1-صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللّغة العربية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر د-ت، ص14.

2-صالح بلعيد، اللّغة العربية آلياتها الأساسيّة وقضاياها الراهنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 1995م، ص68.

إلاّ أنّ اللغويين يضعون شروطا واضحة وصارمة تهدف إلى الحفاظ على الطابع الدلالي العربي دون أيّ تغريب أو تحريف نذكره كالآتي:

1-أن يكون هناك أصل لفظي تأخذ منه الكلمة المشتقة.

2-التناسب الحرفي بين الكلمة المشتقة والكلمة الأصل.

3-يلزم وجود توافق معنوي بين اللّفظة المشتقة واللّفظة الأصل.

ويقسّم علماء اللّغة الاشتقاق إلى نوعين أساسيين:

أ-اشتقاق أصغر: هذا القسم تلجأ إليه المجامع اللّغوية العربيّة "للتعبير عمّا يستحدث من معان لمساعدة اللّغة العربيّة على مسايرة التطوّر الاجتماعي"[1].

ومثاله تقليب أوزان الكلمة حتّى يعاد منها إلى صيغة تكون هي الأصل في الصيغ مثل كلمة 'ضرب' أصل دال على مطلق الضرْب فقط؛ أمّا ضارب ومضروب ويضرب وإضراب، فكلّها أكثر دلالة وأكثر حروفا، وكلّها مشتركة في (ض + ر + ب) وهي هيئة الأصل في تركيبها.

ب-اشتقاق أكبر: ومثاله ما قدّمه بن جني وهو أن تأخذ "أصلا من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرّف من كلّ واحد منها عليه..كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد"[2].

ومثاله: كلمة 'كلّم' وتقاليبها الستة الأصل فيها الصورة التالية: (ك + ل + م) ثمّ ما يلي:

1-ينظر إبراهيم أنيس، من أسرار اللّغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6، 1978م، ص63.

2-ينظر، بن جنّي، الخصائص، تحقيق محمّد علي النجّار، المكتبة العلميّة، (د-ت)، ج1، ص134.

(ك + م + ل) و(م + ك + ل) و(م + ل + ك) و(ل + ك + م) و(ل + م + ك)، فابن الجنّي هنا يرى بأنّ هذه الكلمات كلّها ذات أصلي معنوي واحد دلالته 'القدرة والقوة'.

فالاشتقاق ظاهرة لغوية مهمة تلتزم اللّسان العربي منذ القدم ولها أصل منهجي اعتمده النحاة القدامى في بسط المصطلحات وفق ما يتوافق مع الحاضنة الاجتماعية اللّغوية آنذاك. ولا شكّ من أنّ الأستاذ عبد السّلام المسدّي يراه مفيدا في فكّ المعضلة الاصطلاحية العربية المعاصرة فعلى الرغم من عراقته إلاّ أنّه يضلّ مسلكا مناسبا وتطلعات اللّغة العربية في جميع المراحل الزمنيّة.

ب–النّحت: هو قاعدة تستعمل بكثرة في أبنية اللّغات الهندوأوروبية، والواضح أنّها تتناسب مع مقدرات وخصائص أنظمتها واشتهر النّحت كوسيلة قديمة يلجأ إليها اللّغويون في تزويد المعاجم الاصطلاحية بالكفاءات الدلالية التي تؤهل اللّغات للاستعمال الدلالي المناسب لما تفرضه معطيات الحضارات المتقلبة، ولهذا "فهو الوسيلة المثلى التي طوّرت اللّغات الهندوأوروبية"[1].

والنحت اصطلاحا: أخذ كلمة من كلمتين أو جملتين متعاقبتين يكونان متباينتين في المعنى والصورة 'الشكل'.

والنحت له في اللّغة العربيّة أوجه منها:

1–النحت من كلمتين: مثل كلمة 'جعفل' من (جعلت، فداك).

2–النحت من ثلاث كلمات: كلمة حيعل مشتقة من (حيّ على الصّلاة).

ويعد النحت الثلاثي أي بصوره الثلاثة الأشهر والأغلب في اللّغة العربيّة وما زاد عن

1–صالح بلعيد، اللّغة العربيّة وآلياتها الأساسيّة وقضاياها الراهنة، ص79.

3-النحت من أربع كلمات: على مثل كلمة 'بسملة' من (بسم الله الرّحمان الرّحيم).

ذلك قليل وضربوا له مثالا في كلمة 'حوقلة' المستخلصة من جملة (لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم) والتي تتألف من تسع كلمات.

لكنّ اللّغويين المحدثين رأوا أنّ النحت أقلّ فائدة في النتاج المصطلحي نظرا لعدم توافقه عموما مع الدّلالات اللّغوية الأصليّة العربيّة، ولذا فإنّه يعد عنصر وارد على اللّغة العربية والأصل فيه أنّه موروث حضاري غربي في حين أنّنا نجد أصوات أخرى تهتم بوسيلة النحت وتراها مفيدة لتنمية اللّغة العربيّة يقول الأستاذ ساطع الحصري: "قلّما رأينا الإقدام على الاستفادة من النّحت بصورة فعليّة، ونحن نعتقد أنّ الضرورة ماسّة لذلك. إنّنا نعبّر عن كثير من المعاني العلميّة بتراكيب متنوّعة، فإن كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة فيمكننا أن نستمر في استعمالها على حالها، أمّا إذا كانت طويلة صعبة فمن مصلحة العلم واللّغة أن ننحتها لأجل تسهيل استعمالها وانتشارها"[1]. ولهذا نجد الأستاذ عبد السّلام المسدّي يولي اهتمامه بالنحت كوسيلة عصرية وإن كان ارتباطه الأصلي يرجع إلى اللّغات الهندو أوروبية.

-عبارة: (أمّا الدخيل والمجاز فظاهرتان مطلقتان لا ينفك عنهما لسان من الألسنة): بعد حديثه عن الاشتقاق والنحت واعتباره أنّ الاشتقاق خاصية اللّغات الساميّة مثل اللّغة العربيّة وأنّ النحت ظاهرة لغويّة هندو أوروبية وإن وجدت بعض صوره في اللّغة العربيّة ينتقل هنا للحديث عن ظاهرتي الدخيل والمجاز فلا يخفى من أنّهما ميزتان ترافقان اللّغات كلّها لأسباب عديدة ومختلفة، ونجيء هنا للتعريج على هذين المصطلحين.

1-ساطع الحصري، في اللّغة والأدب، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، 1985م، ص87.

-الدّخيل: ويسمى أيضا بالمعرّب أو المقترض أو الأعجمي وفي تعريفه هو كل لفظ غير عربي يستعمل بأصوات غير عربية ويحمل صورة دلاليّة مصطنعة وسبب وفود هذا النوع من المصطلحات يعود إلى عوامل عدّة منها العامل التاريخي والحضاري والعامل التجاري والثقافي وغير ذلك كثير.

ويقاس الدخيل ويميّز وفق ما يلي:

1-التّحليل الصوتي: "إذا اجتمع في الكلمة أصوات لا تجمع بينهما العربيّة في كلمة دلّ ذلك على أنّها دخيلة، وذلك كاجتماع الجيم والقاف نحو: 'منجنيق'"[1].

2-التّحليل الصرفي: فإذا كان وزن الكلمة من غير أوزان الكلمات العربية دلّ على أنّها دخيلة مثلا: منفعيل ←—— منجنيق، وزن هذه الكلمة ليس من أبنية الأوزان العربية.

3-قاعدة الاشتقاق: إذا لم يكن للكلمة أصل اشتقاقي في اللّغة العربيّة تنسب إليه شكلا ومضمونا فهي ذات أصول دخيلة.

4-قاعدة المقارنة: "إذا تنازعت العربيّة وغيرها في كلمة، ولم تسعفنا الطريقة السّابقة إلى تعيين أصلها لجأنا إلى مقارنة العربيّة بأخواتها السّاميّات، فإن وجدت الكلمة فيها دلّت على عربيتها، وإلاّ فهي دخيلة"[2].

ومن المؤكّد أنّ المسدّي اهتم بقضايا الدّخيل واعتبره ظاهرة لغويّة قديمة وحديثة لا يمكن تجاهلها على أي حال فهي ملازمة الألسن وقد تجعل منه الضرورة مقاسا اصطلاحيا

1-لعبيدي بوعبد الله، مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحيّة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو الجزائر، 2012م، ص119.

2-ينظر، محمّد الأنطاكي، دراسات في فقه اللّغة، منشورات دار المشرق، حلب، سوريا ط2، 1969م ص357/356.

ملائما يستطاع من خلاله إيجاد مخارج استثنائية لمعضلة المصطلح.

-المجاز: لغة من أجاز "الشيء يجوّزه إذا تعدّاه"[1]، أمّا اصطلاحا فهو "الكلمة المستعملة في معنى معناها بالتحقيق، استعمالا في ذلك بالنّسبة على نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النّوع"[2]. وعرفه الجرجاني بأنّه "كلّ كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأوّل، فهي مجاز وإن شئت قلت: كلّ كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن ستأنف فيها وضعا لملاحظة بينما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها في مجاز"[3]، والمجاز يصفه المحدثون بأنّه: "محرّك الطاقة التعبيريّة"[4]؛ وقد تبوّأ المجاز منزلة رفيعة في البيان العربي.

نمثّل للمجاز في كلمة الفأرة ذات الدلالة الواضحة في اللّغة والتي تعني 'حيوان' ذو شكل معين؛ ولكن على صورة المجاز حرّف معنى هذه الكلمة وصارت تطلق على محرّك الواصلة بجهاز الكومبيوتر والتي يصطلح عليها باللّغة الأجنبيّة: 'Souris'.

وصور المجاز على ثلاثة أنواع هي:

1-ينظر عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمّد عبد المنعم خفاجي، وعبد العزيز شرف، دار الجيل بيروت، 1991م، ص438.

2-السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1983م، ص165.

3-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص438.

4-صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللّغة العربية، ص14.

1-مجاز توكيدي: لثبات صورة معنوية محدّدة نحو: خالد أسد؛ فأسد هنا تعبير مجازي فائدته إثبات خصال لشخص 'خالد' وتوضيحها.

2-مجاز تشبيهي: كتشبيه محرّك جهاز الكومبيوتر 'لاسوري' بالفأرة لسرعتها الحركية.

3-مجاز توسّعي: الهدف منه الخروج على المعنى الدلالي المحصور في لفظة واحدة واستعماله في صورة تعبيريّة أوسع تماشيا مع التطوّر المفرداتي.

فالمجاز وسيلة مهمّة في تنميّة المصطلح العربي وتنميطه وفق الضرورة العصريّة وهذا ما يراه الأستاذ المسدّي.

ونبقى في باب مراتب التجريد الاصطلاحي ونورد قول الأستاذ عبد السّلام المسدّي حول ما يتعلّق بالمعرفة الاستنتاجية للعناصر التي صغناها: "تلك إذن من موقع التنظير اللّساني والتأسيس المعرفي مراتب التجريد الاصطلاحي، ولعلّ الاستقراء الموسع يبيح تركيز القواعد المبدئية لصوغ النظريّة الكلّية في هذا المضمار".

-عبارة: (تلك إذن من موقع التنظير اللّساني والتأسيس المعرفي مراتب التجريد الاصطلاحي): بعدما عرّج المسدّي على وسائل مهمّة تستند إليها اللّغات في التنمية والرفاهية الاصطلاحية دعما وتقويّة للقدرات المعجمية، فهو يشخص لمعاني التجريد في ظل التحدّي القائم في حقول المصطلحيّة العربيّة؛ فبعد ذكره لخاصية الاشتقاق المرافقة للمسيرة اللّغوية العربيّة قديما هي خاصية لسانيّة ساميّة ثم انتقل للحديث عن قاعدة النحت ذات المبعث الهندو أوروبي والتي رآها مناسبة للواقع اللّغوي العربي المعاصر في ظل الواردات الغربيّة القوية لم يغفل عن قضايا الدخيل والمجاز، فهما متسرّبان في عالم المعارف اللّغوية المصطلحيّة شاملة جميع أنواع اللّغات. فالمسدّي يؤكد أنّ التجريد مرحلة لابد منها في الأبنيّة الاصطلاحية العربية ويكون ما أسلفناه هو الصورة المبدئية للولوج إلى قواعد الاصطلاح والصناعة المعجميّة.

-عبارة: (ولعلّ الاستقراء الموسع يبيح تركيز القواعد المبدئيّة لصوغ النظريّة الكلّية في هذا المضمار): بعد حديث المسدّي عن قضايا التجريد الاصطلاحي وتناوله قواعد الاشتقاق والنّحت وقواعد المجاز والدخيل، فهو يدعو إلى اعتماد خاصية الاستقراء لتحليل نتائج القواعد التي يجري عليها العمل الاصطلاحي من أجل الإحصاء والتقييم وكلّ هذا يؤهل الإنتاج الاصطلاحي العربي إلى المستوى المعرفي المطلوب تماشيا مع الواقع اللّساني المسارع في التطور والتقدّم.

-**مصطلح العلم وعلم مصطلحه:** يبدو أنّ الأستاذ عبد السّلام المسدّي يسير سيرا حثيثا في فكّ معضلة المصطلح؛ فبعدّ صوغه للمبادئ الأولى للتنميط عبر التحديدات والتعريفات ثمّ انتقاله إلى مسألة التجريد الاصطلاحي ويأتي في كتابه ليعرّج أيضا على معاني مهمّة وأساسيّة تتعلّق بمصطلح العلم وعلم مصطلح وسنوضح ذلك.

يقول عبد السّلام المسدّي: "لم تختلف السّبل بين الاصطلاحات العربيّة اختلافها في هذا العلم القديم الجديد الأصيل الدّخيل المتولّد الغازي نعني اللّسانيّات. والسبب في ذلك أنّ هذا العلم قد حمل على كاهله كلّ أسباب التشتت الاصطلاحي بين العرب ثمّ أضاف إليها عللا ودوافع تراكمت باقتضاء نوعيّة المعرفة اللّغويّة عامّة، وبمستمليات الدّقة اللّسانيّة خاصّة"[1].

-(عبارة لم تختلف السّبل بين الاصطلاحات العربيّة اختلافها في هذا العلم القديم الجديد الأصيل الدّخيل المتولّد الغازي نعني اللّسانيّات): محتوى عبارة المسدّي تأكيده على الدور العصري لعلم اللّسانيّات باعتباره علما يملك القدرة التحليليّة والمعرفية والمنهجيّة في

1-عبد السّلام المسدّي، قاموس اللّسانيّات، ص55.

دراسة كافة العلوم اللّغويّة، فاللّسانيّات بحثت بقوة في مجال المصطلح؛ لأنّه الركيزة الثانيّة في حوصلة الاستعمال اللّغوي بعد ركيزة المعرفة. ولهذا بحسب المسدّي بات للقارئ العربي المختص رؤى استنتاجيّة مختلفة في تعريفه لهذا العلم ومقدّراته العلميّة والخصائصيّة؛ كونه حديث المنشأ من حيث الإجراء في عالم اللّسانيّات العربيّة المستقطبة لمعارف اللّغات الغربيّة، وإن وجد له من حيث الأثر لون مشابه استوحاه العرب من مكاسب التراث الكثيرة؛ فإنّ الفاصل هو الطريقة الإجرائيّة.

فالمسدّي يهدف إلى استبيان معضلة الاختلاف في استقراء اللّسانيات كمفهوم وإجراء وخصائص، فهذا لاشكّ أنّه يمنح الدّارس العربي القدرة على استثمار قدرة اللّسانيّات في حقل المصطلحات العربي.

–عبارة (والسبب في ذلك أنّ هذا العلم قد حمل على كاهله كلّ أسباب التشتت الاصطلاحي بين العرب ثمّ أضاف إليها عللا ودوافع تراكمت باقتضاء نوعيّة المعرفة اللّغويّة عامّة، وبمستمليات الدّقة اللّسانيّة خاصّة): نستخلص من عبارة المسدّي توضيحه لسبب المعضلة الموجودة في حقول المعارف الاصطلاحيّة اللّسانيّة العربيّة ونوجزها في:

أ–انتشار مفاهيم متعدّدة معرّفة لعلم اللّسانيّات وهذا مردّه اختلاف العوامل المستقبلة لهذا العلم كاختلاف القراءات والتحليلات مثلا واختلاف العوامل الباثة لهذا العلم لأنّ الطريقة تختلف بتعدّد الظروف التي تنتقل بها معرفة من موطن لغوي إلى آخر.

ب–وهناك أيضا عامل الخصوصيّة العلميّة من حيث النّوعيّة المعرفيّة اللّغويّة العامة التي تتسم بها روافد اللّغة العربيّة، وعامل المستمليات المتعلقة بصورة الدّقة واللّزوم وغيرها فيما توصف بها اللّسانيّات الغربيّة.

في باب المصطلح وعلم المصطلح يرى المسدّي بأنّ العرب يبذلون جهودا قصوى لتحرّي الحلول الملائمة في تغطيّة حصيلة التقدّم اللّساني العالمي وخاصة فيما يتعلّق بموضوع المصطلحات؛ لأنّ العربيّة تعترضها من العلميّة النّقص المصطلحي، أو الضبط

المصطلحي، وهذا لاشكّ أنّه يستلزم تكثيف الجهود لتطوير هذه المحطّة الانطلاقيّة في عالم المعارف اللّغوية وسنوضّح ذلك في العنوان القادم.

-**الجهود العربيّة في المصطلح اللّساني**: يقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي: "لقد واجه العرب مشكلة المصطلحات اللّسانيّة منذ تصدّوا لهذا العلم الحديث بالتّلقّي والتّمثّل ومحاولة الإنشاء والوضع، ولقد كان شأن جيل اللّسانيّن الأوائل مع علمهم كشأن كلّ من اختصّوا بحقول المعارف الأخرى مع ما اختصّوا به مغالبة المتصوّرات ومراودة المفاهيم بمختلف السّبل الاصطلاحيّة، فكان الاحتيال على المدلولات في جلّ الأحيان سابقا للحيرة الاصطلاحيّة من حيث هي تصوّرات معرفيّة وتقنيّات لغويّة يتّصل جميعها بصياغة الدّوال العلميّة"[1]. يقف المسدّي في هذا الباب على مسألة مهمّة تأرّق الواقع الاصطلاحي اللّسانيّ العربيّ الحديث، فهو في هذا الباب يرى أنّ رواد عصر الحداثة من أهل اللّغة العربيّة كانت لهم جهود ملموسة تهدف إلى الظفر بمكاسب المصطلح اللّغوي الحديث ممّا تطرحه مزايا اللّسانيّات في الفترة الحديثة. وقد بيّن مجموعة من الطرق التي وسمت بها الجهود العربيّة في تكوين المصطلح اللّساني ونستخلصها في عبارته السابقة:

-عبارة (لقد واجه العرب مشكلة المصطلحات اللّسانيّة منذ تصدّوا لهذا العلم الحديث بالتّلقّي والتّمثّل ومحاولة الإنشاء والوضع): إذا لاحظنا هذه العبارة نجد أنّها تحتوي على ثلاثة عناصر أساسيّة ذكرها المسدّي وهي:

1-التّلقّي: الانفتاح على علوم اللّسانيّات الغربيّة واستقبال روافدها من المعارف العلميّة

1-عبد السّلام المسدّي، قاموس اللّسانيّات، ص73.

والتقنيّات المنهجيّة وتمثّل هذا في ظهور التّيارات اللّسانيّة المتأثّرة بالفكر اللّغوي الأوروبي في كافة مجالاته.

2-التّمثّل: وهو البحث في صور الاشتراك الذي يمكن استنتاجه من خلال استحضار مكوّنات التّراث وربطها فيما يقابلها من عوائد اللّسانيّات الغربيّة.

3-الإنشاء والوضع: وهو البغية الأساس في هذا المجال؛ فبعد المرور بالتلقي يأتي التّمثّل وهذا كلّه يجيء دور التّطبيق والحصول على النتيجة المرجوة في امتلاك الكم الهائل من المصطلحات اللّسانيّة.

ونلحظ من كلام المسدّي السّابق أنّ اللّغويين العرب تمكنّوا نوعا ما من معالجة العبء الذي كان يعترض اللّغة العربيّة في ميدان التأسيس الاصطلاحي، وبيّن الكيفيّة الذكيّة التي وظّفها أهل الاختصاص في حلّ معضلتهم وهذا ما نستوحيه من عبارته من نصه السّابق (مغالبة المتصوّرات ومراودة المفاهيم بمختلف السّبل الاصطلاحيّة، فكان الاحتيال على المدلولات في جلّ الأحيان سابقا للحيرة الاصطلاحيّة من حيث هي تصوّرات معرفيّة وتقنيّات لغويّة يتّصل جميعها بصياغة الدّوال العلميّة)، ونوضّحها أكثر بالشرح الآتي:

1-مغالبة المتصوّرات: يقصد به المسدّي سعي اللّغويين العرب لفكّ أيّ غموض مصطلحي يعترض اللّغة العربيّة عبر الشرح والبسط والبحث عن المقابل له من علوم العرب اللّغويّة.

2-مراودة المفاهيم: وهي جعل كلّ المعطيات الاستنتاجية المستخلصة من المعارف الغربيّة النظريّة تتلاءم ومعاني اللّغة العربيّة.

3-الاحتيال على المدلولات: أي إحداث رؤية تفسيريّة نستطيع من خلالها فهم التّصوّرات الفكريّة الصابغة للسانيّات الغربيّة.

ولا شكّ من أنّ المسدّي في حديثه عن جهود العرب في بناء المصطلح اللّساني قد تطرّق إلى ذكر نماذج تمثّل نماذج عن تجارب واقعيّة؛ ونوضّحها:

-جهود عبد الحميد الدّخلاوي ومحمّد القصّاص: ذكر المسدّي أنّ هذين العالمين قاما بنشر عمل مترجم للّغوي (جوف فندرياس) بعنوان 'اللّغة' عام 1950م، ووصف المسدّي هذه المحاولة بما يلي:

1-اتسامها بالنزعة الفكريّة الفلسفيّة.

2-تعتمد طريقة الكشف اللّساني.

وأخذ المسدّي على هذا العمل أنّه: يمثّل "مدخلا لغويّا إلى التّاريخ"[1]، ويرى بأنّ هذه المحاولة لم تبلغ الصورة الواضحة في استبيان المغزى اللّساني، وقال: "فإنّ المصطلحات اللّسانيّة لم تبلغ معه إشكالها الفنّي إلّا نادرا ممّا سهّل به عمل المترجمين في صياغة المفاهيم الكلّيّة"[2].

-جهود عبد الحليم النّجار: أصدر الأستاذ النّجار عمله سنة 1951م المتمثّل في ترجمته لكتاب (فوك يوهان) بعنوان 'العربيّة دراسات في اللّغة واللّهجات والأساليب'، ووصف الأستاذ عبد السّلام المسدّي هذا الكتاب بما يلي:

1-"لم يندرج الكتاب في مسلك البحث اللّساني الخالص ولا البحث اللّساني المطبّق صراحة على اللّغة العربيّة"[3].

1-عبد السّلام المسدّي، قاموس اللّسانيّات، ص74.

2-المرجع نفسه، ص47.

3-المرجع نفسه، ص74.

2-اجتهد صاحبه على التّرجمة الاصطلاحيّة لتحقيق المفاهيم اللّسانيّة لاجتياز الغموض النابع من مضامينه.

-جهود عبد الرّحمان أيوب: أصدر عملا مترجما للّغوي (جسبرسن) بعنوان 'اللّغة بين الفرد والمجتمع' عام 1954م، وممّا لاحظه المسدّي على هذا العمل ما يلي:

1-التصرّف المطلق في معاني متن الكتاب المترجم؛ وهذا حسب المسدّي يكسبه وجها تأويليّا تفسيريا خاصا قد لا يتناسب مع المراد الأصلي.

2-اجتهد عبد الرّحمان أيوب في "صوغ المصطلحات المناسبة وإن قلّت الحقول الدّقيقة التي تطرّق إليها نصّ التأليف"[1].

-جهود أحمد عزّت: ألّف عملا مترجما لكتاب (جون بياجيه) بعنوان 'اللّغة والفكر عند الطّفل'. ويرى المسدّي في هذا الكتاب ما يلي:

1-بعد العلاقة بين المؤلّف وعلم اللّسانيّات في تلك الفترة الزّمنيّة*؛ وهذا يبعده عن النّظريّة اللّسانيّة بمفاهيمها الدقيقة.

2-اهتمام المؤلّف بإرساء النظريّة النّفسيّة في أعماله التي كان في طور تكوينها، وهذا ما عبّر عنه الأستاذ المسدّي.

-جهود تمّام حسّان: قدّم الأستاذ تمّام حسّان عملا مترجما لكتاب (موريس ميكاييل لويس)، بعنوان 'اللّغة في المجتمع، والذي صدر سنة 1959م، وبما أنّ تمّام حسّان من رواد الجيل اللّساني الحديث على حدّ وصف الأستاذ عبد السّلام المسدّي؛ فقد تميّز عمله

1-المرجع السّابق، ص75.

باعتماد منهجيّة صاغ فيها المصطلحات اللّسانيّة وفق مبدأ الدوال الفنّيّة، وتبنّى التحليل المعرفي المناسب، وهذا بحسب رأي المسدّي. وقد كان عمل الأستاذ 'كمال محمّد بشر' على منوال الأستاذ تمّام حسّان؛ ويظهر ذلك في عمله المترجم لكتاب (ستيفن أولمان) بعنوان 'دور الكلمة في اللّغة.

-جهود صالح القرمادي: ترجم كتاب بعنوان 'دروس في علم أصوات العربيّة للّغوي (كانتينو)، وصدر هذا العمل سنة 1966م، وصفه المسدّي بما يلي:

1-يعدّ أوّل "خطوة متميّزة في بلورة المصطلح اللّساني ولاسيّما في حقل الصوتيّات"[1].

2-بذل صاحبه جهودا مهمّة في ترجمة هذا المُؤَلّف تمثّلت في صياغة الدّول الفنّيّة إلى مراتب تجريديّة؛ رغبة منه في توحيد المفاهيم والتصوّرات.

3-المصطلحات التي استعملها الأستاذ صالح القرمادي بحسب المسدّي "متطابقة من حيث التحليل والتجريد"[2].

-جهود أحمد مختار عمر: في عام 1976م، تجلّت دراسته في الجانب الصوتي، فاعتبر ذلك نقلة نوعيّة في معارف اللّسانيّات العربيّة وعلى وجه الخصوص حقل الصوتيّات وهذا ما عبّر عنه الأستاذ عبد السّلام المسدّي في قوله: "فكانت خطوة إضافيّة في حسم كثير من مصطلحات علم الأصوات ولاسيّما بصدوره عن المفاهيم الأجنبيّة سعيا إلى صوغ بدائل عربيّة لها"[3]، ومن خصائص عمله هذا نذكر:

1-المرجع السّابق، ص75.

2-المرجع نفسه، ص75.

3-المرجع نفسه، ص78.

1-أعدّ كشفا اصطلاحيّا احتوى على 'خمسمائة وواحد وستين' صورة لسانيّة تمثّل الجانب الصوتي وفق النموذج اللّغوي الانجليزي.

2-اعتمد في صياغة الصّور الصوتيّة على خاصيّة ثبت المصطلح الانجليزي، وإلحاق ما يقابله من المصطلح العربي.

-جهود الطيب بكّوش: تمثّل عمله في ترجمته لكتاب (جورج مونان) بعنوان 'مفاتيح الألسنيّة' الذي صدر سنة 1981م. وقد وسمه المسدّي بما يلي:

1-"ترجمته عسيرة التّناول متعاظلة الأسلوب بحيث لا يتسنّى للقارئ فهم التّركيب العربيّ أحيانا إلّا إذا أعاد ذهنيّا بناءه الفرنسي"[1].

2-ضمّ 'تسعمائة وثلاث وخمسين' مادة اصطلاحيّة بوضع المصطلح باللّغة الفرنسيّة وما يناسبه من المقابل العربيّ.

والأمثلة في هذا المجال واسعة وكثيرة، فكأنّ الأستاذ عبد السّلام المسدّي أراد نقلها وذكرها لقراءتها قراءة نقديّة وصفيّة؛ يتحقّق من خلالها حجم المجهود التي توصّل إليها اللّغويون العرب، ويحدّد قيمته وفق مبدأ التقارب الصحيح من الهدف المنشود.

-**القاموس المختص ونماذجه:** نستهل هذا العنوان بتعريف المسدّي للقاموس المختص ومجاله بقوله: "يرتكز القاموس المختصّ أو ما يسمّى بالقاموس الفنّي على محاولة إحصاء المنظومة الاصطلاحيّة الّتي يقوم عليها علم من العلوم، ومصطلحات العلم أيّا كان"[2]، نفهم من هذا المقطع النّصّيّ بأنّ القاموس المختص هو جملة المفردات المنطويّة

1-المرجع السّابق، ص86.

2-المرجع نفسه، ص87.

في كنف سياقيّ معرفيّ خاص بعلم من العلوم دون آخر والمراد من عبارة القاموس الفنّي هو الجّانب الشكليّ للمفردات التي تستعمل في حقل من الحقول المعرفيّة الخاصة. فالقاموس المختص هو الذي يتناول موضوعه "مصطلحات العلوم كالطّبّ والصّيدلة والزّراعة"[1]وغيرها. فكأنّ المسدّي بعد استجماعه لمقومات البناء النّظري وحديثه المطوّل حول قضايا المصطلح والمصطلحيّة نجده في هذا الباب يعرّج على الإنجاز القاموسي ويحدّد مجالاته الخاصة والعامة؛ فيقول معرّفا الجانب التطبيقيّ من القاموسيّة: "إنّما هي نظام من الدّوال مشتقّ من نظام دوال اللّغة التّي يتداوله بها أهله، فالثبت المصطلحيّ هو مجموعة الألفاظ التّي حوّلت عن دلالاتها الأولى لتختصّ بها دلالات فنّيّة تدرك بسياقها العلميّ"[2]؛ فالقاموسيّة مجال إعداديّ تأهيليّ للّغة العلميّة المختصّة التي تمثّل القاعدة الفعليّة التي تنطلق منها الدّراسات، وعلى هذا الذّكر جاء المسدّي بنماذج مرتبة وفق حيّزها الزّمني:

-(القاموس الموسوعي في علوم اللّغة): صدر هذا المؤلّف سنة 1972م، من إنجاز 'ديكرو' و'تودورف' كان هذا العمل الأوّل من نوعه، واعتمد صاحباه على منهج شموليّ ووصفه المسدّي بما يلي:

1-بُني على تصوّر منهجي ووصفيّ تمازجت فيه الاختصاصات في صياغته.

2-اختصّ باحتواء مفردات الخطاب الأدبي ومردّ ذلك النزعة الأدبيّة لتودورف.

-(قاموس في اللّسانيّات): يمثّل مجموعة أعمال أشرف عليها 'جون دي بوا' صدر سنة

1-زكيّة السّائح دحماني، الأسمائيّة في اللّسانيّات الحديثة بين النظريّة والتّطبيق، كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات بمنّوبة، 2014م، ص159.

2-عبد السّلام المسدّي، قاموس اللّسانيّات، ص87.

1973م وصفه بما يلي:

1-"امتاز بالتّوسّع والتّحليل في الأبواب الكبرى وبالاقتضاب والتّركيز في المفاهيم الفرديّة"[1].

2-ربطت مصطلحات اللّسانيّات فيه بمعاني مصطلحات فقه اللّغة.

-(قاموس اللّسانيّات): صدر الكتاب سنة 1974م لمؤلّفه 'جورج مونان' وساهم معه تسعة عشر باحثا في إنجازه واتّسم بما يلي:

1-مادته التّعريفيّة كانت مقتضبة إلى حدّ كبير نظرا لما يحتويه من كمّ هائل.

2-تميّز "باستيعابه مصطلحات العلوم القديمة النّحويّة منها والبلاغيّة"[2].

3-اختصّ باستقصاء المصطلحات المندرجة في معارف اللّسانيّات التطبيقيّة خاصة المتعلّقة بدراسة عوارض النطق والكلام.

-(معجم ألفاظ اللّسانيّات): لصاحبه 'فالزيون' صدر عام 1976م، ومن مواصفاته:

1-قدّم فيه كشوف تعريفيّة "لا تكفي لإرشاد غير المختصّ "[3] إلى الفهم الكافي.

2-جاء هذا العمل ثنائيّا يتلو المصطلح الفرنسيّ ويأتي برديفه الإنجليزي.

ونختم هذا الباب بقول الأستاذ عبد السّلام المسدّي "فالقاموس المختصّ قد يرد إذن وحيد اللّسان بحيث يذكر المصطلح العلميّ ثمّ يؤتى له بالشرح المناسب على قدر المقام الذي

1-المرجع السّابق، ص89.

2-المرجع نفسه، ص89.

3-المرجع نفسه، ص91.

يتّجه فيه مستعمل القاموس..وقد يرد القاموس المختص متعدّد الألسنة وأقلّه أن يكون ثنائي اللّسان، وفي هذا المقام يتعيّن رصد ألفاظه طبق معيار تصنيفيّ"[1].

وبعد هذا الاجتهاد في وصف المحتويات التي أسلفنا ذكر عناوينها في هذا العمل نوضّح أنّ الشطر المتبقيّ من الكتاب هو قسم جمع فيه المسدّي قائمة المصطلحات اللّسانيّة باللّغة الفرنسيّة وقدّم لها المقابل باللّغة العربيّة وانتهج فيها الترتيب الأبجدي.

1-المرجع السّابق، ص91.

خاتمــة

ما توصلّت إليه في هذا العمل أنّ الأستاذ عبد السّلام المسدّي كانت له منهجيّة خاصة في قراءة الفكر اللّساني الغربي؛ فقد درس المناهج ونظرياتها ووقف عند إجراءاتها ومبادئها وبحث في أبعادها المعرفية والفكرية، ولعلّنا نجد كتابيه 'اللّسانيات وأسسها المعرفية' و'مباحث تأسيسية في اللّسانيات' كدليل واضح لما أشرنا إليه. ومن الخصائص الأخرى التي نلحظها على دراساته اللّسانية غوصه في التّراث اللّغوي العربي بدقة وكأنّه يحاول إيجاد مدخلا لما تمليه الحضارة اللّسانية الغربية مؤمنا بأنّ التراث اللّغوي العربي نفيسا بما يكفل له مواكبة قواعد التقدّم اللّغوي العالمي، ويتضّح هذا في كتابه 'التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة'. ومن اهتمامات المسدّي تركيزه على المصطلح وعلومه فقد تطرّق إلى كل قضاياه المعرفيّة والمنهجيّة' وكأنّه يبيّن مكانة هذا الأخير في تكوين نظرية لسانية عربية تلتزم بقواعد الحضارة اللّغوية العصرية، ويمثّل هذا الجانب من اهتمامه كتابه 'قاموس اللّسانيات'. ويلحظ عليه سعيه الواضح إلى التعمّق في دراسة المعطيات اللّغوية الغربيّة بوسيلة تتيح له كشف الاطّلاع على روافد الحضارة الغربيّة وبعدها مقارنتها بمكتسبات الحضارة العربيّة وهذا بالعودة إلى ما أفرزته العربيّة من نظريّات ومفاهيم ونجدّ هذا واضحا في كتابه 'التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة'.فالمسدّي نقول عنه أنّه كان دقيقا في دراساته وقد استطاع أن يبيّن ما تقدّمه الحضارة اللّغويّة الغربيّة وما تحتضنه اللّغة العربيّة من أواصل التقدّم. ونوجز هذا بعبارة وهي أن الأستاذ المسدّي قد فكّ الاستفهام بالولوج في تراث الغرب واستنطاقه بالوصف والنقد والتّحليل واستحضار تراث العرب بالمقارنة والانتقاء والتبين. وهكذا تظل الدّراسات الفكريّة من أصعب الدّراسات استلهاما واستكشافا فليس من السّهل استنطاق فكر بشر؛ فهذه حقيقة علميّة؛ وإنّما يمكن الاصطلاح على أنّ الدّراسات الفكريّة هي قراءات تقريبيّة الهدف منها الإحاطة بمضامين الأفكار والرؤى المستوحاة من صلب الأبحاث عبر مناهج مختلفة كالوصف والتحليل. والباحث لا يستطيع الولوج إلى عمق الأفكار إلاّ إذا استعان بوسائل أخرى كالمراجع من أبحاث شبيهة بهذا العمل وكتب تحتوي على

مضامين استرشاديّة يلجأ إليها الباحث. أضف إلى ذلك أنّ هذا القسم من الأبحاث والدّراسات يجري في غالبه على موضعين من الإجراءات وهي: إمّا أن تكون الدّراسة وصفيّة تحليليّة غايتها البسط والاستبيان والشرح على نحو ما كان بحثي هذا. وإمّا أنّها تكون دراسة نقديّة تتعمّق في الآراء عبر المقارنة والردّ والاستنتاج وهذا النوع يحتاج إلى جهد مكثّف. وقد عمدت أن أوضّح هذا للبيان على أنّ الدّراسات الفكريّة دراسات معمّقة وفي غالبها تحتاج إلى الدقة و ليس بالضرورة أن يكون كلّ ما تمّ التوصّل إليه كفيل لتحقيق الهدف من البحث؛ لأنّ المجال يظلّ أوسع مهما تمّ استكماله. أمّا فيما يتعلّق بم جدّ في البحث، فلا شكّ أنّ الفكر اللّساني من أروع ما تفضيه الحضارة الإنسانيّة على مختلف مراحل الزّمن بحيث تظلّ الفكرة والعبارة شريكتين في إبرام عقد التناسق المحدّد للظاهرة اللّغوية، فلا فكر بدون كلام ولا كلام بدون فكر. فاللّغات جلّها بحثت في الفكر وتطوّرت الموجات اللّغوية بتطوّر الفكر الإنساني منذ أزمنة غابرة، وهكذا فالفكر اللّساني الغربي الذي بدأ بالأفكار ثمّ انتقل إلى الفرضيّات وبعدها تولدت الآراء وبعدها كانت النّظريّات لينتهي الوقع إلى اتجاهات لسانيّة لها وازعها الفكري ومقاسها الإجرائي وهذا ما ذهبنا إليه في بحثنا؛ حيث درسنا المدارس اللّسانيّة الغربيّة دراسة وصفيّة بيّنا فيها قواعد المدارس وروادها وأعمالها. وبعد ذلك اتجهنا إلى متابعة الأثر اللّساني الغربي في عالم اللّغة العربيّة واستحضرنا أهم النّظريّات والمناهج الواردة إلى اللّسانيات العربيّة ووضّحنا ذلك عبر نماذج شرحنا فيها مظاهر الفكر اللّساني الغربي في اللّسانيات العربيّة والنتيجة كانت أنّ لهذا المستورد أثر واضح في العمق اللّساني العربي بغضّ النّظر عن صور الاستقدام التي جاء فيها إلى اللّسانيّات العربيّة. ولا ضير أنّ هذا العارض كان له وجه معارضة تمثلت في الاتجاه الإحيائي الذي أعطى تصوّره الخاص لهوية الفكر اللّساني العربي ثمّ كانت الدّراسة في البحث مركّزة على أعمال المسدّي حيث درست الأسس اللّسانيّة والمنهجيّة للفكر اللّساني عند عبد السّلام المسدّي من خلال كتابه التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، وقد اعتمدت في هذا الوصف والتحليل لقضايا كتابه ثمّ

انتقلت إلى دراسة المصطلح اللّساني عند السّلام المسدّي فحدّدت فيه التعريف والمجال والخصائص لينتهي إلى دراسة محاور البحث النّظري في المصطلح اللّساني عند عبد السّلام المسدّي من خلال كتابه قاموس اللّسانيّات والنتيجة في هذا الباب أنّ المسدّي يضع تعاريف خاصة لتحديد المصطلح واستبيان إجراءاته وكأنّه من خلال عمله في هذا الكتاب يريد أن يبيّن قيمة المصطلح كمحرّك أساس في بناء الطاقة اللّسانيّة التي تؤهّل اللّغة العربيّة للانطلاق العصري والتقدّم المعرفي اللّغوي في ظلّ التحدّيات المختلفة التي تفرضها السّاحة العالميّة عبر التّسابق والتنافس العلميّ الخطير وكتاب قاموس اللّسانيّات يمثّل رؤية المسدّي في كيفية بناء قاموس الفكر اللّساني العربي الحديث وهذا ما نستدل عليه من عبارته 'مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى' والنتيجة أنّ المسدّي بما أنّه استحضر القاعدة الأولى التي تعتبر الأساس للانطلاق اللّساني العربي في ثوبه الجديد المتمثّلة في إعداد المصطلح اللّساني من جوانبه المختلفة، فنجده هنا يتعمّق في الفكر اللّساني العربي عبر موروثاته التراثيّة مستقرأ آراء الأفذاذ من أهل اللّغة الذين اعتبرت أعمالهم إبداعا معرفيا أفضى صور الجمال في اللّغة العربيّة في مرحلة من المراحل الزّمنيّة. ولهذا نجد المسدّي يستند في قراءته للتراث إلى نظرات عبد القاهر الجرجاني مثلا والقاضي عبد الجبّار وعلى نحوهم كثير. والمؤكّد أنّ المسدّي في هذا الباب يسعى لإحداث مقاربة معرفيّة ومنهجيّة بين مقدّرات التراث ومكاسب الحداثة المستلهمة من معطيات اللّسانيات الغربية الحديثة وكأنّه رسم خطّة حدّد فيها رؤيته لبناء فكر لسانيّ عربي حديث: تمثّلت في الإعداد الاصطلاحي المركّز في كتابه قاموس اللّسانيّات ثمّ انتقل إلى الإعداد النظري في كتابه التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة وهنا نستطيع القول أنّ هذا يمثّل مقاربة فكرية ومنهجية بين مقدّرات التراث العربي النفيس ومقدّرات الحضارة اللّسانيّة الغربيّة الحديثة.وفي الأخير أقول: أنّ البحث اللّساني عند المسدّي مناحيه واسعة لا يمكن أن تستجمعه ورقات بحث ينبع من اجتهاد طالب متطلّع إلى معارف كثيرة.

ملحـــق

-الأستاذ الدكتور عبد السّلام المسدّي.

أ-نشأته وتدرّجه في الدّراسة والوظائف التي مارسها.

هو: عبد السّلام بن عبد السّلام المسدّي ولد: بمدينة 'صفاقس' بتونس بتاريخ: 1945/01/26م.

ترعرع ونشأ بنفس المدينة في المدينة نفسها كان له مشوار علميّ حافل تميّزبما يلي:

1-شهادة الإجازة في اللّغة العربيّة والآداب العربيّة عام 1969م.

2-شهادة التبريز في الأدب العربي عام 1972م.

3-شهادة دكتوراه دولة عام 1979م.

4-تمّ ترقيته إلى الدرجة العليا من التعليم في جامعة تونس العاصمة: 1984م.

5-منح الجائزة التقديريّة للجمهورية التونسية في اللّغة والآداب.

6-حصل على وسام الاستقلال التونسي ووسام الجمهوريّة التونسية.

7-فاز بجائزة الدّراسات الأدبيّة والنّقد للدّورة الحادية عشر: (2008م-2009م).

8-تقلد مناصب عدّة من غير التدريس والتعليم هي:

أ-وزير التعليم العالي والبحث العلمي فترة: (1987م-1989م).

ب-عمل سفيرا لدى جامعة الدول العربيّة فترة: (1989م-1990م).

ج-عمل سفيرا لدى المملكة العربيّة السعودية فترة: (1990م-1991م).

د-استأنف التدريس في الجامعة التونسية منذ أكتوبر: (1991م).

هـ-عضو مشارك في منتديات ومجمعات لغوية عربيّة هي: المجمع اللّغوي العراقي منذ 1989م، والمجمع اللّغوي التونسي منذ 1997م، والمجمع اللّغوي الليبي منذ 1999م والمجمع اللّغوي السوري منذ 2002م.

ب-مؤلفاته وأعماله اللّغويّة مع وصف وجيز لكل مؤلّف.

1-**الأسلوبية والأسلوب**: ألف عام 1977م الذي طبع خمس مرات على التوالي وكانت هذه الطبعة الأولى من طرف الدّار العربيّة بتونس للكتاب الذي يقول عنه في مقدّمة كتابه في الطبعة الخامسة: "هذا العمل هو ثمّرة مزدوجة من البحث والتدريس. فاهتمامنا بقضايا الأسلوب يعود إلى السنة الدّراسيّة: (1974م-1975م) يوم اضطلعنا بتدريس الأسلوبية التطبيقية"[1]، فعبد السّلام المسدّي من خلال مؤلّفه سعى جاهدا للبحث في علم الأسلوبية والأسلوب؛ منتبها إلى أنّ الأسلوبية بثوبها الحالي علم مصدره الحضارة اللّسانيّة الغربيّة؛ إلا أنه ليس متناسيا البعد الحضاري للدّراسات الأسلوبية في العمق العربي؛ مدركا بأنّ هذا الجناح العلمي له إرهاصات فكريّة عربيّة تؤهله لتأسيس أسلوبيّة عربيّة حديثة ذات بعد علمي عالمي.

2-**التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة**: هذا العمل هو رسالة دكتوراه دولة تحصل عليها عام 1979م ثمّ طبع إلى كتاب عام 1981م من الدّار العربيّة للكتاب فكانت الطبعة الأولى ثمّ طبع الطبعة الثانية عام 1986م ثمّ الطبعة الثّالثة عام 2009م فهذا الكتاب حقيقة يمثل مشروعا هادفا في عالم اللّسانيّات العربيّة فصاحبه" يسعى لإطلاق العنان في الدعوة إلى تأسيس نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة جوهرها التّراث

1-عبد السّلام المسدّي، الأسلوبية والأسلوب، ص15.

العريق وقوامها البعد اللّساني العربي. وعبر عن ذلك بقوله الصريح: "كان لزاما رفع التحدّي وكان لزاما القفز على المعرفة بعد القفز على الزمن، ورحنا نحفر في طبقات التراث غير عابئين بغياب الدّراسات التفصيلية التي تتعاطى التحليل قبل التركيب والتأليف فكانت المغامرة، وتلك هي التي نعيد إخراجها اليوم كي تؤدي شهادتها المتعدّدة كما أسلفنا، ولكن لابد – في ضوء هذا الفاصل الزمني – من أن نتحسس جوابا للحصاد المعرفي الذي جنته اللّغة العربيّة خلال قرن كامل قد مضى".[1]

3–**قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون:** صدر هذا المؤلّف في طبعته الأولى من الشركة التونسية للكتاب عام 1981م، وهي عبارة عن تأمّلات فكريّة في أعمالهم على اعتبار فتراتهم الزّمنيّة المختلفة لتكون داعما فكريّا له في رؤاه الفكريّة.

4–**النّقد والحداثة:** صدر هذا الكتاب من دار الطليعة بيروت عام 1983م تضمن نظرة تعريفية شمولية لجواهر النقد وأساليبه مع شاكلته العصرية المتمثلة في الحداثة.

5–**قاموس اللّسانيّات عربي فرنسي – فرنسي عربي مع مقدّمة في علم المصطلح:** يعتبر هذا العمل من أروع أعمال المسدّي. طبع لأول مرة بالدّار العربيّة للكتاب عام 1984م، الذي بين فيه خصائص المصطلح وضوابطه العلميّة. وأعطى سندًا معجميا للمصطلحات اللّسانيّة مترجم باللّغتين العربيّة والفرنسية، يقول فيه مبيّنا أهمية المصطلح: "إذا استبان خطر المصطلح في كل فن توضّح أنّ السّجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سُورَه الجامع وحصنه المانع. فهو له كالسّياج العقلي الذي يرسي حرماته رادعا إيّاه أن يلابس غيره، وحاضرا غيره أن يتلبس به"[2].

1–عبد السّلام المسدّي، التفكير اللّساني في الحضارة العربيّ، ص8.

2–عبد السّلام المسدّي، قاموس اللّسانيّات، ص11.

6-**اللّسانيّات من خلال النّصوص**: صدر هذا الكتاب تزامنا مع عمله السابق – قاموس اللّسانيّات – أي عام 1984م من الدّار التونسية للطباعة والنّشر. حيث قدّم فيه عبد السّلام المسدّي نموذجا دراسيّا وصفيا يبحث في البعد اللّساني العالمي من خلال قراءات تحليليّة نموذجية.

7-**الشرط في 'القرآن الكريم' على نهج اللّسانيّات الوصفيّة**: دراسة قدّمها المسدّي كنموذج تحليلي يقوم على مبادئ المَنْهَج الوصفي، واختار أسلوب الشرط كنمط توضحي من نص 'القرآن الكريم'، وصدر عام 1985م من طرف الدّار العربيّة للكتاب.

8-**اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة**: دراسة خصّ بها التفصيل، والبحث في ينابيع البعث اللّغوي الحديث مستلهما ذلك من مجالات البحث اللّساني المعاصر، وصدر هذا العمل عام 1986م من الدّار التونسية للطباعة والنشر.

9-**النّظريّةاللّسانيّة والشّعرية العربيّة في التّراث العربي من خلال النّصوص**: هي دراسة تقريبية لخصائص اللّسانيّات وقواعد الشعر العربي مستطلعا فيها رأيه في أهم نقاط التلاقي والمحاورة في التراث العربي اللّغوي والأدبي. صدر هذا المؤلف سنة 1988م عن دار الطباعة التونسية.

10-**مراجع اللّسانيّات**: هو كتاب يتضمّن أهم المصادر النّظريّة للسانيّات ويصنّف هذه المصادر بحسب الاتجاهات اللّسانيّة صدر عام 1989م عن الدّار العربيّة للكتاب.

11-**مراجع النّقد الحديث**: يبحث في مراجع النقد الحديث وبواعثه واتجاهاته، ويظهر فيه مصادر النقد الحديث بحسب النظريات. صدر هو الآخر عام 1989م من طرف الدّار العربيّة للكتاب.

12-**مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات**: أراد أن يقدّم منهجا واضحا لبيان تأسيس اللّسانيّات العربيّة. فيقول: "لقد كان كل شيء مثيرا لتكثيف الصدمة الحضارية: صدمة المعرفة

الوافدة، فكيف يقتنع أبناء الضاد – عامتهم وخاصتهم – أن ركب التقدم قد قعد بهم حتى في العلم الذي به يعاد اكتشاف اللّغة؟. وصدمة المَنْهَج العلمي الذي به تجرس اللّغات بما فيها العربيّة"[1]. وصدر هذا الكتاب في طبعته الأولى عام 2010م،عن دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت.

13-**العربيّة والإعراب**: استهدف المسدّي دراسة جوهر اللّغة العربيّة 'الإعراب' في ضوء التقدم اللّساني الحديث فيقول: النحو واللّسانيّات يقفان على مصادرتين لا تتماهيان ولا تترافضان فليس الإقرار بإحداهما بمقتضى إلغاء الأخرى"[2]، وصدر هذا الكتاب في التّاريخ الذي صدر به كتاب 'المباحث التأسيسيّة' في اللّسانيّات عام 2010م بالطبعة الأولى عن دار الطباعة نفسها. ولا يسعنا هنا في هذه الوصلة التمهيدية التعريفية إلاّ التأكيد بدون هوادة أنّ عبد السّلام المسدّي أثرى اللّغة العربيّة بأعمال مهمّة؛ تحمل في طيّاتها مواقف رجل عبّرَ عن انتمائه الفكري الذي ألهم به السّاحة اللّغويّة العربيّة؛ فقد وُصف بأنّه مبدع لغوي محافظ وناقد أدبي بناء؛ فلا تكاد تخرج أعماله عن أطر التراث اللّغوي العربي بل راح يمحّص الجميل من إنتاجيات غيره خدمة للّغة راسخة في مبدئه الأصيل ووجدانه العميق، فهذا الرجل أعلى من أن يوصف بمفكر اللّغة المعاصر؛ بل هو 'قطب وَرِعٌ بعلوم الماضي والحاضر'، ويستحق أن يكون مرجعا للدّراسات اللّسانيّة العربيّة الحديثة، ونختم هذه الإطلالة بكلمة ألقاها عبد السّلام المسدّي في حفل تكريم أقيم له بالمملكة العربيّة السعودية بتاريخ: 1990/02/12م نصها: "اللّغة في مفترق الطرق..اللّغة من منابعها ومنابعها شتى، اللّغة هذه الظاهرة الكونية، اللّغة هذه الظاهرة البشرية، لنا بها صلة ليست للآخرين..نحن أبناء الضاد، نحن العرب، نحن أمة

1-عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسية في اللّسانيّات، ص5.

2-عبد السّلام المسدّي، العربيّة والإعراب،ص4.

الإسلام لنا مع اللّغة شأن غير شأن الآخرين مع لغاتهم وألسنتهم..اللّغة عرفتها وشربت صفاءها من رواء نص الذكر الحكيم، وتلقّاها القلب وتدبرها العقل، فإذا بها مَجْمعَ مواريث مختلفة. منعرجنا اليوم مع اللّغة أنها حصيلة فكر وثمّرة زاد فيها معرفة العقل..وفيها خاطر الوجدان وخاطر الانفعال..وهي لغة العلم عبر التراث، ولكنها أيضا في ملقى معارفنا العصرية اليوم: هي موضوع البحث المستحدث، وموضوع المعرفة"[1].

1–نص الكلمة للمسدّي في حفل 'الاثنينية'، وهو ملتقى تكريمي مخصص يقام كل عام بجدّة/السعودية بنفس التّاريخ الذي أشرنا إليه، والنصّ قدمناهو مقتطف من كلمة ألقاها في الحفل الذي خصص لتكريم عبد السّلام المسدّي.

قائمة المصادر والمراجع

-**المصحف الشريف:** رواية حفص عن عاصم.

أ/المراجع العربيّة:

1-إبراهيم أنيس.

-دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية،ط5، 1984م.

-من أسرار اللّغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6، 1978م.

2-إبراهيم السامرائي.

-فقه اللّغة المقارن، دار الملايين بيروت، ط2، 1987م.

3-أحمد عبد العزيز دراج.

-الاتجاهات المعاصرة في تطوّر دراسات العلوم اللّغويّة، مكتبة الرشد، 2000م.

4-إبراهيم مصطفى وآخرون.

-المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط2، ج1، باب الجيم، د-ت.

5-أحمد المتوكّل.

-التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، مكتبة دار الإيمان الرباط، ط1، 2005م.

-اللّسانيّات الوظيفيّة مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، 2010م.

6-أحمد محمّد قدور.

-مبادئ اللّسانيّات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008م.

7-أحمد مومن.

-اللّسانيّات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 4، 2008م.

8-الأمير مصطفى الشهابي.

-المصطلحات العلميّة في اللّغة العربيّة، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق ط2، 1988م.

9-إميل بديع يعقوب وآخرون.

-قاموس المصطلحات اللّغويّة والأدبية، دار العلم للملايين، ط1، 1987م.

10-أنيس فريحة.

-نظريّات في اللّغة، دار الكتاب اللّبناني بيروت، ط2، 1981م.

11-البشير التّهالي.

-تعريف المصطلحات في الفكر اللّساني العربي أسسه المعرفية وقواعده المَنْهَجية دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 2007م.

12-بطرس البستاني.

-محيط المحيط، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1977م.

13-أبو البقاء الكوفي (1094هـ).

-الكليّات، معجم المصطلحات والفروق اللّغوية، مؤسسة الرسالة بيروتج2، ط2 1993م.

14-تمّام حسّان.

-الأصول دراسة ابستمولوجيّة للفكر اللّغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، 2000م.

-اللّغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، 1994م.

15-التواتي بن التواتي.

-محاضرات في أصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر 2008م.

16-الجرجاني عبد القاهر (400-471هـ).

-أسرار البلاغة، تحقيق محمّد عبد المنعم خفاجي، وعبد العزيز شرف، دار الجيل بيروت، 1991م.

17-ابن جنّي أبو الفتح عثمان (322-392هـ).

-الخصائص، تحقيق محمّد علي النجّار، المكتبة العلميّة، د-ت.

18-ابن حزم الأندلسي أبو محمّد علي (384-456هـ).

-الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام، مصر، ط2، ج1، د-ت.

19-حامد صادق قنيبي.

-المعاجم والمصطلحات مباحث في المعاجم والمصطلحات والتعريب، الدّار السعودية للنشر والتوزيع، ط1، 2000م.

20-الخفاجي ابن سنان (423-466هـ).

-سرّ الفصاحة، تحقيق علي فودة، القاهرة، ط1، 1932م.

21-خليفة بوجادي.

-في اللّسانيّات التداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدّرس العربيّ القديم، بيت الحكمة للنّشر والتوزيع، ط2، 2012م.

-اللّسانيّات النّظريّة دروس وتطبيقات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2012م.

22-خليل أحمد عمايرة.

-دراسات وأراء في ضوء علم اللّغة المعاصر، عالم المعرفة ، ط1، 1987م.

23-ابن خلدون أبو زيد (784-808هـ).

-وليّ الدين عبد الرّحمان، المقدّمة، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان ط4، د، ت.

24-خوله طالب الإبراهيمي.

مبادئ في اللّسانيّات، دار القصبة للنّشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2006م.

25-ساطع الحصري.

-في اللّغة والأدب، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، 1985م.

26-السّعيد شنوقة.

-مدخل إلى المدارس اللّسانيّة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2008م.

27-رمضان عبد التوّاب.

-المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، مكتبة الخفاجي ودار الرفاعي، الرياض السعودية، 1982م.

28-زكيّة السّائح دحماني.

-الأسمائيّة في اللّسانيّات الحديثة بين النظريّة والتّطبيق، كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات، منّوبة، تونس، 2014م.

29-الزمخشري أبو القاسم محمود (467-538هـ).

-الكشاف عن حقائق التنزيل، تحقيق محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، مصر د-ت، ج56.

30-الزملكاني كمال الدّين (666-727هـ).

-البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، 1974م.

31-سالم علوي.

-وقائع لغوية وأنظار نحويّة، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000م.

32-السّكاكي أبو يعقوب بن أبي بكر محمّد(555-626هـ).

-مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1983م.

33-سمير شريف استيتية.

-اللّسانيّات المجال والوظيفة والمَنْهَج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2008م.

34-سهيل الحبيب.

-وصل التراث بالمعاصرة، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 1998م.

35-شفيقة العلوي.

-محاضرات في المدارس اللّسانيّة المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ط1، 2004م.

36-صالح بلعيد.

-اللّغة العربيّة آلياتها الأساسيّة وقضاياها الراهنة، ديوان المطبوعات الجامعية، السّاحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 1995م.

-محاضرات في قضايا اللّغة العربية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، د-ت.

37-صلاح فضل.

-نظريّة البنائيّة في النقد الأدبي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998م

38-الطيب دبه.

-مبادئ اللّسانيّات ، دار القصبة، الجزائر، 2001م.

39-عاطف مدكور.

-علم اللّغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987م.

40-عبد الجليل مرتاض.

-اللّغة والتواصل، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د-ت،.

-مفاهيم لسانيّة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005م.

41-عبد الرّحمان أيوب.

-دراسات نقديّة في النّحو العربيّ، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت د-ت.

42-عبد السّلام المسدّي.

-الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط5، 2006م.

-التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط3، 2009م.

-قضية البنيويّة دراسة ونماذج، وزارة الثقافة، تونس، ط1، 1991م.

-قاموس اللّسانيّات، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، ط1، 1984م.

-العربيّة والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2010م.

-اللّسانيات وأسسها المعرفيّة، الدار التونسيّة للنشر، 1986م.

-مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010م.

43-عبد القادر عبد جليل.

-اللّسانيّات الحديثة، دار الصفاء، الأردن، ط1، 2002م.

44-عبد القادر الفاسي الفهري.

-اللّسانيّات واللّغة العربيّة نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء ج2، ط2، 1988م.

-معجم المصطلحات اللّسانيّة: انجليزي – فرنسي – عربي، دار الكتاب الجديد المتحدّة د-ت.

45-عبد المجيد دياب.

-تحقيق التراث منهجه وتطوره، دار المعارف القاهرة، ط2، 1993م.

46-عبد الوهاب جعفر.

-الفلسفة واللّغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر، ط2، 2004م.

47-عثمان بن طالب.

-تأسيس القضية الاصطلاحية، إعداد مجموعة من الأساتذة، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، قرطاج، 1989م.

48-علي آيت أوشان.

-اللّسانيّات والبيداغوجيا نموذج النّحو الوظيفي الأسس المعرفيّة والديداكتيكيّة، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط1، 1998م.

49-علي عبد الواحد وافي.

-علم اللّغة، دار نهضة مصر للطباعة وللنشر والتوزيع، ط1، 2004م.

50-علي القاسمي.

-مقدّمة في علم المصطلح أسسه النّظريّة وتطبيقاته العلميّة، مكتبة لبنان ناشرون بيروت لبنان ط1، 2008م.

51-علي أبو المكارم.

-تعليم النّحو العربي، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م.

52-عمر مكداشي.

-البرمجة باللّغة العربيّة، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1987م.

53-الغزالي أبو حامد (450-505هـ).

-المستصفى من علوم الأصول، المكتبة التجارية، مصر، ط1، ج1، 1937م.

54-الفارابي أبو النّصر (260-339هـ).

-شرح كتاب أرسطاطاليس في العبارة، من تأليف، ولهلم كوتش اليسوعي، وستانلي مارو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، 1960م.

55-القاضي عبد الجبار أبو الحسن (359-415هـ).

-المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق محمود محمّد الخضيري، القاهرة، مصر 1965م، ج16.

56-كمال بشر.

-التفكير اللّغوي بين القديم والحديث، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة،2005م.

57-لعبيدي بوعبد الله.

-مدخل إلى المصطلح والمصطلحية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع تيزي وزو، الجزائر، 2012م.

58-محمّد الأنطاكي.

-دراسات في فقه اللّغة، منشورات دار المشرق، حلب، سوريا، ط2، 1969م.

59-محمّد بركات حميدي أبو علي.

-كيف نقرأ تراثنا البلاغي، دار وائل، عمّان، الأردن ، ط1، 1999م.

60-محمّد حسين آل ياسين.

-الدّراسات اللّغويّة عند العرب، مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1981م.

61-محمّد خان.

-أصول النّحو العربي، منشورات مخبر اللّسانيات واللّغة العربية، مطبعة جامعة محمّد خيضر بسكرة، الجزائر، 2012م.

62-محمّد خليفة الأسود.

-التمهيد في علم اللّغة، منشورات الجامعة المفتوحة طرابلس، دار الكتاب الوطنيّة ط1 1991م.

63-محمّد عبد العزيز عبد الدايم.

-النظريّة اللّغوية في التراث العربيّ، دار السّلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة القاهرة، مصر، ط1، 2006م.

64-محمّد عبد الكريم علي الرّديني.

-فصول في علم اللّغة العام، دار الهدى للطباعة والنّشر، عين مليلة، الجزائر، 2007م.

65-محمّد مصطفى رضوان.

-التوقيف والاصطلاح في كتاب ابن فارس، مصر، 1971م.

66-محمّد محمّد يونس علي.

-مدخل إلى اللّسانيّات، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

67-محمود السعران.

-علم اللّغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، د-ت.

68-محمود فهمي حجازي.

-الأسس اللّغويّة في علم المصطلح، مكتبة غريب، د-ت.

69-محمود فهمي زيدان.

-في فلسفة اللّغة، دار النّهضة العربيّة للطباعة والنّشر، بيروت، 1985م.

70-محي الدّين محسب.

-اللّغة والفكر والعالم دراسة في النسبية اللّغوية بين الفرضية والتحقق، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997م.

71-مسعود صحراوي.

-التّداوليّة عند العلماء العرب، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008م.

72-مشال زكريا.

-مباحث النّظريّة الألسنية وتعليم اللّغة، المؤسسة الجامعية للدّراسات، بيروت، لبنان ط2 1985م.

73-مصطفى مندور.

-اللّغة بين العقل والمغامرة، منشأة المعارف، الإسكندريّة، د-ت.

74-ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين (630-711هـ).

-لسان العرب، مراجعة يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، ج2، 1988م.

75-نصر الدّين بن زروق.

-دروس ومحاضرات في اللّسانيّات العامة، كنوز الحكمة، ط1، الجزائر 2011م.

76-نعمان بوقرة.

-المدارس اللّسانيّة المعاصرة، مكتبة الآداب القاهرة، 2003م.

77-نواري سعودي أبو زيد.

-محاضرات في اللّسانيّات التطبيقية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر ط1، 2012م.

78-يمنى العيد.

-في معرفة النّص، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3،1985م.

ب/المراجع الأجنبيّة المترجمة:

79-جرهاد هلبش.

-تاريخ علم الحديث، ترجمة سعيد حسن بحيري، كتبة زهراء الشرق، القاهرة ط1، 2003م.

80-جفري سامسون.

-مدارس اللّسانيّات التسابق والتطوّر، ترجمة محمّد زياد كبة، جامعة الملك سعود1997م.

81-جوديث جرين.

-التفكير واللّغة، ترجمة وتقديم، عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992م.

82-جورج مونان.

-تاريخ علم اللّغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1972م.

83-جون ليونز.

-نظرية تشومسكي اللّغويّة، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية مصر، ط1، 1985م.

84-روبير مارتان.

-مدخل لفهم اللّسانيّات، ترجمة عبد القادر المهيري، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت ط1،2007م.

85-فرديناند دو سوسير.

-محاضرات في الألسنيّة العامة، ترجمة يوسف غازي ومجدي النصر، دار نعمان للثقافة، بيروت، د-ت.

86-كاترين فوك وبيارلي قوفيك.

-مبادئ في قضايا اللّسانيّات المعاصرة، تعريب المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

87-ماريوباي.

-أسس علم اللّغة، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربيّة 1973م.

88-ميلكا إفيتش.

-اتجاهات البحث اللّساني، ترجمة سعيد عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2000م.

جـ/المجلّات والدوريات:

89-أمينة طيبي.

-الدراسة فوق التشكيلية عند الفلاسفة المسلمين، مقال منشور في مجلة التراث العربي دمشق العدّد98.

90-ثامر إبراهيم المصاورة.

-المنهج البنيوي دراسة نظريةّ، مقال منشور في موقع أدباء الشام http://www.odabasham.net

91-حافيظ إسماعيل علوي.

-اللّسانيّات في الثقافة العربيّة الحديثة وإشكاليّة التلقّي، مجلّة اللّسانيات واللّغة العربيّة عدد2،2007م.

92-جون سيرل.

-تشومسكي والثورة اللّغويّة، مجلّة الفكر العربيّ، عدد8، 1979م.

93-عبد الرّحمان الحاج صالح.

-مدخل إلى علم اللّسان الحديث، مجلّة اللّسانيّات، الجزائر، عدد4، 1973م/1974م.

-أنواع المعاجم الحديثة ومنهج وضعها، مجلّة اللّغة العربيّة، دمشق، سوريا، المجلد78 الجزء3.

94-صلاح الدّين ملاوي.

-محاضرات في اللّسانيات الوظيفيّة، جامعة محمّد خيضر بسكرة، الجزائر 2012/2011م.

95-يوسف زيدان.

-أزمة التفكير العلمي العربي، مقال منشور بالموقع الإلكتروني للتراث والمخطوطات http:www.ziedan.com/research/kuite.asp.

96-عبد العزيز حمودة.

-المرايا المقعرة نحو نظريّة نقدية عربيّة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 272.

-المرايا المحدّبة، من البنيويّة إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد232.

97-عماد الدين خليل.

-الثنائيات توافق أم تضاد، مجلّة الأدب الإسلامي العالميّة، مؤسسة الرسالة، بيروت العدد25، السّنة 1421هـ، المجلّد7.

98-مازن الوعر.

-النظريات النحويّة والدلالية والتّوليديّة، مجلة اللّسانيّات، العدد1982م.

-التّفكير اللّغوي عند الجغرافيين والرّحالة العرب في ضوء اللّسانيّات الجغرافيّة المعاصرة مجلّة التراث العربي، عدد104، 06 كانون الأول 2006م.

99-مها خير بك ناصر.

-الأدب العربي بين الأصالة والمعاصرة، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب دمشق، عدد96، 25 كانون الأول 2004م.

د-الأطاريح الجامعيّة:

100-عبد القادر برجي.

-القضايا اللّسانيّة في كتاب الامتناع والمؤانسة لأبي حيان التّوحيدي، مذكّرة ماجستير جامعة ورقلة، الجزائر، السّنة الجامعيّة: 2009/2008م.

101-عبد المجيد سالمي.

-مصطلحات اللّسانيات بين الوضع والاستعمال، أطروحة دكتوراه دولة، الجزائر، السّنة الجامعيّة: 2006م/2007م.

هـ/المراجع الأجنبيّة:

102-Aino Niklas Salminen.

-la Lexicologie, Armand colin paris, 1997.

103-André martinent.

-Économie des changements phonétiques, berne, Franke, 1955.

104-CF. E. Fudge.

-Phonology and Phonetics, In Thomas a, Sebeok Ed, Current trends In linguistics, v9, Mouton 1972.

105-Chomsky Naom.

-Syntactic structures, the Hague mouton, 1957.

-Aspects of the theory syntax, mouton, 1965.

-Cartesian linguistics, New York, Harper and row, 1966, p73.

106-David crystal.

-The Cambridge Encyclopedia of language, CUP, 1987.

107-Edward Sapir.

-The status of linguistics as science, language, vol5, 1929.

108-Philip Davis.

-Modern theories of language, New jersey; Printice-hall, inc, 1973.

109-Geoffrey Sampson.

-Schools of linguistics, London and co, 1980.

110-Georges Mounin.

-La linguistique du XXe siècle, PUF, 1972.

111-H.Osthoff and k, Brugmann.

-P, XII in G, Sampson, Op, Cit, 1878.

112-Lyons John.

-New horizons in linguistics, Penguin, 1970.

113-Lyons John.

-Language and linguistics, An Introduction, Cambridge, Cambridge university press 1981.

114-Lyons John.

-Chomsky, London Penguin, 1970.

115-John firth.

-Synopsis of linguistic theory, studies in linguistic analysis, Philo Society Special volume, Oxford, 1957.

116-Paul Postal.

-Aspects of Phonological theory, Harper and row, 1968.

117-Winfred Lehman.

-Historical linguistic an introduction, New York, 1973.

فهرس الموضوعات

-**الموضوع**.....**الصفحة**

-مقدّمة.....(أ، ب، ج، د)

-الفصل الأوّل: تلقّي اللّسانيّات في الكتابات العربيّة.....(7-78)

1-توطئة.....(7-14)

2-الفكر اللّساني الغربي مقوّماته وخصائصه.....(15-29)

3-مظاهر الفكر اللّساني في اللّسانيات العربيّة.....(29-40)

4-الفكر اللّساني العربيّ بين التّجديد والتّقليد.....(40-57)

-الفصل الثاني: الأسس المعرفية والمنهجية للفكر اللّساني عند المسدّي.....(60-82)

1-تمثّل اللّسانيات عند المسدّي:.....(60-78)

أ-أهمية اللّسانيات في إثراء المعرفة اللّغويّة.....(60-64)

ب-اللّسانيات بين اللّغة والفكر عند المسدّي:.....(64-78)

-اللّغة والمعرفة العلميّة.....(65-67)

-اللّسانيات وفلسفة المعرفة.....(67-74)

-المعرفة اللّغوية والتراث الإنساني.....(74-76)

-اللّسانيات والتراث العربي.....(76-78)

جـ-مجالات البحث اللّساني.....(78-82)

2-قراءة وصفيّة تحليليّة لكتابه 'التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة'.....(83-117)

-التعريف بكتاب التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة.....(83-84)

1-حوافز البحث وغاياته:.....(84-95)

اللّسانيات والمعرفة المعاصرة.....(84-84)

-الحداثة والتراث.....(84-85)

-اللّسانيّات والتراث.....(85-87)

-اللّسانيّات والشّمول.....(88-88)

-اللّسانيّات والحضارة العربيّة.....(88-90)

-النظريّة اللّغوية عند العرب.....(90-91)

-حظّ الموضوع من الدّراسة.....(91-93)

-مدار البحث ومصادره.....(94-94)

-مصادرات منهجيّة.....(94-95)

-بنية البحث.....(95-95)

2-الإنسان واللّغة:.....(96-102)

-اختصاص الإنسان بالظاهرة اللّغوية.....(96-96)

-ما قبل اللّغة.....(97-98)

-التوقيف الإلهي.....(98-99)

-التّشريع الوضعي.....(99-100)

-المحاكاة الطبيعيّة.....(100-101)

-النّشوء والتّناسل.....(101-102)

3-المواضعة:.....(112-102)

-اعتباطيّة الحدث اللّساني.....(104-102)

-تحديد المواضعة.....(106-104)

-المواضعة والعقد.....(108-107)

-من الاعتباط إلى التلازم.....(109-108)

-توليد المواضعات.....(110-109)

-اكتساب المواضعة.....(112-110)

4-مقوّمات الكلام:.....(116-112)

-الكلام والمكان.....(113-112)

-الكلام والزمن.....(113-113)

-الكلام وفاعله.....(114-113)

-الكلام والاضطرار.....(115-114)

-الكلام والشّمول.....(116-115)

-هوية الكلام.....(116-116)

-نحو إخصاب الفكر اللّسانيّ 'خاتمة الكتاب'.....(117-116)

-الفصل الثالث: المصطلح اللّساني عند عبد السّلام المسدّي.....(168-120)

1-المصطلح اللّساني عند المسدّي المفهوم والخصائص والمجال.....(125-120)

أ-مفهوم المصطلح اللّساني عند عبد السّلام المسدّي.....(121-120)

ب-خصائص المصطلح اللّساني عند عبد السّلام المسدّي.....(121-123)

ج-مجالات المصطلح اللّسانيّ عند عبد السّلام المسدّي.....(124-125)

2-قراءة وصفيّة تحليليّة لكتابه "قاموس اللّسانيّات".....(125-168)

-التّعريف بكتاب قاموس اللّسانيّات للأستاذ عبد السّلام المسدّي.....(125-127)

-العلـــوم ومصطلحاتـــــــها.....(127-129)

-أعـراض القضيّـــة الاصطلاحيّـــــــة.....(129-131)

-اللّسانيـــــــات وعلـــم المصطلـــح.....(131-139)

-الاصطـلاح والحركـــة الذّاتيـــــــة.....(139-148)

-مراتـب التّجريـــــد الاصطلاحـــــي.....(149-157)

-مصطلـــح العلـم وعلـم مصطلحـــه.....(157-159)

-الجهود العربيّة في المصطلح اللّسانـي.....(159-164)

-القامـــــوس المختص ونماذجـــــه.....(164-167)

-خاتمة.....(170-172)

-ملحق.....(174-179)

-قائمة المصادر والمراجع.....(181-198)

-فهرس الموضوعات.....(196-200)

-ملّخص البحث.....(202-207)

-ملخص باللّغة العربيّة والأجنبيّة.....(202-207)

ملخّص البحث

-ملخص باللّغة العربيّة:

إن التفكير اللّساني في عمومه مبلغ الحضارة الإنسانيّة في عالم اللّغات منذ القدم. ومنبع العطاء المعرفي والعلميّ في عالم اللّغات الحديثة.

فلا ضير من أنّه مقصد من مقاصد الأبحاث العلميّة الحديثة والمعاصرة التي راح أصحابها يتأمّلون في مكوناتها ونتائجها، فاللّغة والفكر عالمان مزدوجان فرضا واقعا ملؤه التداخل والتباين النظري والإجرائي، عزّز بلا شكّ الدّراسات اللّغوية التي تعمد إلى مبدأ التدقيق والاستنتاج ضمن واقع معرفي تنافسي وهذا ما وسمت به الدّراسات والأبحاث اللّغوية من حيث النظرية والإجراء في القارة الأوروبية.

فجاءت الحلقات اللّسانية على نحو حلقة براغ وموسكو ثم كانت المدارس والاتجاهات كمدرسة كوبنهاجن ولندن، وغلب على الدّراسات اللّسانية الغربيّة المنهج التاريخي ليليه الوصفي ومن بعده البنيوي. وهنا كانت قوة الفكر اللّساني الغربي حيث اتسع نطاق البحث العلمي فعلا مع ظهور العالم الفذّ 'دوسوسير' 'Ferdinand DeSaussure' (1857م-1913م) الذي أطلق عليه مفجّر الثورة اللّسانية في عالم اللّغات الأوروبية فقد اعتبرت انجازاته العلميّة بمثابة النّقلة النّوعية في عموم الدّراسات اللّغوية الأوروبية وخاصة ما تضمنه كتابه الشهير والمميز الموسوم بـ'علم اللّغة العام' (Course DeLinguistique General) لتتلوه فيما بعد الدّراسات المعرفيّة المستجدة في حقول اللّغات الأوروبيّة على نحو اللّسانيّات التوليديّة وغيرها.

وقد ارتأيت من بحثي هذا الاطلاع على مقوّمات الفكر اللّساني الغربي، بالوقوف على مدارسه ومناهجه ونظرياته، وبعد ذلك استحضار خصائصه وميزاته. وهذا بالطبع يظهر لنا الصورة الواضحة والحقيقية حول إرهاصات الحضارة اللّسانية الغربية، فخصّصت في الفصل الأول لتلقّي اللّسانيات العربيّة للفكر اللّساني الغربي وعرّجت على مقومات وخصائص هذا الأخير' فتوقفت فيه على كلّ مدرسة لسانيّة متناولا الجانب النّظري

والإجرائي لكلّ اتجاه لساني. وكان هذا تمهيدا لاستبيان الأثر اللّساني الغربي في اللّسانيات العربية وأدرجت فيه نماذج توضيحية عن ذلك، وهذا التوغل المعرفي والمنهجي في دائرة اللّسانيّات العربيّة تلقّى ردّة فعل واضحة؛ لتعتلي السّاحة اللّغويّة العربيّة قضايا التجديد والتقليد؛ وهذا ما أشرت إليه بعنوان الفكر اللّساني العربي بين التجديد والتقليد. ثم كان الفصل الثاني والغاية فيه قراءة الفكر اللّساني العربي من خلال نموذج لساني معاصر تمثّل في الأستاذ 'عبد السّلام المسدّي' وهذا يقودنا بالفعل وكان عنوانه الأسس المنهجية والمعرفية للفكر اللّساني عند المسدّي. ويليه الفصل الثالث لأتناول فيه المصطلح اللّساني من جوانبه المختلفة عند المسدّي.

والحاصل أنّ الفكر اللّساني العربي الحديث لا يمكننا الجزم على أنّه ذاتي النشأة؛ فهو متأثّر بما يفرضه المحيط اللّغوي العالمي وبما تمليه الحضارة اللّغوية الغربية وصور ذلك عديدة، ولا يعني ذلك الذوبان في حلقات الغير ولا التنصل من المكنونات اللّغوية الموروثة، بل إنّ الواقع المتغير يلزم اللّسان العربي أن يكون لسان حال متطور لمواكبة مقتضيات التغير الحتمي. فالأجدر والأصح هنا فحص التراث واستخلاص الأهمّ من المهم وفق مبدأ تأصلي علمي دقيق، وكذلك قراءة البواعث الفكريّة اللّغوية الغربيّة والبثّ فيها عبر مبدأ التمحيص والتخصيص بما يواكب النّهضة العلميّة العارمة التي طالت جميع المجالات.

والملاحظ للمعالم الإجرائيّة للأستاذ عبد السّلام المسدّي في قراءته ودراسته للتراث اللّغوي العربي والمستورد اللّساني الغربي يستنتج ما يلي:

أ–الإقبال على دراسة المناهج الغربيّة دراسة تحليليّة استنتاجية كالبنيوية مثلا؛ فالمسدّي لا يرى مانعا في ذلك إلاّ أنّه يعيد الاعتبار للخصوصيّة المادية والمعرفية للّغة العربيّة خاصة فيما يتعلق بالإسقاطات النظريّة.

ب–المسدّي يتبنى الفكر التجديدي الإحيائي في اللّغة العربية ويرى ما يلي:

1-استدراك أهمية المصطلح اللّساني عبر قواعد نظريّة تطبيقيّة خاصة، باعتباره مورد وأساس اللّغة المعجمية الحديثة.

2-الاطلاع على الفكر اللّساني العربي ضمن انتمائه الحضاري العريق والبحث في الأفكار والرؤى السابقة والتي بحسب رأيه قد تشكّل لنا النظرية الحديثة.

وهكذا كان بحثي بوصف وتحليل لأهم آراء الأستاذ 'عبد السّلام المسدّي' للوقوف على الحراك اللّساني المعرفي والمنهجي بما يفيد اللّسان العربي ولا يمكن أن تكون جهود طالب راغب في التنقيب والتجريب كافية ولا كفيلة بدراسة كفاءة معرفيّة متمرّسة ليس في حقل اللّسانيّات فقط بل في جميع الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة ككلّ.

وفي الأخير أتقدّم إليكم بفائق الشكر والتقدير سيدي المشرف على كلّ ما بذلتموه من وافر النصح والتدبير وتحيتي الخالصة إلى أساتذتي الأفاضل أعضاء اللّجنة المناقشة والسيد رئيس اللّجنة وأوزع سلامي وحبي إلى والدي الأفاضل حفظهما "الله" وإلى إخوتي رفقاء العيش وإلى الأصحاب والأحباب رفقاء الدّرب والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

-Résumé en français:

Le lingual réflexion sur le montant total de la civilisation humaine dans le monde depuis les langues anciennes et la source de l'offre et de la science cognitive dans le monde des langues vivantes.

Il n'y a aucun problème que le but de la recherche scientifique moderne et contemporain, et qui prétendaient les propriétaires à réfléchir sur les composants et leurs résultats, de la langue et de la pensée à double monde à imposer une réalité remplir le chevauchement et le contraste théorique et procédurale, sans aucun doute renforcé études linguistiques qui délibérément le principe de l'audit et la conclusion dans la réalité de la cybernétique concurrentiel et ce est ce chevalier par des études linguistiques et de la recherche en termes de théorie et de la procédure sur le continent européen.Épisodes linguistiques sont venus en direction de Moscou et Prague école et était une des écoles et des tendances enseignants Copenhague et de Londres, et sur les études linguistiques secrets occidentaux de la méthode historique suivie par l'au-delà descriptives et structurelles. Il y avait là la force du lingual de la pensée occidentale et élargi en fait la portée de la recherche scientifique avec l'émergence du monde exploit 'Dossoser' " Ferdinand de Saussure (1857 m -1913 m), qui a été lancé par le bombardier révolution linguistique dans le monde des langues européennes, il a examiné les réalisations scientifiques comme un changement de paradigme dans les études linguistiques générales européenne et en particulier le contenu de son célèbre ouvrage intitulé et privilégié comme le «linguistique générale " 'Cours de linguistique générale. Pour poursuivi des études cognitives plus tard émergents dans les langues européennes sur les domaines de la linguistique vers obstétriques et autres.Je veux à la recherche que l'on trouve sur les éléments de la pensée lingual occidentale de se tenir sur ses écoles et ses programmes d'études et théories, et puis invoque ses caractéristiques et avantages, et ce, bien sûr, nous montre une image claire et fidèle sur les débuts de la

civilisation linguistique occidentale, Vadrjt dans le premier chapitre» de la pensée occidentale lingual ses composants et caractéristiques 'a cessé de le Batunab tous scolaire multilingue et traitée dans le côté théorique et procédurale pour chaque sens de la langue, et ce a ouvert la deuxième session où le lingual ouest de l'impact de la linguistique arabe montre est inclus modèles explicatifs questionnaire, et l'incursion de cognitive et systématique dans le département de linguistique arabe reçues jeu clair, à monter sur la scène linguistique les questions d'innovation et tradition arabe, et voilà ce que je me suis référé intitulé arabe pensée linguale entre innovation et tradition dans le deuxième trimestre de la recherche, puis il a été le dernier chapitre sous la forme d'limitée et questionnaire pour tenir sur des études spécifiques, le but de lire lingual de la pensée arabe à travers ma langue modèle contemporain représente le professeur Abd Masdi paix »et cela nous amène déjà à clarifier la représentation et des images claires.Le point est que le discours de la pensée arabe lingual, on ne peut pas dire avec certitude que l'auto-initiation; il touchées, notamment imposée par l'océan linguistique mondial et les exigences de la langue de civilisation occidentale et les images tant, ne signifie pas soluble dans les non-anneaux ni la répudiation de linguistique Almknont héréditaire, mais les réalités changeantes de la langue nécessaire arabe pour être le porte-parole de suivre l'évolution des besoins changent inévitable. Plutôt Valojdr ici examiner et d'extraire le patrimoine le plus important est important selon le principe de allotropique scientifique précis, ainsi que de lire les motifs de diffusion intellectuelle et linguistique de l'Ouest via le principe du contrôle et de personnalisation pour faire face à la renaissance scientifique écrasante, qui a touché tous les domaines.

Il est des paramètres de procédure notables de professeur Abdul Salam Masdi en lisant et en étudiant le patrimoine linguistique de

l'importateur langues arabes et occidentaux devraient utiliser ce qui suit:

A-Une étude sur l'étude analytique programme demande-ouest de déductive Kalpnaoah exemple Valmsudai ne voit pas pourquoi la seule considération qui restaure la spécificité physique et cognitive de la langue arabe, en particulier en ce qui concerne les projections théoriques.

B-Masdi adopte l'idée de régénération bio dans la langue arabe et trouve ce qui suit.